کتابخانهٔ
مجلس شورای
اسلامی
خطی اهدائی
۷۷۸

کتابخانهٔ مجلس شورای ملی

کتاب مجازات النبویة

مؤلف

جلد (۷۷۸) از کتب (خطی) اهدائی

آقای سید محمد صادق طباطبائی به کتابخانه مجلس شورای ملی

شماره ثبت کتاب

۳۱۴۸۳

۱۴۴۶۲

خطی اهدائی

کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی

۷۷۸

مجازات النبویه

٦

١٧٧٨

٢١٤٨٤

ابان ١٣٠٠ه
۴۴۰۰

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حمد الله سبحانه بمحامده التي يستحقها واختصاص
نبيه محمد واله الطاهرين بالصلوات التي هم اهلها فاني
عرفت ما شافهني به من استحسان الخبيئة التي اطلعتها و
الدفينة التي اثرتها من كتابي الموسوم بتلخيص البيان عن مجاز
القران واني سلكت من ذلك محجة لم تسلك وطرقت بابا لم يطرق
وما رغبت الي فيه من سلوك مثل تلك الطريقة في عمل كتاب
يشتمل على مجازات الاثار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه واله
اذ كان فيها كثير من الاستعارات البديعة ولمع البيان الغريبة و
اسرار اللغة اللطيفة يعظم النفع باستنباط معادنها واستخراج
كوامنها واطلاعها من اكمتها واكنانها وتجريدها من خللها و
اجفانها فيكون هذان الكتابان باذن الله لمعتين يستضاء بهما
وغريبتين لم اسبق الى قرع بابهما فاجبتك الى ذلك مستخيرا الله
سبحانه فيه على كثرة الاشغال القاطعة والعوائق المانعة و
الاوقات الضيقة والهموم المخنقة وعملت بتوفيق الله على تتبع ما في كلامه

[illegible] والخبيئة ما خبئ وغاب كالخبء والخبيئة [illegible]

صلى الله عليه واله من ذلك والاشارة منه الى مواضع النكت و
مواقع الغرض بالعبارات الوجيزة والايماءات الخفيفة على طريقتي
في كتاب مجازات القران لئلا يطول الكتاب فيجفو على الناظر ويشق
على الناقل فان القلوب في هذا الزمان ضعيفة عن تحمل اعباء العلوم
الثقيلة والاجراء في مسافات الفضائل الطويلة لانه لم يبق من الفضل
الا الذماء ومن الفضلاء الا الاسماء ولله الحمد على السراء والضراء
والبوس والنعماء ولست شاكا في ان ما يفوتني من الجنس الذي اقصده
اكثر من الحاصل لي والواقع الي ولكنني اقتصر على ما تناله في هذا الوقت
يدي ويقرب من تصفحي وتاملي . واذا ورد بمشية الله من هذه الاثار
ما فيه موضع مجاز قد تقدم الكلام على نظير له او ما يقوم مقامه
اقتصرت على القول الاول طلبا للاقتصاد ووقوفا دون الابعاد على
مثل الاصل المقرر في كتاب مجازات القران . ولولا ان ابا علي محمد بن
عبد الوهاب قد سبق الى تفسير متشابه الاخبار التي ظاهرها التشبيه
والتجسيم وصريحها التجوير والتظليم واستقصى هذا المعنى في كتابه
الموسوم بشرح الحديث وتعاطى ذلك جماعة غيره من علماء اهل العدل
في مواضع من كتبهم لتتبعت هذا الفن جميعا تتبعا يكشف الشبه ويوضح
المشتبه على طريقتي في كتابي الكبير الموسوم بحقائق التاويل في متشابه

الذماء [illegible] بقية [illegible]

التنزيل الا انني بعون الله اورد من ذلك ما كان داخلا في باب الاستعارة
اللغوية بكليته او بشعبة كبيرة من شعبه • والذي اعتمد عليه في
استخراج ما يتضمن الغرض الذي انحو نحوه واقصد قصده كتب غريب
الحديث المعروفة واخبار المغازي المشهورة ومسانيد المحدثين
الصحيحة مضافا الى ذلك ما يليق هذا المعنى من جملة كلامه عليه
السلام الموجز الذي لم يسبق الى لفظه ولم يفترع من قبله وجميع
ذلك مما اتقنا بعضه رواية وحصلنا بعضه اجازة وخرجنا
بعضه تصفحا وقراءة مستمدين في ذلك وفي سائر الانحاء والمرامي و
المطالب والمغازي توفيق الله سبحانه الذي يهون الشديد ويقرب
البعيد ويذلل الصعب اذا ابى ويقوم المعوج اذا التوى وما توفيقنا
الا بالله عليه توكلنا واليه ننيب **فمن ذلك قوله عليه السلم** هذه مكة
قد رمتكم بافلاذ كبدها • وفي رواية اخرى • قد القت اليكم افلاذ
كبدها • وهذه من افصح العبارات واوقع الاستعارات وقال
ذلك عليه السلام عند خروجه الى بدر القتال وقد خرجت قريش
من مكة مجلبة عليه ومجلبة اليه وكان المسلمون قد ظفروا ببعض
فراطهم فاتوا به النبي عليه السلم فسأله عمن خرج في ذلك الجمع من علية
قريش فقال فلان وفلان وفلان وعدد قادتهم وذادتهم والوجوه

والسادات منهم فقال عليه السلام هذه مكة قد رمتكم بافلاذ كبدها
ولهذا الكلام معنيان احدهما ان يكون المراد به ان هولاء المعدودين
صميم قريش ومحضها ولبابها وسرها كما يقول القائل منهم فلان قلب
في بني فلان اذا كان من صرحائهم وفي النضار من احسابهم • فيجوز
ان يكون المراد بالكبد هاهنا كالمراد بالقلب هناك لتقارب الشيئين
وشرف العضوين فيكنى باسم كل واحد منهما عن العلق الكريم واللباب
الصميم • والافلاذ القطع المتفرقة عن الشيء وقلما يستعمل ذلك
الا في الكبد خاصة • قال الشاعر يكفيه فلذة كبد ان الم بها من الشوا
ويروى شربه الغمر • والمعنى الاخر ان يكون المراد بذلك اعيان القوم
ورؤساءهم والعرانين المقدمة منهم فكانه عليه السلم اقام مكة مقام
الحشا التي تجمع هذه الاعضاء الشريفة كالقلب والنياط والكبد
والفؤاد وجعل رجال قريش كشعب الكبد التي تحنو عليها الاضالع
وتشتمل عليها الجوانح وقاية لها وزفوفا عليها **ومن ذلك قوله علم**
وقد نظر الى احد منصرفه من غزاته خيبر هذا جبل يحبنا ونحبه
وهذا القول محمول على المجاز لان الجبل على الحقيقة لا يصح ان يحب
ولا يحب اذ محبة الانسان لغيره انما هي كناية عن ارادة النفع له
او التعظيم المختص به على ما بيناه في عدة مواضع من كتابينا المشهورين

فى علوم القران وكلا الامرين لايصح على الجماد لا التعظيم المختص به ولا النفع
العايد عليه فيستحيل ان يعظم او يعظِم او ينفع او ينتفع • فالمراد
اذا ان احدا جبل يحبنا اهله واهله هم اهل المدينة من الانصار او (ونحو اهله م)
سهم وخزرجهم وعبر خاف حبهم النبى عليه السلام وحبه لهم وتعظيمهم
له واعظامه لقدرهم الا ترى الى قوله عليه السلام فى كلام طويل و
لو سلك الانصار شعبا وسلك الناس شعبا لسلكت شعب الانصار
ولولا الهجرة لكنت امرءا من الانصار الى غير ذلك من الكلام الذى
يطول بذكره الكتاب وينقض قاعدتنا فى الاختصار ومثل هذا
الحديث ما روى عنه عليه السلام **فى حديث اخر** قال
نهران مومنان ونهران كافران اما المومنان فالنيل والفرات و
واما الكافران فدجلة ونهر بلخ • والاولى ان يكون تاويل هذا الخبر ان
كان صحيحا كتاويل الخبر المتقدم • فكانه عليه السلم قال اهل هذين النهرين
مومنون واهل هذين النهرين كافرون وتكون هاتان الصفتان جاريتين
على سكان الانهار فى وقت مخصوص او على الاغلب من الاحوال فى زمان معلوم
لان من اهل هاذين النهرين المومن والكافر كما ان من اهل ذانك النهرين
البر والفاجر • وقد قيل فى ذلك قول اخر لست ارتضيه وهو ان يكون انما
جعل النيل والفرات مومنين على التشبيه والتمثيل لكثرة انتفاع الناس

بسقيا

بسقيا هما كالانتفاع بالمومنين وجعل دجلة ونهر بلخ كافرين لقلة
الانتفاع بهما كقلة الانتفاع بالكافرين • والقول الاول اخلق
بالصواب واشبه بالمراد **ومن ذلك قوله عليه السلم** المسلمون تتكافؤ
دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم ويرد عليهم اقصاهم وهم يد على من سواهم
فقوله عليه السلام وهم يد على من سواهم استعارة ومجاز ولذلك
وجهان احدهما ان يكون عليه السلام شبه المسلمين فى التضافر و
التوازر والاجتماع والترافد باليد الواحدة التى لايخالف بعضها
بعضا فى البسط والقبض والرفع والخفض والابرام والنقض • وقد
يسمى انصار الرجل واعوانه يدا على طريق الاتساع تشبيها لهم باليد
التى ينتصر بها ويدافع بقوتها • قال الراجز • اعطى فاعطانى يدا
ودارا • وباحة خولها عقارا • يقول بوانى دارا واحقنى اعوانا (وانصارا م)
والوجه الاخر ان يكون اليد هاهنا بمعنى القوة • فكانه عليه السلام
قال وهم قوة على من سواهم والقوة احد المعانى التى يعبر عنها باسم
اليد وقد استقصيت ذلك فى كتابى الكبير الموسوم بحقايق التاويل
وذكرت ان قول القايل لا افعل ذلك يد الدهر معناه عندى لا افعل
ذلك قوة الدهر اى ما دام الدهر قوى الاركان قايم البنيان • فاما
الحديث الاخر عنه عليه السلام وهو قوله عليكم بالجماعة فان يد الله

على الفسطاط فليس المراد باليد فيه كالمراد باليد في الحديث الاول
بل المراد باليد ههنا حفظ الله ورعايته كما يقول القايل ما لي في
يد فلان اذا اراد انه حافظه له وامينه عليه والفسطاط ههنا
البلد • ومنه سمي فسطاط مصر • فكانه عليه السلام امرهم بلزوم الجماعة
في الامصار ونهاهم عن الانشعاب والافتراق ولم يرد ان الخارج
من المصر خارج عن قبضة الله وملكته لكنه خارج عن حفظه ورعايته
وانما امرهم بلزوم الامصار لانها في الاكثر مواضع الجماعة والالفة
على الحقيقة انما هو بلزوم الجماعة ولو كان اهلها في كفاف الفيافي
ومطارح البوادي **ومن ذلك قوله عليه السلام في الخيل** ظهورها
حرز وبطونها كنز • وهذا القول خارج عن طريق المجاز لان بطون
الخيل على الحقيقة ليست بكنز • وانما اراد عليه السلام ان اصحابها
ينجون بها من الاقلال لما تنمي به اموالهم وتحسن معه احوالهم فهم باستيداع
بطونها نطف الفحول كمن كنز كنزا اذا اراده وجده واذا الجاء اليه
دعم ظهره كما يكون الكانز عند الرجوع الى كنزه والتعويل على ما تحت
يده • وقوله عليه السلام وظهورها حرز اوضح من ان توضح والمراد
انها منجاة من المعاطب وملجاة عند المهارب **ومن ذلك قوله
عليه السلم في الجنين** غرة عبد او امة وفي هذا الكلام مجاز لانه

عليه السلام انما جعل العبد او الامة غرة لانهما افضل ما يملكه
المالك وافخره واظهره واشهره ولذلك سمي ايضا في لسانهم الفرس
غرة لانه من انفس ما يملك • ولمثل هذا المعنى ايضا ما سموا الخيل
جبهة • وفي الحديث المشهور ليس في الجبهة ولا في النخة ولا في
الكسعة صدقة والنخة الرقيق • ومن قال النخة بالضم قال هي
البقر العوامل والكسعة الحمير وهذا اشهر الاقوال في معنى هذا الحديث
وقال ابن احمر ان نحن الا اناس اهل سائمة ما ان لهم دونها حرث
ولا غرر اي ليس لهم زرع يعتمد ولا خيل تقتعد • وقال
الاخر • كل قتيل في كليب غرة • حتى ينال القتل آل مرة • يقول
كل قتيل قتله بكليب من غير آل مرة عبد لا نقبله بواء ولا نرضى
به كفاء • وكان محوى الكلام ان العبد والامة والفرس من اظهر
الاشياء المملوكة وادلها على وفارة الثروة وفخامة النعمة
لان غيرها من الاعراض في الاكثر لا يشتهر اشتهارها ولا
ينتشر انتشارها **ومن ذلك قوله عليه السلم** اذا اراد الله بعبد
خيرا عسله • قيل يا رسول الله وما عسله قال يفتح له بين
يدي موته عملا صالحا يرضي بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله
وفي هذا الكلام مجازان احدهما قوله عليه السلام عسله وهو ماخوذ

من العسل كما يقول القائل عسلت الطعام اذا جعلت فيه عسلاً و
سمنته اذا جعلت فيه سمناً وزيّته اذا جعلت فيه زيتاً ومعنى عسله اى
جعل عمله حلواً يحمده الصالحون ويرضاه المتقون فيكون كالشيء
المعسول الذي يسوغ في اللهوات ويلذ على المذاقات والمجاز الاخر
قوله عليه السلام بين يدي موتي ولا يدي للموت على الحقيقة • و
لكنها كناية عن الشيء الواقع امام الشيء المتوقع وقد تكلمنا على هذا
المعنى في كتاب مجازات القران عند قوله سبحانه في البقرة فجعلناها
نكالاً لما بين يديها وما خلفها • وعند قوله في سبا • ان هو الا نذير
لكم بين يدي عذاب شديد • وذلك كما يقول احدنا للغير وهو
سالك طريق وسائل عن رفيق ها هو ذا بين يديك اى قد تقدمك
ولا يقال ذلك الا فيما كنت وراءه وهو امامك لا فيما كنت امامه
وهو وراءك وكل ذلك انما يراد به في الاكثر تقريب الشيء من الانسان
حتى كأنه لقاء يديه وقاب تناوله كما تقول هذا الشيء اخذ بيدي
اى ممكن لها وقريب من تناولها ومن ذلك قوله عليه السلم ويل
لاقماع القول ويل للمصرين • وفي هذا الكلام مجاز واستعارة
لانه عليه السلام عنى بها الذين يكثرون استماع القول واختلاف
الكلام فيكون ذلك ثالماً في دينهم وقادحاً في يقينهم فشبه عليه السلم

اذانهم

اذانهم بالاقماع التي تفرغ فيها ضروب القول افراغ المايعات وهذه
من احسن العبارات عن هذا المعنى لان الاذان هي الطرق التي يوصل
منها الى الصدور والانقاب التي يدخل منها على القلوب فهي ابواب
موصلة وطرق مبلغة وقد حمل بعض العلماء هذا الحديث على تاويل
غير مشبه لمعنى اللفظ لانه قال المراد بذلك الذين تكرر المواعظ على
اسماعهم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي وموضعون في طرق المغاوي
وهذا القول وان كان سائغاً فان الاشبه بظاهر الكلام ان يكون
على ما قدمت القول فيه من ذم من يجعل سمعه مساغاً للاقوال المختلفة
والانبا المتضادة ويكون قوله عليه السلام المصرين تماماً لهذا
المعنى المراد ومبالغة في وصف هؤلاء المذمومين بكثرة استماع الاقوال
فيكون ذلك من قولهم اصر الفرس اذنيه اذا نصبهما للتوجس لانه يقال
اصر اذنيه وصر باذنيه وهذا التاويل لم احداً سبقني اليه و
اعلم صح
من ذلك قوله عليه السلم حين اتاه الفضل بن العباس وابن ربيعة بن
الحرث بن عبد المطلب يسألانه عن ابويهما السقاية فتواكلا الكلام فقال
عليه السلام اخرجا ما تصرران • وفي هذا القول استعارة لانه
عليه السلام اراد اظهرا ما تكتمان في قلوبكما وصرحا بما تلجلج به
السنتكما فجعل القلب بمنزلة الوعاء والكتمان بمنزلة الوكاء والامر

المكتوم بمنزلة الشيء الموعى وكل شيء جمعته فقد صررته • ومنه قيل
للاسير مصرور اذا جمعت يداه بالغل وقدماه بالحجل ومن ذلك
قوله عليه السلم في عمرة الحديبية عند كلام جرى في شان قريش فان اتبعونا
اتبعنا منهم عنق يقطعها الله • وفي هذا القول استعارة لانه عليه السلم
شبه من يتبعه منهم في التلاحق والاستداد والجد والاجتهاد بالعنق
الواحدة التي لا تختلف اجزاؤها ولا تتباين اعضاؤها فهو اشد لقوتها
واوهن لصدمتها • وعلى هذا المعنى قول الشاعر وانشدنا شيخنا ابو الفتح
عثمان بن جني النحوي رحمه الله في حال القراءة عليه • ابلغ امير المومنين
اخا العراق اذا اتينا العراق واهله عنق اليك فهيت هيتا • ولقول
الشاعر عنق اليك معنيان • احدهما ان يكون على الوجه الذي ذكرناه
او لانه تشبيه الطالبين له والقاصدين اليه بالعنق في التلاحق
الى غايته والتسرع الى لقائه • والمعنى الاخر ان يكون اراد ان اهل العراق
على توقع لوروده وتشوف الى طلوعه فهم كالعنق الممتدة نحوه وذلك على
المتعارف بيننا من قول القايل منا اذا اراد ان يعبر عن استطالته لوارد
او توقعه لطالع ان يقول عنقي ممتدة الى ورود فلان كما يقول عيني
ممدودة الى طلوع فلان • وقول الشاعر في البيت الثاني فهيت هيتا
يشهد بان مراده الوجه الاخير من الوجهين لان هذا القول حثاله

... التعجل وازعاج ... الى التسرع

على التعجل وازعاجا الى التسرع • فاما قول الله سبحانه فظلت اعناقهم
لها خاضعين • فقد فسر ايضا على وجهين اوردناهما في مواضع من
كلامنا في تاويل القران • فاحد الوجهين ان يكون سبحانه ذكر الاعناق
ثم رد الذكر على اصحاب الاعناق لان خضوع الاعناق هو خضوع
اصحابها لما لم يكن خضوعهم الا بها • والوجه الاخر ان يكون اراد
الجماعات لانه قد تسمى الجماعة عنقا على الوجه الذي قدمنا ذكره
يقول القايل جاءني عنق من الناس اي جماعة فيكون خاضعين صفة
للجماعات والمعنى في ذلك ظاهر غير محتاج الى التاويل • وقد يجوز
ان تكون الاعناق هاهنا كناية عن السادات والمقدمين من
القوم يقال هولاء اعناق القوم اي ساداتهم كما يقال هؤلاء
رؤوسهم وعرانينهم • ذكر ذلك صاحب العين في كتابه • وقال لي ابو حفص
عمر بن ابراهيم الكتاني صاحب ابن مجاهد وقد قرات عليه القران بروايات
كثيرة سمعت ابا بكر بن مقسم النحوي صاحب المبرد يقول اولى الوجوه
بتاويل هذه الاية ان يكون خاضعين مردودا على الضمير في اعناقهم
فكانه تعالى قال فظلوا لها خاضعين • ويبعد ان يحمل قوله عليه
السلام في هذا الخبر عنق يقطعها الله على انه اراد به الجماعة لان قوله •
يقطعها الله بالعنق المعروفة التي هي العضو المخصوص اشبه • وفي موضع

الكلام احسن. وانما جاء بالعنق هاهنا على طريق الاستعارة تشبيها
للقوم الذين ذكر اتباعهم له بالعنق في الاحتشاد لطلبه والامتداد
للحاق به **ومن ذلك قوله عليه السلام** في كتاب كتبه. هذا كتاب من محمد
رسول الله لعمائر كلب واحلافها ومن ظاره الاسلام من غيرهم. وفي
هذا الكلام استعارة لان الظار في الحقيقة العطف. ومنه ظار
الناقة وهو ان يموت ولدها فتعطف على البو الذي يجعل لها لتدر عليه
لبنها واصله العطف على الشيء بالاخذ والحمل لا بالاختيار والطوع
ويبين هذا المعنى قول الكميت الاسدي. وهم رئموها غير ظار واشبلوا
عليها باطراف القنا وتحدبوا. اى عطفوا عليها طائعين مختارين
لا مجبرين محمولين. ثم استعمل بعد ذلك فيمن عطف طائعا كما استعمل
فيمن عطف كارها. فكانه عليه السلام جعل الاسلام يعطف على الذين حوله
اما طوعا ومشيئة او عياذا وخيفة. ومن امثال العرب الطعن يظار
اى يعطف على السلم والتواهب ويحمل على البقيا والتقارب **ومن
ذلك قوله عليه السلام** لحادي مطيه يا انجشه رفقا بالقوارير
وهذه استعارة عجيبة لانه عليه السلام شبه النساء في ضعف النحائز
ووهن الغرائز بالقوارير الرقيقة التي يوهنها الخفيف ويصدعها
اللطيف فنهى عن ان يسمعهن ذلك الحادي ما يحرك مواضع الصبوة وينقض

معاقد

معاقد العفة. وقد حمل بعض العلماء قوله تعالى. قوارير من فضة قدروها
تقديرا. على ان المراد بغير الزجاج هاهنا. وقال القارورة فاعولة
من استقرار الشيء فيه فكان قوارير الشراب وغيره من المائعات تصلح
ان تكون للزجاج وتكون لغير الزجاج. واما عامة المفسرين فيذهبون
الى ان تلك الانية الموصوفة من فضة ولكنها تشف شفيف القوارير
من الزجاج فهو اعجز لتصويرها واعجب لتقديرها اذ كانت جامعة للرقة
اللطيفة والقوة الحصيفة **ومن ذلك قوله عليه السلام** وقد تذاكر
الناس عنده امر الطاعون وانتشاره في الامصار والارياف فقال
صلى الله عليه وعلى آله. فاني ارجوا الا يطلع الينا نقابها يعني نقاب
المدينة والنقاب جمع نقب وهو الطريق في الجبل. وفي هذا الكلام استعارة
حسنة لانه عليه السلام اقام هذا الداء المسمى بالطاعون في تغلغله الى
البلاد المنيعة وذهابه بالاعلاق الكريمة مقام الجيش المغير الذي يوفي
على الانشاز ويهجم على الحصون والاطام يقال طلع فلان الثنية اذا اوفى
عليها وفرع ذروتها. ومن احسن التمثيل واوقع التشبيه ان تشبه اسباب الحتوف
وطوارق الدهر بالجيش الهاجم والمقنب المصمم الذي تخاف سطوته وتنكاء
شوكته ولا يسد طريقه ولا يؤمن طروقه. وقوله عليه السلام الا يطلع
الينا نقابها وهو يريد نقاب المدينة ولم يجر لها ذكر من الفصاحة العجيبة

لانه اقام علم المخاطبين بها مقام تصريحه بذكرها ومثل ذلك قوله سبحانه
ولو دخلت عليهم من اقطارها والمراد المدينة ولم يجر لها ذكر ولذلك
في القران نظاير • وكان شيخنا ابو الفتح النحوي رحمه الله يسمي هذا
الجنس شجاعة الفصاحة لان الفصيح لا يكاد يستعمله الا وفصاحته
جريئة الجنان غزيرة المواد • ومن ذلك قوله عليه السلم ان الاسلام بدا
غريبا وسيعود غريبا • وهذا الكلام من محاسن الاستعارات و
بدايع المجازات لانه عليه السلام جعل الاسلام غريبا في اول امره تشبيها
بالرجل الغريب الذي قل انصاره وبعدت دياره لان الاسلام كان
على هذه الصفة في اول ظهوره ثم استقرت قواعده واشتدت معاقده
وكثر اعوانه وضرب جرانه • وقوله عليه السلام وسيعود غريبا
اي يعود الى مثل الحال الاولى في قلة العاملين بشرايعه والقايمين
بوظايفه لا انه والعياذ بالله تمحي سماته وتندرس اياته • ومن ذلك
قوله عليه السلم في ذكر الخوارج يمرقون من الدين كما يمرق السهم من
الرمية الحديث بطوله الى قوله قد سبق الفرث والدم • وفي هذا القول
مجاز لانه عليه السلام شبه دخولهم في الدين وخروجهم منه بسرعة
من غير ان يعلقوا بعقدته او يتعبقوا بطينته بالسهم الذي اصاب
الرمية وهي الطريدة المرمية ثم خرج مسرعا من جسمها ولم يعلق بشيء

من

من فرثها ودمها وذلك من صفات السهم الصايب لانه لا يكون شديد
السرعة الا بعد ان يكون قوي النزعة • ومن ذلك قوله عليه السلام
مضر صخرة الله التي لا تنكل • وهذا القول مجاز لانه عليه السلم
جعل مضر وهي القبيلة المعروفة بمنزلة الصخرة الراسية والهضبة
الثابتة التي لا تزحزح عن مقرها ولا تتزحزح عن مجثمها وهذا معنى
قوله عليه السلام لا تنكل وذلك ماخوذ من قولهم نكلت عن الامر
انكل نكولا اذا تاخرت عنه ومنه قيل للجام نكل لانه يؤخر به المركوب اذا
جمح ويحبس به اذا انطلق ولهذا المعنى ايضا قيل للقيد نكل لانه يقصر
الخطو ويمنع العدو • وانما اضاف عليه السلام اسم الصخرة الى الله تعالى
ليكون افخم لها في القلوب واجدر لها بالرسوخ • ومن ذلك قوله
عليه السلم بعثت في نسم الساعة ان كادت لتسبقني • وفي هذا القول
استعارة لانه عليه السلام كنى عن ابتداء الساعة بالنسم والنسيم جميعا
اسم لابتداء الريح وهي ضعيفة قبل شدتها ومريضة قبل استكمال قوتها
والنسم ايضا النفوس جمع واحده نسمة وانما سميت بذلك لانها في
الاصل ضعيفة وانما اشتد من جسمها بروافد ترفدها ودعايم تسندها
وقد روي هذا الخبر على وجه اخر وهو قوله عليه السلام بعثت في نفس الساعة
وله معنيان احدهما ان يكون بعثت في تنفيس الساعة اي في ابهامها وتاخرها

من قولهم نفّس فلان عن غريمه اذا انظره واخره بعد ان حان قضاوه ووجب اقتضاوه فكانه عليه السلام قال بعثت وقد حان قيام الساعة الا ان الله تعالى نفسها اى اخرها قليلا فبعثنى فى ذلك النفس والوجه الاخر ان يكون جعل للساعة نفسا كنفس الانسان وقال بعثت فى وقت احسّ فيه بنفسها وقربها كما يحسّ الانسان بنفس الانسان اذا قرب من شخصه وسمع مجرى نفسه

ومن ذلك قوله عليه السلم واليد العليا خير من اليد السفلى وهذا القول مجاز لانه عليه السلم اراد باليد العالية يد المعطى وباليد السافلة يد المستعطى ولم يرد على الحقيقة ان هناك عاليا وسافلا وصاعدا ونازلا وانما اراد ان المعطى فى الرتبة فوق الاخذ لانه المنيل المفضل والمحسن المجمل وليس هذا فى معطى الحق واخذه وانما هو فى معطى الرفد ومسترفده وليس المراد انه خير فى الدين بل المراد انه خير فى النفع للسائلين وانما كنى عليه السلام عن هاتين الحالين باليدين لان الاغلب ان يكون بهما الاعطا والبذل وبهما القبض والاخذ

ومن ذلك قوله عليه ان هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء ان يمنحه منها خلقا حسنا فعل وذكر اليد هاهنا مجاز والمراد ان الاخلاق فى قبضة الله وتحت ملكه الله فلما كان فى الاكثر ما يقتضيه الانسان ويملكه انما يقبضه بيده

وينقله الى يده خاطب عليه السلام بلسان العرف المتقرر عند المخاطبين وفى لغة السامعين وقد مضى الكلام على هذا المعنى فى عدة مواضع من كتبنا الموضوعة فى علوم القران ولا يحتمل كتابنا هذا اكثر من هذا المقدار

ومن ذلك قوله عليه السلم لابى بن كعب وقد اعطاه الطفيل بن عمرو الدوسى قوسا له جزاء على اقرايه القران فقال عليه السلام لابى تقلدها شلوة من جهنم وفى هذا القول مجاز لانه عليه السلام جعل القوس اذ كانت تكسب اخذها على الوجه المكروه عذاب جهنم كانها شلوة من نار جهنم وانما قال شلوة ولم يقل شلوا لانه حمل على معنى القوس وهى مونثه والشلو العضو ومنه حديث امير المومنين عليه السلام فى الاضحية ايتنى بشلوها الايمن واصله فى لغتهم البقية القليلة من الشىء ومن ذلك يقال البقية الاكيله اذا فرسها السبع شلو ويقال للبدن القتيل شلو على احد ثلثه وجوه اما ان يكون مفردا من راسه فيكون كالبقية القليلة لان الراس هو الارس والعلق الانفس الا ترى الى قول الشاعر اذا قطعوا راسى وفى الراس اكثرى وغودر عند الملتقى ثم سايرى والوجه الثانى ان يكون انما سمى بذلك لخروج نفسه وكون الجسم بعدها وان كان بتمامه بمنزلة البقية التى قد ذهب اكثرها وفقد جوهرها والوجه الثالث ان يكون

انما سمي بذلك لانه بقية ابقتها مضارب السيوف فشبهها بالبقية التي
ابقتها مخالب الاسود وانما عظم عليه السلم الوعيد في هذا الخبر زجرا
لهم عن ان ياخذوا على تعليم القران اجرا او يتخذوه مكسبا وطعما **ومن**
ذلك قوله عليه السلم اغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو
حظ من صلوة . وفي هذا القول استعارة لان الحاذ على الحقيقة اسم لما
وقع عليه الذنب من مؤخر الفخذين هذا قول الاصمعي . وقال غيره بل هو
لحم باطن الفخذ وهما حاذا الفخذين . وقد جاء في كلامهم خفيف الحاذين
وقد استعملوا ذلك في الانسان ايضا قال الشاعر . ستكفيك
الحماله مستميت خفيف الحاذ من ابناء جرم . وقال بعضهم بل هو طريقة
المتن من الانسان والموضع الذي يسمى المحال من الفرس وهو ما وقع عليه
اللبد من ظهره . والقولان الاولان اعجب الي لانه عليه السلم كنى بخفة
الحاذ هاهنا عن قلة المال او قلة العيال . ومنه الحديث الاخر عن ابن
مسعود لياتين على الناس زمان يغبطون الرجل بخفة الحاذ كما يغبطون
بكثرة المال لان الخفيف الحاذ اذا كان على ما ذكرناه اولا في الوجهين
الاولين من قلة لحم باطن الفخذين كان ذلك اسرع لخطوه واخف
لعدوه لان الدنيا بمنزلة المضمار والناس فيها بمنزلة الخيل المجراة و
الغاية هي الاخرة فكلما كان الواحد منهم اخف نهضا وامراقا كان

اسرع بلوغا ولحاقا فمنهم اخف نهضا وامراقا كان اسرع بلوغا ولحاقا
وبين ذلك قول امير المومنين علي عليه السلام في كلام له تخففوا تلحقوا
وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة الذي اوردنا فيه مختار جميع
كلامه صلى الله عليه وعلى الطاهرين من اولاده . واما القول الثالث الذي
ذكرناه عن بعضهم من قوله ان الحاذ هو المتن فقد يجوز ان يعبر به ايضا
عن قلة العيال وغزارة المال كما يقولون فلان خفيف الظهر اذا ارادوا
هذا المعنى ولان قلة اللحم على الجلد في اي عضو كان من اعضاء الحيوان اعون
على خفة نهوضه وسرعة تصرفه في اموره **ومن ذلك قوله عليه السلم**
وقد ذكر عنده شريح الحضرمي ذاك رجل لا يتوسد القران . وهذا
من الاستعارات العجيبة والكنايات الغريبة . وهي تحتمل معنيين
احدهما مدح والاخر ذم . فاما المدح فهو ان يكون المراد به انه لا ينام عن
قراءة القران بل يقطع ليله بالتهجد به والتصرف مع تلاوته فيكون
القائم بدرسه كالمشتمل به والنائم عنه كالمتوسد له كانه جعله وسادا
لخده وفراشا لجنبه ومما يقوي هذا الوجه ما روي من قوله عليه
السلام في حديث اخر يا اهل القران لا توسدوا القران واتلوه حق
تلاوته . واما المعنى الاخر الذي يحتمل الذم فهو ان يكون المراد انه غير
حافظ للقران فليس بخازن من خزنته ولا وعاء من اوعيته فاذا نام

لم يكن متوسدا له كما يتوسد من موظوف من ظرو ومر الحاوية له
والمشتملة عليه ومثل ذلك ما روي عن ابى الدرداء انه قال لرجل
ساله عن طلب العلم لان تتوسد العلم خير من ان تتوسد الجهل اراد
لان تنام ومعك العلم خير من ان تنام ومعك الجهل فجعل العلم كالفراش
الممهد والوساد المتوسد **ومن ذلك قوله عليه السلم** فى كلام للانصار
انتم الشعار والناس الدثار. وهذا مجاز لانه عليه السلام اراد انكم اقرب
الناس منى واشدهم اشتمالا على فانتم لى كالشعار وهو الثوب الذى
يلى بدن الانسان والناس الدثار لانهم ابعد منى وانتم بينهم وبينى ومثل
ذلك قولهم فلان من بطانة فلان كناية عن القرب منه والاختصاص
به تشبيها ببطانة الثوب التى تلى الجسد وتكون اقرب الى البدن **و
من ذلك قوله عليه السلم** تكون قبل الدجال سنون خداعة. وهذه
استعارة لانه جاء فى التفسيرات المراد بذلك اتصال المحول. وقلة
الامطار فى تلك السنين يقال خدع المطر اذا قل والاصل فيه قولهم
خدع الريق اذا جف. قال سويد بن ابى كاهل ابيض اللون لذيذ
طعمه طيب الريق اذا الريق خدع وجفوف الريق وقلته من اسباب
تغيره وفساده لانه كلما كثر ماع وكلما ماع طاب. وقيل السنون
الخداعة هى التى تخدع زكاء الزرع اى تنقصه من قولهم دينار خادع

وهو الذى ينقص من وزنه او من ذهبه. وقال عليه السلام سنون
خداعة والمطر هو الخادع الا ان خدع المطر لما كان فيهما احسن اجراء
الاسم عليهما ولهذا نظاير كثيرة فى القرآن قد استقصينا ذكرها فى
كتاب المجازات. وقال بعضهم بل السنون الخداعة التى يكثر فيها
المطر ويقل العشب. وذلك ماخوذ من الخديعة فكان هذه السنين
تطمع اهلها فى الخصب والامراع بكثرة امطارها ثم تخلف المخايل
باتصال جدبها وامحالها والقول الاول اقرب الى الصواب واشبه
بالمراد **ومن ذلك قوله عليه السلم** تحابوا بذكر الله وروحه
وهذا القول مجاز لانه صلى الله عليه وعلى اله اراد بالروح هاهنا
القرآن تشبيها له بالروح القائمة بالحيوان المصححة لانتفاع الابدان
وهذا من التشبيه الواقع والتمثيل النافع لان انتفاع الناس بالقرآن
فى ارشاد السبيل ومصالح الدنيا والدين كانتفاع الابدان بالارواح
فى تصريف حركاتها وترتيب اراداتها وتصحيح لذاتها وشهواتها
وقد ذكرنا ذلك مشروحا فى مواضع من كتبنا فى علوم القرآن **ومن
ذلك قوله عليه السلم** قد اتتكم الشرف الجون. يعنى الفتن
المتوقعة. وهذا القول مجاز لانه عليه السلام شبه الفتن بالنوق
المسان لجلاله خطبها واستفحال امرها وجعلها جونا وهى السود

هاهنا الظلام منبجمها والبأس مخرجها والشرف جمع شارف وهي الناقة
المسنة • وهم يشبهون الحرب بها • قال الكميت الاسدي يصف حربا
مبسوسة شارفا مصرمة محلوبها الصاب حين تحتلب يقال تبرت الناقة
وابتسرت اذا حمل عليها الفحل ولم تضبع • وقد يجوز ان يكون الفائدة
في تشبيه الفتن بالمسان من الابل لانها اكره مناظر واقل منافع كما
يشبهون الحرب بالمراة العجوز • فقال بعضهم في ابيات شمطاء غانية عقيما
بطنها مكروهة للشم والتقبيل • وقال بعض العلماء الشرف هاهنا الفتن
التي يستشرفها الناس لعظمها والصحيح التاويل الاول • وقد روي
هذا الحديث بلفظ اخر رواه بعضهم الشرق الجون بالقاف اي امور عظام
تاتي من قبل المشرق وكلما اتى من ناحية المشرق فهو شارق فشارق
وشرق كشارف وشرف • والقول الاول اصح في النقل واشبه
بطريقة القوم **ومن ذلك قوله عليه السلم** في يوم حنين
لما راى مجتلد القوم الان حمي الوطيس وهذه اللفظة الاغلب عليها انها
من جملة الامثال من كلامه عليه السلام وقد شرطنا ان لا نذكرها هنا
لا تلك حاله الا ان لها بعض الدخول في باب الاستعارة فلذلك اردنا
الايماء اليها والتنبيه عليها • فقوله عليه السلام الان حمي الوطيس و
هو يعني حمس الحرب وعظم الخطب مجاز لان الوطيس في كلامهم حفيرة

تحتفز فتوقد فيها النار للاشتواء ويجمع على وطس فان احتفرت للاختباز
فهي ارة ويجمع على اربن ولا وطيس هناك على الحقيقة • وانما المراد ما ذكرناه
من حر القراع وشدة المصاع والتفاف الابطال واختلاط الرجال
ومن هناك قالت العرب اوقدت نار الحرب بين آل فلان وآل فلان • وقال
سبحانه مخرجا للكلام على مطارح لسانهم ومعارف اوضاعهم • كلما
اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله الاية • وتشبيه الحرب بالنار يكون من
وجهين • احدهما الحر مواقع السيوف وكرب ملابس الدروع وحمي العرق
لشدة العراك وكثرة الحركات • والوجه الاخر ان يكون انما شبهت
بالنار لانها تاكل رجالها وتفني ابطالها كما تاكل النار شعلها
وتحرق حطبها **ومن ذلك ما روي عنه عليه السلم** انه قال في خبر
مطعون في سنده • ترون ربكم يوم القيمة كما ترون القمر ليلة البدر
لا تضامون في رؤيته اخرى لا تضارون في رؤيته بالتشديد   وفي رواية
فيهما وفتح التاء وعامة المحدثين يقولون تضارون وتضامون بالتخفيف
وضم التاء كانه من الضير والضيم اي لا تختلفون في طلعه ولا تتمارون
في رؤيته فيضير بعضكم بعضا او يضيم بعضكم بعضا في دفعه عن ذلك
او الاستيثار به عليه والادراك له دونه • فاما من روى تضارون
وتضامون بفتح التاء وتشديد فالضرار هاهنا راجع الى معنى الضير هاهنا

لانه من المضارة وهي المفاعلة بين الاثنين فكان الضرار وقع بينهما
لاجل اختلافهما وتنازعهما • ومن قال لا تضامّون بالتشديد •
فمعناه انكم ترون القمر رؤية جلية لا تحتاجون معها الى ان ينضم
بعضكم الى بعض طلبا لرويته واستعانة على مشاهدته وهو ماخوذ
من الانضمام وهو الاجتماع للتقوى على نظر الشيء البعيد او الخفي
الضئيل **فصل** وهذا الخبر كما قلنا مطعون في سنده
ولو صح نقله وسلم اصله لكان مجازا كغيره من المجازات التي تحتاج
الى ان تحمل على التاويلات الموافقة للعقل • وبعد فهذا الخبر من
اخبار الاحاد فيما من شانه ان يكون معلوما فغير جائز قبوله لان كل واحد
من المخبرين يجوز عليه الغلط فيما يخبر به ويصح كونه كاذبا في نقله ولا
يجوز ان نقطع في ديننا على الشيء من وجه يجوز الغلط فيه لانا لا نامن لانا م
بالاقدام على اعتقاده من ان يكون جهلا ولا نامن من ان يكون اخبارنا
عنه كذبا وانما نعمل باخبار الاحاد في فروع الدين وما يصح ان يتبع
العمل به غالب الظن • ومما علقته عن قاضي القضاة ابي الحسن عبد
الجبار بن احمد عند بلوغي في القراءة عليه الى الكلام في الرؤية ان من
شرط قبول خبر الواحد ان يكون راويه عدلا • وراوي هذا الخبر قيس
بن ابي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي وكان منحرفا عن امير المؤمنين

علي عليه السلام ويقال انه كان من الخوارج وذلك يقدح في عدالته ويوجب
تهمته في روايته • وايضا فقد كان رمي في عقله قبل موته وكان مع
ذلك يكثر الرواية فلا يعلم هل روى هذا الخبر في الحال التي كان فيها
سالم التمييز او في الحال التي كان فيها فاسد المعقول وكل ذلك يمنع
من قبول خبره ويوجب اطراح روايته • واقول انا ومن شرط قبول
خبر الواحد ايضا مع ما ذكره قاضي القضاة من اعتبار كون راويه عدلا
ان يعرى الخبر المروي من نكير السلف • وقد نقل نكير جماعة من السلف
على راوي هذا الخبر منهم العرباض بن سارية السلمي وهو من مخضرمي
الصحابة روي عنه انه قال من قال ان محمدا راى ربه فقد كذب
وروي ايضا عن بعض ازواج النبي عليه السلام انها قالت من زعم ان
محمدا راى ربه فقد اعظم الفرية على الله • وقالت ذلك عند ذهاب
بعض الناس الى ان قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى • انما اريد بها
رؤية الله سبحانه لا رؤية جبريل عليه السلام كما يقول اهل العدل •
وايضا ففي هذا الخبر كاف التشبيه لانه قال ترونه كما ترون القمر
الذي هو في جهة مخصوصة وعلى صفة معلومة • واذا كان الامر كما
قلنا لم يكن للخبر ظاهر واحتجنا الى تاويله كما احتجنا الى ذلك في
غيره • وقد يجوز ان نحمله على ما حملنا عليه الاية • وهي قوله تعالى

وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة لانا نقول ان فى الكلام اسقاط
مضاف كانه تعالى قال الى ثواب ربها ناظرة • فكذلك هذا الخبر قد
يجوز ان يكون المراد به انكم ترون اشراط يوم المعاد وما وعد الله به واوعد
من الثواب والعقاب كما ترون القمر ليلة البدر يريد فى البيان والظهور
والاصحار للعيون • ولو كان هذا الخبر صحيح الاصل واضح النقل لكان
عندنا محمولا على العلم لان اطلاق لفظ الروية بمعنى العلم فى الكلام مشهور
والاستشهاد على ذلك كثير • وهذا موضع المجاز الذي يختص ذكره
بكتابنا هذا • واما اعتراض المخالفين على هذا التاويل بان النبى
عليه السلام اخرج هذا الكلام مخرج البشارة لاصحابه • ولا يجوز
ان يبشرهم بمعنى كان حاصلا لهم فى الدنيا وهو العلم بالله سبحانه
فهو اعتراض عليل واحتجاج مدخول • وذلك لان العلم بالله سبحانه
علم استدلال تعترضه الشكوك وتعتوره الشبه والظنون ويحتاج
العالم فى حل عقود تلك الشبه الى كلف ومشاق تتعب الخواطر وتعنى
الناظر فبشرهم عليه السلام بان ذلك يزول فى الاخرة فيكون علمهم
بالله سبحانه اضطرارا غير مشوب بكلفة ولا معقود بمشقة • وهذا
كقول القايل منا اذا اراد ان يخبر عن شدة تحققه للشئ انا اعلم
هذا الامر كما ارى هذه الشمس • وقوله من بعد لا تضامون فى رويته

او لا تضارون بالتخفيف والتشديد على الخلاف الذى قدمنا ذكره
متعلق بالتاويل الذى تاولناه من معنى العلم الذي لا شبهة فيه ولا شك
يعتريه والصحيح ان يكون الضمير فى قوله لا تضامون فى رويته راجعا
الى القمر لا الى الله سبحانه كانه قال تعلمون ربكم كما ترون القمر لا
تضامون فى رويته اى فى روية القمر • وقد يجوز ايضا ان يكون الضمير
راجعا الى الله سبحانه ويكون بمعنى العلم كانه قال تعلمون ربكم
كما ترون القمر لا تضامون فى علمه اى فى علم ربكم **ومن ذلك**
قوله عليه السلم انزل القران على سبعة احرف لكل اية ظهر وبطن • و
هذا القول مجاز لانه لا ظهر للاية ولا بطن على الحقيقة وانما المراد
ان لها نحوين ظاهرا وسرا وباطنا فالظهر هاهنا بمعنى الظاهر
والبطن بمعنى الباطن وهذا القول ينصرف الى الاي المتشابهة دون
الايات المحكمة لان المتشابهة هى التى لا ظاهر لها والمحكمة هى التى لا
باطن لها • والمتشابهة هى التى يستعمل فيها النظر ويعمل فيها الفكر
وتتفاضل العلماء فى استفتاح مبهمها واستنطاق معجمها **ومن**
ذلك قوله عليه السلم الخيل معقود بنواصيها الخير • وهذا القول
مجاز لان الخير فى الحقيقة ليس يصح ان تعقد به نواصى الخيل • وانما
المراد ان الخير كثيرا ما يدرك بها ويوصل اليه عليها فهى كالوسايل الى

بلوعه والارشيه الى قليبه فكانه معقود بنواصيها السترة ملازمة لها
وكثرة امتهان فرصه بها لانهم عليها يدركون الطوايل ويحوزون الغنايم
ويعوتون الاعداء ويبلغون العليا • ومما يقوى ذلك ما روى من تمام
هذا الخبر • وهو قوله عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الاجر
والغنيمة الى يوم القيامة • وفى هذا الكلام حث على ارتباط الخيل لما
فى ذلك من الغنم العاجل والاجر الاجل • فاما الغنم فما يدرك بها
من الاسلاب والانفال • واما الاجر فعلى ما يدفع بها من اعداء
الاسلام واشياع الضلال وكلا الامرين حيز تحوم الطلبات وتعلق
بر الرغبات ومن ذلك قوله عليه السلم لا تسئل المراة طلاق اختها
لتكتفى ما فى انايها • وفى هذا الكلام استعارة لانه عليه السلام
اراد ان المراة لا ينبغى لها ان تطلب طلاق اختها لتتصل بالزوج
الذى كان لها طلبا لان تجر حظها اليها وتستبد بالنفع عليها
فتكون كانها اكتفات ما فى انايها اى امالت الاناء الى نفسها فقلبته
لتستفرغ ما فيه وتستاثر عليها برتقال كفات الاناء اذا كببته وقلبته
اذا شربت ما فيه اجمع او اكلت ما فيه اجمع ومن ذلك قوله عليه السلم
تنكح المراة لميسمها • وهذا القول مجاز لانه لا ميسم هناك على الحقيقة
وانما اراد عليه السلام انها تنكح لاثر الجمال الظاهر عليها وجعل الجمال ميسما

لها بما لغتر فى وصفه بالعلوق بها والظهور على وجهها كما يشتهر اثر
الميسم الذى تكوى به الابل فلا تذهب الا بذهاب الجلد الذى اثر فيه وعلق
به • ويقولون فى امثالهم يبقى بقاء الوسم اذا وصفوا الامر بالخلود و
الدوام والبقاء على الايام ومن ذلك قوله عليه السلم الاسلام يجب
ما قبله • وهذا القول مجاز لان اصل الجب هو اجتزال السنام من اصله
فكانه عليه السلام جعل مستاصلا لكل ذنب تقدم للانسان قبله حتى لا
يدع له جناية يحذر عاقبتها ولا معرة يسوءه الحديث عنها بل يعفى
على ما تقدم من السوات ويحثوا على ما ظهر من العورات ومن ذلك
قوله عليه السلم فى وصيته لامراء الجيش الذى بعثه الى موتة و
ستجدون اخرين للشيطان فى رؤوسهم مفاحص فافلقوها بالسيوف
وهذه من الاستعارات العجيبة والمجازات اللطيفة وذلك ان من كلام
العرب ان يقول القايل منهم اذا اراد ان يصف انسانا بشدة الارتكاز فى
غيه والارتكاص فى عنان بغيه قد فرخ الشيطان فى راسه او قد عشش
الشيطان فى قلبه فذهب عليه السلام الى ذلك الوضع وبنى على ذلك الاصل
فقال للشيطان فى رؤوسهم مفاحص والمفحص فى الاصل الموضع الذى
تبحثه القطاة لتجثم عليه او لتبيض فيه وانما قيل له مفحص لانها لا تجثم
فيه الا بعد ان تفحص التراب عنه بوطية لجثمها او تمهيدا لجثمها و

يقال ما بقي لفلان مفحص قطاة اذا لم يبق له ربع يؤويه ولا حرى يكون
فيه ويحتمل قوله عليه السلام للشيطان في رؤوسهم مفاحص احد معنيين
احدهما ان يكون اراد ان الشيطان قد بدا يخدعهم ويغرهم ويستهويهم
ويضلهم ولم يبلغ بعد من ذلك غايته ولا استوعب خديعته كالقطا
التي بدات باتخاذ المفحص لتبيض به وترتب فراخها فيه • والمعنى الاخر
ان يكون اراد ان الشيطان قد استوطن رؤوسهم فجعلها له مقيلا
ومبركا وملعبا ومتمعكا كما تتخذ القطاة مفحصا لتاوي اليه
وتستجن فيه **ومن ذلك قوله عليه السلم** اجد نفس ربكم من قبل
اليمن • وهذا القول مجاز لانه عليه السلام اراد ان غوث الله ونصره
ياتيان من قبل اليمن يعني القبيلة لا البلدة والقبيلة هم الانصار
اللذين نفس الله بهم خناق الدين وكشف بايديهم كرب المومنين و
من كلامهم انت في نفس من امرك اي في متسع طويل ومضطرب عريض
ويقول القايل اللهم نفس عني اي فرج كربي واكشف همي ومما يقوي
هذا التاويل الحديثان المرويان عنه عليه السلام في مثل هذا المعنى
واحدهما قوله عليه السلام لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن يريد
انه تعالى يفرج بها الكروب ويطرد بها الجدوب • والحديث الاخر
قوله عليه السلام الريح من روح الله • فقوله من روح الله كقوله من

نفس الرحمن والمعنيان متقاربان **ومن ذلك قوله عليه السلم** الحمى رايد
الموت وهي سجن الله في الارض يحبس بها عبده اذا شاء ويرسله اذا شاء
وفي هذا الكلام استعارتان عجيبتان احداهما قوله عليه السلام الحمى
رايد الموت تشبيها لها برايد الحي الذي يتقدمهم فيرتاد لهم مساقط السحاب
ومنابت الاعشاب فيكون رحالهم على حزم واستنانهم الى نظره ومنه
الحديث الرايد لا يكذب اهله فكانه عليه السلام جعل الحمى مقدمة للموت و
طليعة للحتف والاستعارة الاخرى قوله عليه السلام وهي سجن الله في
الارض يحبس بها عبده اذا شاء ويرسله اذا شاء فكانه عليه السلام شبهها
بالسجن من حيث منعت صاحبها من التصرف والاضطراب وعقلته
عن قضاء الارآب فكان اسيرها حتى تطلقه ورقيقها حتى تعتقه •
ومثل ذلك الحديث الاخر • وهو قوله عليه السلام الدنيا سجن المومن وجنة
الكافر • لانه عليه السلام شبه الدنيا بالسجن للمومن من حيث قصر فيها
خطوه عن اللذات وكبح لجامه عن الشهوات وحصر نفسه عن التسرع
الى ما تدعوا اليه الدواعي الحزينة والاهواء المردية وكان زمام نفسه
وخطامها وهاديها وامامها خايفا خوف الجاني المرعوب والطريد
المطلوب في عصبة عملوا للمعاد وفطنوا للمراد تحسبهم من طول سجودهم
امواتا ومن طول قيامهم نباتا • ومن حسن ما سمعته في هذا المعنى ان بعض

الزهاد المنقطعين طلب القوت من بعض الراغبين المفتونين فقيل له
في ذلك فقال انا مسجون وهو مطلق وهل ياكل المسجون الا من يد
المطلق ٭ وشبههما عليه السلام بالجنة للكافر من حيث استوعب منها
شهواته واستفرغ لذاته وقضى فيها الاوطار وتعجل المسار واستوفى
عاجل حطامها وربق جامها فنسي العاقبة واستهان بالمغبة فكان
ميت الاحياء كما كان المومن حي الاموات ٭ ولي في بعض كتبي فصل يليق
هذا الموضع وذلك قولي فالحمد لله الذي جعل اهل طاعته احياء في
مماتهم كما جعل اهل معصيته امواتا في حياتهم **ومن ذلك قوله عليه السلام**
كيف انتم اذا مرج الدين في حديث طويل ٭ وفي هذا القول مجاز لان
اصل قولهم مرج الشيء ماخوذ من القلق والاضطراب والمجيء والذهاب
يقال مرج الخاتم في الاصبع اذا قلق وتحرك ٭ فكانه عليه السلام وصف
دين الناس على ذلك العهد بالتكفي والموجان واضطراب الاركان والمراد
بذلك اضطراب اهل الدين فيه وقلة ثباتهم عليه قال الشاعر ٭ مرج
الدين فاعددت له ٭ مشرف الحارك محبوك الكتد ٭ ومثل هذا الحديث
الحديث الاخر وهو قوله عليه السلام لعبد الله بن عمر وكيف انت اذا
بقيت في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وامانتهم اي لا يستقرون
على عهد ولا يقيمون على عقد فصفهم عليه السلام بقلة الثبات و

كثرة

كثرة الانتقالات والمراد اصحاب الامانات والعهود وان كان
ظاهر اللفظ يتناولها وصريح الكلام متعلق بها وذلك ايضا من جملة
المجازات المقصود بيانها في هذا الكتاب ٭ والحثالة الردي من كل
شيء واصلها ما يتهافت من قشارة التمر والشعير ٭ يقال حثالة
وحثالة ٭ فشبه عليه السلام بذلك الرذال الباقين من الخيار
الذاهبين ٭ وهذا ايضا داخل في باب المجاز **ومن ذلك قوله
عليه السلام** وقد خرج ذات يوم محتضنا احد ابنيه الحسن والحسين
عليهم السلام لتجبنون وتبخلون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله وان
اخر وطاة وطئها الله بوج في كلام طويل ٭ وفي هذا الكلام مجازان
احدهما قوله عليه السلام وانكم لمن ريحان الله وللريحان هاهنا
وجهان ٭ احدهما يكون الكلام به استعارة ٭ والاخر يكون به حقيقة
فاما الوجه الذي يكون به حقيقة فهو ان يكون الريحان بمعنى الرزق
وقد قيل انه الرزق الذي يوكل خصوصا ٭ ومن كلامهم خرجنا
نطلب ريحان الله اي رزق الله والولد من رزق الله سبحانه
فصار الكلام حقيقة واما الوجه الذي يكون به استعارة فهو ان
يكون الريحان هاهنا يراد به النبت المخصوص الذي يستطاب للتشميم
فجعل الولد بمنزلته لانه يستلذ شم ريحه ويستروح الى استنشاء

حفالة صح

عرفهم وعادة الناس معروفة في شم الولد وضمه واصل الريحان ماخوذ
من الشئ الذى يستروح اليه ويتنفس من الكرب به وعلى ذلك قول
الشاعر • سلام الاله وريحانه ورحمته وسماء درر • واصله بالواو
كانه ماخوذ من الروح • والمجاز الاخر قوله عليه السلام وان اخر
وطاة وطئها الله بوج • واصح ما قاله العلماء في تاويل هذا الخبر
ان فيه مضافا محذوفا تقديره ان يكون وان اخر وطاة وطئها جند
الله او رسول الله بوج ووج جبل بالطايف • وهذا كما نقول في قوله
تعالى • والذين يؤذون الله ورسوله • اى يؤذون اولياء الله واصفياء
الله لان حقيقة الاذى لا تصح على الله سبحانه • والمراد بذكر الوطاة
بوج ان اخر ايقاع الله سبحانه بالمشركين على ايدى المؤمنين بوج
ولذلك قال سفين بن عيينة اخر غزاة غزاها رسول الله صلى الله
عليه وعلى اله الطايف يريد انه لم يغز بعدها غزاة فيها قتال
لان مخرجه عليه السلام الى تبوك من بعد لم يلق فيه كيدا ولم يقاتل
احدا • والعرب تكنى عن الوقيعة او الحال الشديدة بالوطاة يقولون
وطئ ال فلان ال فلان في يوم كذا او في مكان كذا وطاء شديدا
ومنه ما حكى عن ابي سفين بن حرب انه خرج يوما بعد وفاة النبي
عليه السلام الى ظاهر المدينة فلما نظر الى احد قال لقد وطئنا محمدا

واصحابه

واصحابه هاهنا وطاء شديدا • ومن ذلك قول النبي عليه السلام
اللهم اشدد وطاتك على مضر • اى اصبهم بالشدايد واقرعهم بالقوارع
ومنه قول الشاعر • ووطئتنا وطاء على حنق وطاء المقيد نابت الهرم
وانما قال المقيد لان وطئه اشد واعتماده اثقل • وقال الاخر
وطئتنا ايما وطاة المتثاقل • وقوله عليه السلام في اول الحديث
انكم لتجبنون وتبخلون وتجهلون كالحديث الاخر الولد مجبنة مبخلة
مجهلة • فكانه عليه السلام لتجبنون وتبخلون وتجهلون يريد انكم
علة لتجبين الناس اباءكم وتبخيلهم وتجهيلهم فاضاف من الاحوال
الى الابناء اذ كانوا سببها للاباء • وهذا ايضا مجاز ثالث في
الخبر الذي كلامنا عليه ومن ذلك قوله عليه السلم لو تعلمون ما
يكون في هذه الامة من الجوع الاغبر والموت الاحمر • وهاتان
الاستعارتان من احسن الاستعارات لان الجوع ابدا انما كان
يلحق العرب في اللاواء والازمات والسنين المجدبات وتلك
السنون تسمى غبرا لاغبرارها فامتا من قلة الامطار واما منها
من عدم النبات والاعشاب ويقولون هذه حجج غبر اذا كانت
كذلك الا ترى الى قول الشاعر • اغر يباري الريح في كل شتوة • اذا
اغبر اقدام الرجال من المحل • وقيل عام الرمادة لهذا المعنى على احد

القولين • والقول الاخر انه انما سمى بذلك لهلاك الناس فيه ماخوذ
من الرمد وهو الهلاك قال الشاعر • صبت عليهم حاصبى فتركتهم
كاصرام عاد حين جللها الرمداى الهلاك • والاستعارة الاخرى
قوله عليه السلام والموت الاحمر • وهذه طريقة للعرب فى وصف اليوم
العماس واشتداد الباس بالحمرة فكما يقولون يوم احمر كذلك يقولون
موت احمر • قال الشاعر فى صفة الاسد • اذا علقت اظفاره فى فريسة
راى الموت فى عينيه احمر اسودا • وقد يجوز ان يكونوا انما وصفوا يوم
الحرب بالحمرة لاحمرار ارضه وسلاحه باسابى النجيع والعلق الصبيب
لكثرة الجراح التى تحتمر من نضحها معارف الابدان وسرابيل الاقران
واذا ساغ هذا فى صفة اليوم ساغ مثله فى صفة الموت **ومن ذلك**
قوله عليه السلم لازواجه اسرعكن لحاقا بى اطولكن يدا • والحديث
انهن لما سمعن منه صلى الله عليه وعلى آله هذا القول جعلن يتذارعن
ينظرن ايهن اطول يدا الى ان توفيت زينب بنت جحش بن رئاب
الاسدى اول من توفى منهن وكانت كثيرة المعروف فعلمن حينئذ
انه عليه السلام انما اراد بطول اليد كثرة البر وبذل الوفر • وكناية
عليه السلام عن هذا المعنى بطول اليد مجاز واتساع لان الاغلب ان
يكون ما يعطيه الانسان غيره من الرفد والبر ان يعطيه ذلك بيده

فى

فسمى النيل باسم اليد اذ كان فى الاكثر انما يكون مدفوعا بها ومجتازا
عليها • وقد اشرنا الى هذا المعنى فيما تقدم • ومثل ذلك قول
امير المومنين على عليه السلام من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة
ومعنى هذا القول ان من يبذل خير الدنيا يجزه الله خير الاخرة
وكنى عليه السلام عن ما يبذل من نفع الدنيا باليد القصيرة لقلته
فى جنب نفع الاخرة لان ذلك زايل ماض وهذا مقيم باق • وقد
ذكرنا ذلك فى كتابنا الموسوم بنهج البلاغة • وقد جمعوا اليد التى
هى الجارحة على ايد واياد وهو شاذ فيها كما جمعوا اليد التى هى
العطية على اياد وايد وهو شاذ فيها • وقد جاء ايضا فى جمعها يدى
انشدنا شيخانا ابو الفتح عثمن بن جنى وابو الحسن على بن عيسى الربعى
واظنه من ابيات الكتاب • ولن اذكر النعمى الا بصالح فان لها عندى
يديا وانعما **ومن ذلك قوله عليه السلم** مات حتف انفه •
وذلك مجاز لانه جعل الحتف للانف خاصا وهو فى الحقيقة له عاما
لان الميت على فراشه من غير ان يعجله القتل انما يتنفس شيئا فشيئا
حتى ينقضى ذماؤه وتفنى حوباؤه فخص عليه السلام الانف بذلك
لانه جهة لخروج النفس وحلول الموت ولا يكاد يقال ذلك فى ساير الميتات
حتى يكون الميتة ذات مهلة وتكون النفس غير معجلة فلا يستعمل ذلك فى

الميتة بالغرق والهدم وجمع فجاءات الموت • وانما يستعمل في العلة
المطاولة والميتة المماطلة • وروي عن امير المومنين علي عليه السلام
انه قال ما سمعت كلمة عربية من العرب الا وقد سمعتها من رسول الله صلى
الله عليه وعلى اله وسمعته يقول مات حتف انفه وما سمعتها من عربي
قبله **ومن ذلك قوله عليه السلام** اياكم وخضراء الدمن ولهذا
القول تعلق بباب المجاز وللعلماء في تاويله قولان احدهما انه عليه السلم
نهى عن نكاح المراة على ظاهر الحسن ويكون في المنبت السوء او في البيت
السوء فوجه المجاز من هذا القول انه عليه السلام شبه المراة الحسناء
بالروضة الخضرة لجمال ظاهرها وشبه منبتها السوء بالدمن لقباحة
باطنها والدمن هي الابعار المجتمعة تركبها السوافي وتعلوها الهابي
فاذا اصابها المطر انبتت خضرا يروق منظره ويسوء مخبره فنهى عليه بيتا مع
السلام عن نكاح المراة اذا كانت مغموصة في نفسها او مطعونا عليها
في حسبها لان اعراق السوء تنزع الى اولادها وتضرب في نسلها قال
الشاعر وادركته خالاته فخذلنه الا ان عرق السوء لابد مدرك
والقول الاخر ان يكون عليه السلام انما نهى في الحقيقة عن تقارض
النفاق وتغاير الاخلاق وان يلقى الرجل اخاه بالظاهر الجميل
ينطوي على الباطن الذميم او يخدعه بحلاوة اللسان ومن خلفها

مرارة الجنان والى هذا المعنى ذهب الشاعر في قوله • وقد ينبت المرعى على
دمن الثرى • وتبقى حزازات النفوس كما هيا • كانه اراد انا وان
لقيناكم بظاهر الطلاقة والبشر فانا نضمر لكم على باطن الغل والغمر
مثل هذا قول الاخر • وفينا وان قيل اصطلحنا تضاغن كما طر اوبار
الجراب على النشر • وقال اهل العربية النشر ان ينبت وبر البعير وتحته
داء العر وهو الجرب يعني كان ظاهره سليم وباطنه سقيم **ومن
ذلك قوله عليه السلم** الانصار كرشي وعيبتي • وفي هذا
القول مجازان • احدهما قوله عليه السلام كرشي • ويحتمل ذلك
معنيين • احدهما ان يكون اراد عليه السلام انهم مادتي التي اقوى بها
وافزع اليها كما تفزع ذوات الاجترار الى اكراشها في انتزاع الجرة
منها والاعتماد عند فقد المرعى عليها • فاراد عليه السلام ان
الانصار رحمة الله عليهم يمدونه بانفسهم ويكون معولة في السراء و
الضراء عليهم • والمعنى الاخر ان يكون المراد ان الانصار اهلي وعيالي
وخاصتي وجماعتي والكرش اسم للجماعة • قال الشاعر • وسبينا بنات
قيصر قسرا • واستبحنا كراكرا وكروشا • اي جماعات • وقال ابو زيد
الكرش اسم من اسماء الاصل كالسنخ والجذم وما في معناهما • ويقول
القايل لفلان كرش منثورة اذا اراد انه ذو كثرة من العيال وعدد من

الاولاد ومعنى منشورة انهم متفرقون متشعبون لان الكرش مجتمعة
وهولاء مشبههم بها كالشعب المتفرقة وانما شبه العيال والاولاد بالكرش
لانها في الانعام مستقر الاعلاف ومغيض لما يصل الى اجوافها وكذلك
عيال الرجل وولده اليهم تنصرف مكاسبه وعليهم تنفق حرائبه • و
المجاز الاخر قوله عليه السلام وعيبتي واراد انهم موضع ثقتي ومستودع
نفثتي ومكان سري والجاء ظهري كالعيبة التي يودعها الانسان
نفائس ذخره وكرائم وفره ويكون ما استودعها قوة لظهره وعدة
لدهره • وقد ذكر الواقدي في كتاب المغازي هذا الكلام في جملة خطبة
النبي التي خطب بها قبيل وفاته بزيادة في الفاظه فقال فيه
صلى الله عليه واله وسلم الا ان الانصار عيبتي التي آوي اليها ونعلي
التي اطاء بها وكرشي التي اكل منها • وها هنا زيادة مجاز لم يكن هناك
وهو قوله عليه السلام ونعلي التي اطاء بها ولهذا القول وجهان احدهما
ان يكون شبههم بالنعل التي تقي القدم نكب الطراق وخز الشوك
وما في معنى ذلك فاراد انهم يقونه حد الاعداء واشتداد للاواء • والوجه
الاخر ان يكون اراد انهم جنوده التي يطاء بها البلاد ويذل الاضداد
وتقول العرب داس ال فلان ال فلان ووطي بنو فلان بني فلان اذا
كانوا الغالبين لهم والعالين عليهم • ومن ذلك ما حكى عن ابي سفين بن

حرب انه قال وقد مر باحد لقد دسناها هنا محمدا واصحابه دوسة
منكرة ونروى وطئا **ومن ذلك قوله عليه السلام** لحكيم بن حزام بن خويلد
بعد اسلامه • وقد الحف في سؤاله صلى الله عليه وعلى اله لما قسم غنايم
هوازن • يا حكيم ان هذا المال خضرة حلوة فمن اخذه بسخاوة نفس بورك
له فيه ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه في كلام اكثر من هذا •
فقوله عليه السلام ان هذا المال خضرة حلوة مجاز لانه شبه حلاوة
المال في القلوب بحلاوة الثمرة الطيبة في الافواه فكما ان هذه الثمرة
الحلوة تشرف النفس اليها وتكثر التتبع لها فكذلك الاموال التي
تلهج النفس بها وتكثر النزوع اليها • وفي قوله عليه السلام خضرة حلوة
سر لطيف وهو انه شبه المال بالثمرة التي حسن منظرها وطاب مخبرها
وليس كل ثمرة ماكوله كذلك صفتها لان في النابتات والثمرات ما يحسن
ظاهره ويقبح باطنه ومنها ما يقبح ظاهره ويحسن مخابره فجعل عليه السلم
المال من قسم النابتات التي تروق في العيون وتحلو في الافواه والقلوب
والمال على الحقيقة بهذه الصفة لان العيون تعلقه والقلوب
تعشقه • ومما يشبه ذلك قوله عليه السلم من خضر له في شيء لزمه والمراد من
اعتاد الانتفاع بشيء علق به وتوكل عليه فكانه شبه تلويح الامر المنتفع
وايذانه بالخير المرجو من جهته بالخضرة الطالعة اذا اذنت بالثمرة اليانعة

ومن ذلك قوله عليه السلام الصدقة ما كان عن ظهر غنى وهذا
القول مجاز لان المراد بذلك ان الصدقة انما تجب عليه الصدقة اذا
كانت له قوة من غنى والظهر هاهنا عبارة عن القوة فكان المال
للغنى بمنزلة الظهر الذي عليه اعتماده واليه استناده • ومن ذلك
قولهم فلان ظهر لفلان اذا كان يتقوى به ويلجا في الحوازب اليه •
وقد جاء في السير ان المسلمين كانوا عند حفر الخندق بالمدينة يرتجزون
بجعيل بن سراقة الضمري ويقولون سماه من بعد جعيل عمرا • وكان
للبائس يوما ظهرا • وكان النبي عليه السلام يقول معهم عمرا وظهرا
ولا يقول باقي الشعر وكان جعيل بن سراقة يعمل معهم ويقول مثل قولهم
ويضحك اليهم فعلموا انه لا يسوءه ارتجازهم به • وكان النبي عليه السلام
قد سماه عمرا واسمه الاظهر جعيل ويقال جعال وكان رجلا صالحا
من قدماء المهاجرين ومن البدريين والذين شهدوا المشاهد كلها
مع النبي عليه السلام وكان له مع ذلك اختصاص بخدمته وملازمة
لمنزله وكان من فقراء الصحابة ولما قسم النبي صلى الله عليه وعلى
اله غنايم حنين لم يعط الانصار منها شيا ولا كثيرا من المهاجرين
وفرقها في قريش والمولفة قلوبهم ليثبتوا على الاسلام ويومن منهم
الفساد • وكان جعيل بن سراقة ممن حرم العطية فكلم سعد بن ابي وقاص

النبي عليه السلام في شانه وقال يا رسول الله تحرم جعيلا مع ما تعلم من
خلته وما له من حرمته وتعطي عيينة بن حصن والاقرع بن حابس وفلانا
وفلانا فقال عليه السلام اما والذي نفسي بيده لجعيل بن سراقة خير
من طلاع الارض مثل عيينة والاقرع ولكني تالفتهما ليسلما ووكلت
جعيل بن سراقة الى اسلامه • ومما في هذا المعنى ايضا قول القايل
اعطيت فلانا كذا عن ظهر يد اي عن امتناع وقوة ولم اعطه عن خيفة
وذل وهذا المعنى ضد قوله سبحانه حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
فكان خلع لفظ الظهر من الكلام عين المعنى والمراد بذلك هاهنا على
الاظهر من التاويلات التي ذكرناها في كتاب مجازات القران ان يكون
حتى يعطوا الجزية عن قهر وذلة وخيفة ورهبة فهو نقيض قول
القايل اعطيته عن ظهر يد اي عن اختيار ومشية واستظهار
وقوة ومن ذلك قوله عليه السلام اللهم اني احمدك على الرزق
الساكن والليل النايم • ووصف الليل بالنوم مجاز لان النوم انما
يكون فيه لا منه ولكنه لما كان مظنة للنوم وظرفا له حسن ان
يوصف به ويضاف اليه وعلى هذا قول جرير • لقد لمتنا يا ام غيلان
في السرى ونمت وما ليل المطي بنايم ومن ذلك قوله عليه السلام
من اكل من هاتين البقلتين فلا يقربن مسجدنا يعني الثوم والكراث

فمن كان اكلهما لا بدّ فليمتهما طبخا. وهذا القول مجاز لانّ الاماتة
على الحقيقة لا تلحق الا ذا حياة وانما المراد فليستخرج ما فيهما من
القوّة التي عنها تكون شدّة الرايحة المكروهة بالطبخ لتشبها بالميت الذي
لا يبلغ الى مفارقة الحياة الا بعد بلوغ قوتر منقطعها وتفريق الموت مجتمعها
وفي رواية اخرى فليميتهما طبخا بالنار اي فليطبخهما حتى تنقشا فتنهما
ومن ذلك قوله عليه السلم المومن مراة اخيه. وفي رواية اخرى
مراة اخيه المومن يرى فيه حسنه وقبحه. وهذا القول مجاز و
استعارة والمراد ان المومن الناصح لاخيه المومن يبصره مواقع رشده
ويطلعه على خفايا عيبه فيكون كالمراة له ينظر فيها محاسنه فيحسنها
ويزداد منها ويرى مساويه فيستقبحها وينصرف عنها ومن ذلك
قوله عليه السلم اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع. وهذا القول مجاز لان
اليمين الفاجرة على الحقيقة لا تخرب الديار ولا تعفي الاثار وانما
المراد ان الله سبحانه اذا اقدم الحالف على اليمين الفاجرة استهانة بها
واستغرارا بالعقوبة المرصدة عليها قطع تعالى دابره واخرب منازله
ورداه رداء خزيه وقنعه قناع بغيه ومن ذلك قوله عليه السلم
في حديث يخص بصلاة الجمعة تصلي في حلاقيم البلاد. وهذا الكلام
مجاز وحلاقيم البلاد عبارة عن نواحيها واطرافها والمداخل اليها

فكانه عليه السلام شبه تلك الاطراف المفضية الى الاوساط بالحلاقيم
التي هي الطرق الى الاحشا والاجواف ومن ذلك قوله عليه السلام
اني ممسك بحجزكم هلموا عن النار وتغلبونني تقاحمون فيها تقاحم الفراش
والجنادب واوشك ان ارسل حجزكم. وفي هذا الكلام مجاز وتوسع
وذلك ان المراد بانه عليه السلام بالغ في زجر امته عن التقحم في المعاصي
والارتكاس في الضلال والغاوي لشكائم المنع وخزائم الردع فشبه ذلك
عليه السلام بامساك الرجل بحجزة صاحبه اذا كاد ان يسقط في
مهواة او يرتكس في مغواة يتماسك بامساكه وينجو بعد اشفائه فلما
شبه احدى الحالتين بالاخرى اجرى عليهما الاسم على سبيل المجاز و
طريق الاتساع وحسن ان يقول عليه السلام اني اخذ بحجزكم عن النار
ومراده عن الاعمال المودية الى دخول النار لان السبب للشيء جار مجرى
نفس الشيء. ومما يبين ان المراد ذلك انهم لم يكونوا في حال سماعهم لهذا
الخطاب متهافتين في النار وانما كانوا في الاعمال التي يستحقون بها
عذاب النار. ومما يشبه هذا الخبر ما روي من قوله عليه السلام يخرج من
النار قوم بعد ما امتحشوا وصاروا حمما وفحما فمعنى هذا الكلام عندنا
انه يخرج من استحقاق النار بالتوبة قوم هذه صفتهم وهذا على طريق
المجاز اي انهم باعمالهم المودية الى دخول النار كمن احرق بضرمها وصار

من جمهما ومعنى امتحشوا احترقوا • والمرجئة يحملون هذا الخبر على ظاهره
ولا يفزعون الى تاوله • ومعنى هلموا عن النار اى ارجعوا الى طاعة
الله سبحانه التى هى الامان من العذاب وجانبوا معاصيه التى هى
الطريق الى العقاب • ومعنى تغلبوننى تقاحمون فيها اى اننى مع كثرة
الزجر لكم والاعذار اليكم تتقلتون وتنازعون الى المقبحات كما
يتهافت الفراش فى الشهاب والذباب فى الشراب • ومعنى واوشك
ان ارسل حجزكم اى اوشك ان يطرقنى طارق الموت فتفقدون نهيى لكم
عن المعاصى واخذى بكم عن طرق المغاوى فجعل ذلك عليه السلام بمنزلة
ارسال حجزهم والقاء ازمتهم وهذا مجاز ثان ومن ذلك قوله عليه السلم
لمحلم بن جثامة الليثى فى قتله عامر بن الاضبط الاشجعى وهو مسلم
اقتلته فى غرة الاسلام • وهذه استعارة واراد عليه السلام بغرة
الاسلام اوله تشبيها بغرة الفرس التى هى اول ما يستقبلها منه
المستقبل ويراها المتامل وبها ايضا تشهر شيته وتتميز صورته
ويقولون هذا غرة الشهر اى اوله لانه اول عدده ومبتدا مدخله
ويقولون فلان غرة قومه اذا كان المنظور اليه منهم والمعول عليه
من بينهم ومن ذلك قوله عليه السلم فى مثل ضرب لقريش بطول
الكتاب بذكره وتقطع الناس فى اثاره حتى بعثت عجز من الناس عظيمه

وهذه استعارة لان المراد بالعجز هاهنا مآخير الناس وعقابيلهم
تشبيها بعجز الناقة او غيرها من الدواب لان اول ما يتحرك للسير
هاديها وعنقها ثم يتبعه ردفها وعجزها فسمى القوم الذين يتاخرون
فى السير اعجازا كما سمى المتقدمون اعناقا يقال قد طلعت اعناق
القوم اى اوائلهم ومتقدموهم وجاءت اعجازهم اى اواخرهم ومتبطوهم
وعلى هذا سموا متقدمى القوم فى الوجاهة والمنزلة اعناقا ورووسا
وقد اشرنا الى ذلك فيما تقدم • وقد يجوز ان يكون الحديث المروى
يجى المؤذنون اطول الناس اعناقا يوم القيمة من هذا ايضا يريد
انهم يوافون يوم القيمة اوجه الناس وجوها ورووسا فيكون قولنا
الطول هاهنا من الطول لا من الطول • ولا بد ان يكون المراد بالناس
هاهنا الخصوص دون العموم كانهم يكونون فى القيمة اوجه الناس من
الذين هم كالنظراء لهم وفى الطبقة معهم لانهم لا يجوز ان يكونوا
يومئذ اعظم وجاهة من النبيين والصديقين والشهداء و
الصالحين ومن ذلك قوله عليه السلم لعثمن بن مظعون رحمه
الله لما اراد الاختصاء والسياحة خصاء امتى الصيام • وهذا
القول مجاز لانه عليه السلام اراد ان الصيام يميت الشهوات
ويشغل عن اللذات كما ان الخصاء فى الاكثر يكسر النزوة ويقطع الشهوة

وَمما يؤكد ذلك الخبر الاخر المروي عنه عليه السلام قال من استطاع
منكم الباءة فليتزوج وَمن لم يستطعه فليصم فانّ الصوم وجاء
وَالوجاء الخصاء . وسمعت شيخنا ابا بكر محمد بن موسى الخوارزمي
عفا الله عنه يقول في اثناء قراءتي عليه وقد اعترض ذكر الخلاف
في وجوب النكاح يمكن الاستدلال بهذا الخبر على انّ النكاح غير واجب
خلافا لداود فانه يقول انه واجب على الرجل مرة في عمره . قال
وَموضع الاستدلال منه انه عليه السلام نقل النكاح الى الصوم
وَجعل الصوم بدلا منه . وَالابدال حكمها حكم المبدلات فلو كان
الاصل واجبا كالتيمم وَالماء وَابدال الكفارات فلما كان الصوم
الذي هو بدل من النكاح غير واجب دل على انّ المبدل ايضا وهو النكاح
غير واجب ومن ذلك قوله عليه السلام لامير المومنين علي بن ابي
طالب عليه السلام انّ لك بيتا وانك لذو قرنيها . وَهذه استعارة
لانّ المراد انك ذو قرني الامة فكانه عليه السلام قال وَانك راس
هذه الامة لان الراس هو ذو القرنين لانّ القرنين انما يكونان
فيه ويظهران عليه . وهذا الخبر على هذا التاويل من الاخبار
الدالة على انّ امير المومنين عليه السلام افضل الناس بعد رسول
الله صلى الله عليه وعلى آله اذ كان راس امته وَرئيس اسرته

ومثل

ومثل قوله عليه السلام لذو قرنيها في ان المراد به الامة وان لم يجر لها
ذكر . قوله تعالى حتى توارت بالحجاب . وَقوله سبحانه . وَلو دخلت
عليهم من اقطارها . في انّ المراد الشمس وَالمدينة وان لم يجر لهما ذكر
وقد قال بعضهم المراد بهذا الخبر انك في هذه الامة كذي القرنين في
امته وعلى هذا التاويل ايضا لا بد من تسليم الرياسة له على كافتهم
لانّ ذا القرنين كان مستتبع ازمة الملوك كلهم والعالي بالقدرة
والبسطة على جماعتهم هذا ان كانَ ذو القرنين هو الاسكندر
الرومي على ما يقوله بعضهم . وان كان اسم نبي من الانبياء على ما
يقوله آخرون فموضع الاحتجاج بالفضل ايضا موجود لانّ
ذلك النبي في دهره كان افضل امته وخيار اهل دعوته . وقد
روي عن امير المومنين عليه السلام انه قال وقد ذكر ذا القرنين
فقال دعا قومه الى عبادة الله فضربوه على قرنيه ضربتين وان
فيكم لمثله فيرى انه عليه السلام اراد بهذا القول نفسه اي انا
ادعو الى اتباع الحق وسأضرب على راسي ضربتين يكون فيهما
منيتي فاكون كذي القرنين . وقد يجوز ان يكون النبي عليه السلام
اراد بقوله وانك لذو قرنيها هذا المعنى والله اعلم . وقال
بعضهم انه عليه السلام لما ذكر في اول الكلام الجنة قال وَانك لذو قرنيها

يريد قرني الجنة اي طرفيها فكانه وصفه ببلوغ غايات الشاين فيهما
وفي هذا القول بعد • وحكى عن ثعلب انه سئل عن هذا الحديث فقال
اراد عليه السلام انك ذو جبليها يعني الحسن والحسين عليهما السلام
قال ويجوز ان يكون قوله ذو قرنيها يريد به طرفي الامة اي انت في
اولها والمهدي من ولدك في اخرها • قال ويجوز ان يكون ذلك من
قولهم عصرت الفرس قرنا او قرنين اي استخرجت عرقه بالجري مرة او مرتين
فكانه عليه السلام ذو اقتباس العلم الظاهر واستخراج العلم الباطن و
الاعتماد على ما قدمنا ذكره من التاويل الاول وهو من استنباطي
ومن ذلك قوله عليه السلام اخاف عليكم اذا صبت الدنيا عليكم
صبا • وهذه استعارة لانه عليه السلم اراد اذا غمرتكم الدنيا بنعمائها
وعمتكم بفوائدها وعوائدها فشبه كثرة ذلك بالوبل الغزير
المنصب على الانسان في انه يبله بدفعاته ويغمره من جميع جهاته
ومثل ذلك قولهم انغمس فلان في الدنيا انغماسا اذا اكثر التباسه
بها وعظم اخذه منها تشبيها لها بغمرة الماء اذا خاضها الخائض
او شرع فيها القابس **ومن ذلك قوله عليه السلم** كل عين زانية
وهذه استعارة لانه عليه السلام لم يرد حقيقة الزناء المذموم • وانما
اراد ان كل عين لا بد ان تكون لها طمحة الى حسن او طرحة الى اريب

وان

وان كان ذو التقوى يكبح نفسه بالشكيم ويعرك شهوته عرك الاديم
ولا يكون نظره الا فلتة ولا يتبع النظرة النظرة • كما قال عليه السلم
وقد قال الشاعر • نظرت اليها بالمحصب من منى • ولي نظر لولا التحرج
عارم • فوصف النظر بالعرام في هذا الشعر كوصف العين بالزنا في هذا
الخبر • فاما الحديث الاخر وهو قوله عليه السلام القسطنطينية
الزانية • فالمراد به الزاني اهلها وذلك كما جا في التنزيل من ذكر القرى
مثل قوله تعالى • وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وقرية كانت امنة
مطمئنة • اي اهلها ظالمون واهلها امنون • وذلك في القران كثير
ومن ذلك قوله عليه السلم لا يلقى الله عبد لم يشرك بالله شيئا
ولم يتند بدم حرام الا دخل من اي ابواب الجنة شاء • فقوله عليه السلم
ولم يتند بدم حرام مجاز لانه اراد لم يصب دما حراما • ومن قولهم
ما نديت من فلان بشيء اي لم اصب منه شيا • فجعل عليه السلام الذي
سفك الدم متنديا به وان كان لم يباشر سفكه بنفسه لان الاغلب
فيمن يتولى سفك الدم مباشرة ان يصيبه منه بلل ويشهد عليه اثر وعلى
هذا قول الشاعر • براء من دم القتيل وبزه • وقد علقت دم القتيل
ازارها • ولم يكن هناك على الحقيقة اثر دم علق الازار • وانما اخرجه
الشاعر على الوجه الذي ذكرناه فكانه جعل القاتل وان لم يظهر عليه

شاهد الدم كمن ظهرت عليه شواهده الناطقة ودلايله القاطعة
لقوة الامارات التى تشهد بفعله وتعصب الامر به وهذا المعنى ايضا
اراد جرير بقوله وقلت فضاحة لبنى عدى ثيابكم ونضح دم القتيل •
فكانه خاطب قوما ونهاهم عن ان يقفوا موقف الظنة وينزلوا منزلة
التهمة ليبروا من دم قتيل اتهموا بنفسه وقرفوا بقتله ومن ذلك
قوله عليه السلام من فعل كذا وكذا فقد احتظر من النار بحظار
وهذا القول مجاز والمراد ان من فعل ذلك فقد احتجز من النار
بحاجز والحظار الحايط المستدير على الشىء فجعل عليه السلام
المتباعد عن الفعلة التى توجب دخول النار كمن ضرب بينه وبينها
سياجا واغلق عليه رتاجا والحظار والحظيرة بمعنى واحد وهو
حظار بفتح الحاء والجمع احظرة كما يقال دوار والجمع ادورة ومن
ذلك قوله عليه السلام اغتربوا لا تضووا • وهذه استعارة
والمراد انكحوا فى الغرايب ولا تنكحوا فى القرايب لانهم يقولون الغرايب
انجب والضوى ضوولة الجسم ودقته ويقال اضوت المراة اذا اتت
بولد ضاو كما يقال اذكرت اذا اتت بولد ذكر وكانوا يعتقدون ان
القريبة تضوى كما ان الغريبة تذهى اى تاتى بالولد داهية • وقال
الشاعر فتى لم تلده بنت عم قريبة فيضوى • وقد يضوى رديد القرايب

وقال الاخر • واترك بنت العم وهى قريبة مخافة ان يضوى على سليلى •
وقوله عليه السلام اغتربوا عبارة عن هذا المعنى من احسن العبارات
لانه جعل التباعد عن التنكح فى العشيرة والبيت والذهاب به الى غير السنخ
والاصل بمنزلة الرجل المغترب الذى يوطن غير وطنه ويساكن غير
سكنه ومن ذلك قوله عليه السلام خير المال عين ساهرة لعين نايمة
وهذه استعارة لان المراد بذلك عين الماء الجارية التى لا ينقطع جريها
ليلا كما لا ينقطع نهارا فسماها ساهرة لهذا المعنى لانها فى ليلها تانية
وعين صاحبها نايمة ولفظ السهر فى هذا الكلام احسن ما جعل بهذا
المعنى ملتبسا وحبب عليه ملبسا ومن ذلك قوله عليه السلام
كل هوى شاطن فى النار • وهذا مجاز لانه وصف الهوى بالشطون
وهو البعد واراد به تباعد صاحبه عن الرشد وترامية الى الغى وقال
ابو عبيدة الشاطن هاهنا المعوج عن الحق والهوى على الحقيقة ليس
بجسم فيوصف بالقرب والبعد والزوال والثبات • وسمى الشيطان
شيطانا لانه شطن عن امر ربه اى ابعد فى مذاهب غيه • ومنه قيل
نوى شطون وبير شطون • ومن ذلك سمى الحبل شطنا لانه يبلغ القعر
العميق والماء البعيد • وفى هذا الخبر ايضا مجاز اخر وهو انه عليه السلام
جعل الهوى الشاطن فى النار ومراده صاحب الهوى الشاطن وهو

الذي يتدبر هواه فيقذفه في الضلال ويحمله على الزلل ونظير هذا
الخبر الخبر الآخر . وهو قوله عليه السلام عليكم بالصدق فانه مع الفجور وهما
في النار واراد عليه السلام صاحب الصدق والبر وصاحب الكذب و
الفجور **ومن ذلك قوله عليه السلام** كيف بكم وبزمان يغربل الناس فيه
وتبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم واماناتهم . وهذه استعارة و
المراد انهم تنتقى خيارهم فيهلكون بالقتل السريع والموت الذريع كما يغربل
الحب بالغربال فيسقط قشره وصغاره ويبقى جلاله وخياره وقد قيل
ان الغربلة اسم للقتل خصوصا . ومنه قول الشاعر . ترى الملوك حولهم
مغربلة . يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له . اي مقتلة والقول الاول
اشبه بالمراد واليق بالصواب وقد تكلمنا فيما تقدم على قوله عليه السلام
وتبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم **ومن ذلك قوله عليه السلام**
وقد سئل اي الاعمال افضل فقال الحال المرتحل قيل وما الحال المرتحل
قال الخاتم المفتتح . وفي هذا الكلام مجاز لانه عليه السلام انما اراد
المداوم لتلاوة القرآن فهو يختم ويفتتح ويتم ويستأنف فشبهه عليه السلام
بالمسافر المجد بينا ينزل حتى يرتحل وبينا يسير حتى ينزل فشبه عليه السلام
ختم التلاوة بنزول المنزل وشبه استئنافها بسير المرتحل وجعله مستمرا على
هذه الطريقة ابدا لا يرمي الى غاية ولا يقف عند نهاية وقد قيل ان المراد بالحال

المجاهد في سبيل الله الذي يغزو ويعقب ويقفل ويعاود والقول
الاول اظهر عند العلماء واوغل في مذاهب الفصحاء **ومن ذلك قوله
عليه السلام** ان قوما يصفرون الاسلام ثم يلفظونه . وهذا القول
مجاز لان المراد انهم يلقنون الاسلام ويعلونه فيتناسونه ويفارقونه
كالذي يلفظ الشيء فيدمع به ولا يسيغه الجوف وذلك مأخوذ من قولهم
صفرت البعير اصفره صفرا اذا لقمته لقما عظاما . وقد يجوز ان
يكون مأخوذا من قولهم صفر الرجل الدابة يصفرها صفرا اذا القى
اللجام في فمها والعنان متقاربان **ومن ذلك قوله عليه السلام**
يمين الله ملأى سحا لا يغيضها الليل والنهار . وهذه استعارة لان المراد
باليمين هاهنا نعمة الله ووصفها بالامتلاء لكثرة منافعها وعموم مرافقها
فجعلها كالعين الثرة التي لا يغيضها المواتح ولا تنقصها النوازح
والسح شدة المطر يقال سحت السماء سحا اذا جادت جودا وخص
اليمين لانها في الاكثر مظنة العطاء وموصلة الحباء على طريق المجاز
والاتساع وقد شرحنا هذا المعنى في عدة مواضع من كتبنا المشتملة على
علوم القرآن **ومن ذلك قوله عليه السلام** ابنوا المساجد واتخذوها
جما . وهذه استعارة لان المراد ابنوها ولا تتخذوا لها شرفا فشبهها
عليه السلام بالكباش الجم وهي التي قرونها اصغار خافية . ومن الخبر المشهور

فى ذكر القيامة. انه يؤخذ للجماء من القرناء، وذلك من احسن التشبيه
واوقع التمثيل. وقال ابن الاعرابى اجم الذى لا رمح معه. ومن ذلك
قول الشاعر. ويل امهم معشرا جمّا بيوتهم من الرماح وفى المعروف تنكير.
اراد ان بيوتهم خالية من الرماح المركوزة بابوابها فهى كالكباش الجم التى
لا قرون تظهر لها. وقال الاعشى. متى تدعهم للقاء الحروب تاتك
خيل لهم غير جمّ. اى قد اشرعوا فوادسها الرماح فهى بها كالكباش. اذا
نهدت للكفاح وسددت قرونها للنطاح. وقد جاء فى كلامهم الرماح
قرون الخيل. ومثل ذلك الحديث المروى ستكون فتنة كانها صياصى
بقر. والصياصى هاهنا القرون. قيل انما شبهها عليه السلم بقرون البقر لكثرة
ما يشرع فيها من الرماح ومن ذلك قوله عليه السلم لا يزال العبد
خفيفا معنقا بذنبه ما لم يصب دما فاذا اصاب دما بلّح. وهذا مجاز
لانه عليه السلام شبه المذنب غير القاتل بحامل الحمل الا ان فيه بعض الخفة
فهو يعنق به اى يسرع من تحته فاذا اصاب دما ثقل ذلك الحمل حتى
يبلح منه والتبليح الاعيا ماخوذ من بلوح الشئ وهو انقطاعه فكان منته
قد نفدت وقوته قد انقطعت. وانما قال عليه السلم ذلك تغليظا لامر الدم
ليقل الاقدام على سفكه ويكثر التزاجر عن التعرض به ومع ذلك فالتوبة
تسقط العقاب المستحق عليه كما تسقط العقاب المستحق على غيره من المعاصى

خلافا لما ظنه بعض الناس من ان القاتل لا توبة له لان الامر لو كان
على ما قاله لم يكن للقاتل سبيل الى الانتفاع بطاعاته فى المستقبل
لانها تقع محبطة ولا يجوز الا يكون للعاصى طريق الى الانفكاك
من عقاب المعاصى لان فى ذلك اغراء له بها وحملا له عليها. وفى بعض
الاحاديث ان اعرابيا قتل تسعة وتسعين انسانا ثم اتى راهبا بالشام
يستفتيه فى توبته فقال له ما ارى لك توبة فقال لا جرم والله
لاكملنهم بك مائة فقتل الراهب. وما حكى عن عبد الله بن عباس
رحمه الله من اختلاف فتواه فى هذا المعنى لانه افتى مستفتيا سأله
عن توبة القاتل بانه لا توبة له وافتى اخر بان له توبة فله عندنا وجه
صحيح قد نقله عنه ثقات الناقلين وذلك انه سئل عن اختلاف
قوليه فى هذا الباب فقال اتانى مستفت فافتيته بان للقاتل توبة
لانى رايت عليه امارات من قتل وهو نادم على قتله خائف من جرائر
فعله. واستفتانى اخر فافتيته بانه لا توبة للقاتل لانى رايت عليه
امارات من وطن نفسه على القتل فى المستقبل واراد ان يلجأ الى التوبة بعد
الاقدام على سفك الدم المحرم فافتيته بذلك ليقف عن عزمه ويخاف
عواقب اثمه ومن ذلك قوله عليه السلم بلوا ارحامكم ولو بالسلام
وفى رواية اخرى انضحوا ارحامكم والمعنى واحد. وهذه استعارة لان المراد

صلوا ارحامكم ولو بالسلام اى جددوا المودة بينكم وبين اقاربكم
ولو بالتسليم عليهم تشبيها ببل السقا اليابس لانه لا يتبلل الا ببل
الماء فيتندى قاحله ويتمدد قالصه فشبهوا بل الارحام بذلك لان
في حسن المخالقة تجديدا لخلقها واحكاما لما وهى من علايقها ومثل ذلك
قول الكميت الاسدي نضحت اديم الود بيني وبينهم • باصرة الارحام
لو يتبلل ومن ذلك قوله عليه السلم لرجل قيل له انه نام عن الصلوة
حتى اصبح ذاك رجل بال الشيطان في اذنه • وهذا مجاز لانه عليه السلم
اراد ان الشيطان تحكم به وتسخر منه لانهم يقولون ذلك فيمن ظهر اختلاله
وبان انحلاله واصله ماخوذ من الافساد فكانه عليه السلام اراد ان الشيطان
قد افسده ومنع عقله • وعلى ذلك قول الشاعر • اذ رايت انجما من الاسد
جبهته او الخراة والكتد • بال سهيل في الفضيخ فنسد • وطاب
البان للقاح وبرد • اى افسد سهيل اللبن فنسد فعبر عن افساده
له بقوله فيه تشبيها بالبايل في الماء لانه يفسد عذبه ويمنع شربه
ومن ذلك قوله عليه السلم تعرض للناس جهنم كانها سراب يحطم
بعضها بعضا • وهذا مجاز لانه عليه السلام اراد شدة احتدامها
والتفاف ضرامها فكان بعضها يحطم بعضا اى يهده ويهيضه والحطم
الكسر وقد يجوز ان يكون المراد انها تحطم ابدان العاقبين بها وجعلهم

بعضها الا انهم خالدون فيها غير خارجين منها ومن ذلك قوله عليه السلام
لرجل من وفد تجيب انى لارجو ان تموت جميعا فقال اوليس الرجل يموت
جميعا يا رسول الله فقال عليه السلام تتشعب اهواوه وهمومه في اودية
الدنيا فلعل اجله يدركه في بعض ذلك فلا يبالي الله في ايها هلك
وفي هذا الكلام مجازان احدهما قوله عليه السلام انى لارجو ان تموت
جميعا لان الانسان لا يموت الا جميعا وانما اراد انى لارجو ان لا يدركك
الموت وهمومك متقسمة واهواوك متشعبة فكانه يكون متفرقا بتفرق
اهوايه ومتشعبا بتشعب ارايه • والمجاز الاخر قوله عليه السلام في اودية
الدنيا وهذه استعارة عجيبة لانه شبه اختلاف طرايق الدنيا
ومناهجها وتباين احوالها ونوايبها بالاودية المختلفة فمنها البعيد
والقريب والمخصب والجديب والواسع والضيق والنجي والمعطب
ومن ذلك قوله عليه السلم الحياء نظام الايمان • وهذه استعارة
والمراد ان الحياء يجمع خلال الايمان كما يجمع السلك فوايد النظام ولان
الانسان الكثير الحياء يحجزه عن موافقة المعاصي ومطاوعة الغاوي
فاذا قل حياوه تفرق جماع ايمانه فاشبه السلك في انه اذا انقطع
تهافت خرز نظامه • وهذا المعنى اراد الشاعر بقوله • يعيش المرء ما
استحيا بخير • ويبقى العود ما بقي اللحاء • وليس لنا في هذا الحديث

الحديث الآخر وهو قوله عليه السلام الحياء شعبة من الايمان فانه لا يمتنع
ان يكون شعبة منه ويكون مع ذلك نظاما له **ومن ذلك قوله عليه السلام**
منبري هذا على ترعة من ترع الجنة • وقد قيل في تفسير الترعة
ثلثة اقوال • احدها ان تكون اسما للدرجة • والثاني ان تكون اسما
للروضة على المكان العالي خاصة • والثالث ان تكون اسما للباب
وفي هذا الكلام مجاز على الاقوال الثلثة وجميعها يؤول الى معنى
واحد • فان كانت الترعة بمعنى الدرجة فالمراد ان منبره عليه السلام
على طريق الوصول الى درجة الجنة لانه عليه السلام يدعو عليه الى
الايمان ويتلو قوارع القران ويخوف ويزجر ويعد ويبشر • وان
كانت بمعنى الباب فالقول فيهما واحد وان كانت بمعنى الروضة على
المكان العالي فالمراد بذلك ايضا كالمراد بالقولين الاولين لان منبره
عليه السلام على الطريق الى رياض الجنة لمن طلبها وسلك السبيل اليها
وفيه زيادة معنى وهو ان يكون انما شبهه بالروضة لما يمر عليه من
محاسن الكلم وبدائع الحكم التي تشبه ازاهير الرياض وديابيج النبات
وهم يقولون في الكلام الحسن كانه قطع الروض وكانه ديباج الرقم واضاف
عليه السلام الروضة الى الجنة لان الكلام الموثق الذي يتكلم به عليه
الى الجنة لان الكلام الموثق الذي يتكلم به عليه يهدي الى الجنة ويكون

ذا الا عليها وقايدا اليها وعندهم ان الروضة اذا كانت على الايقاع والاتشان
كانت احسن منظرا وانق زهرا وعلى ذلك قول الاعشى • ما روضة من رياض
الحزن معشبة خضراء جاد عليها واكف هطل • وقد قال بعضهم الترعة الكوة
وهو غريب • فان كان المراد ذلك فكانه عليه السلام قال منبري على مطلع
من مطالع الجنة والمعنى قريب من معنى الباب لان السامع لما يتلى عليه كانه يطلع
الى الجنة فينظر الى بهجتها والى ما اعد الله للمؤمنين فيها **ومن ذلك قوله**
عليه السلام ان الاسلام ليارز الى المدينة كما تارز الحية الى جحرها • وهذه
استعارة والمراد ان الاسلام ليأوي الى المدينة كما تأوي الحية الى جحرها واصل
ذلك ماخوذ من التقبض والاجتماع يقال ارز يارز اذا كان من ذلك فجعل
عليه السلام المدينة كالوجار للاسلام يتقلص اليها وينضم الى جناحها لانها
قطب مداره ونقطة بركاره **ومن ذلك قوله عليه السلام** لا يدخل الجنة
لحم نبت من سحت • وهذا القول مجاز لانه عليه السلام شبه نماء اعضاء البدن
بنبات اغصان الشجر لما بينهما من المشاكلة لان الورق كالعروق والاجنحة
كالجلود والايراق كالحياة والايباس كالوفاة **ومن ذلك قوله**
عم لعبد الله بن عمرو بن العاص وذكر قيام الليل وصيام النهار فقال
انك اذا فعلت ذلك هجمت عيناك ونفهت نفسك • فقوله عليه السلام
هجمت عيناك استعارة لان المراد به غوور العينين لطول القيام ولبعد

التهدد بالطعام وذلك ماخوذ من قولهم هجم فلان على فلان اذا دخل عليه
دخولا فيه سرعة ولم يرد وعن • ويقال هجم عليهم البيت اذا سقط عليهم
فشبه عليه السلام افراط دخول العينين في حجاج الراس بهجوم الرجل
الهاجم او وجوب البيت الواقع فالتشبيه بالاول لانغاله في مدخله و
التشبيه بالثاني لزواله عن موضعه • ومعنى نفهت نفسك اي
اصابها الملال وبعدها الاعياء والكلال **ومن ذلك قوله عليه**
لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان يمتلئ شعرا • و
في هذا القول مجاز لان المراد به النهي عن ان يكون حفظ الشعر اغلب على
قلب الانسان فيشغله عن حفظ القران وعلوم الدين حتى يكون اخص مواضع
واكثر خواطره فشبهه عليه السلام بالاناء الذي يمتلئ بنوع من انواع
المايعات فلا يكون لغيره فيه مشرب ولا معه مذهب • وقال بعضهم انما
هذا في الشعر الذي هجي به النبي عليه السلام خصوصا والصحيح انه في كل
شعر استولى على القلب كل الاستيلاء عموما لان النهي يتعلق بحفظ قليل
ما هجي به النبي عليه السلام وكثيره فليس يراعى فيه ان يكون غالبا على القلب
وطاغيا على اللب • وقوله عليه السلام حتى يريه معناه حتى يفسده ويهيضه
ويقولون وراه الداء اذا فعل به ذلك • قال الشاعر • وراهن ربي
مثل ما قد ورينني واحمى على اكبادهن المكاويا **ومن ذلك قوله عليه**

كل صلوة لا يقراء فيها بام الكتاب فهي خداج • وروي هذا الخبر
بلفظ اخر وهو قوله كل صلوة لا قراءة فيها فهي خداج • وهذه استعارة
عجيبة لانه عليه السلام جعل الصلوة التي لا يقراء فيها ناقصة بمنزلة
الناقة اذا ولدت ولدا ناقص الخلقة او ناقص المدة ويقال اخدج الرجل
صلوته اذا لم يقرا فيها فهو مخدج وهي مخدجة • وقال بعض اهل اللغة
يقال خدجت الناقة اذا القت ولدها قبل اوان النتاج وان كان تام
الخلق واخدجت اذا القته ناقص الخلق وان كان تام الحمل • فكانه
عليه السلم قال كل صلوة لا يقرا فيها فهي نقصان الا انها مع نقصانها
مجزية وذلك كما نقول في قوله عليه السلام لا صلوة لجار المسجد الا في
المسجد انما اراد به نفي الفضل لا نفي الاصل فكانه قال لا صلوة كاملة
او فاضلة الا في المسجد وان كانت مجزية في غير المسجد فنفى عليه السلم
كمالها ولم ينف اصلها • ومما يؤكد ذلك الخبر الاخر وهو قوله عليه السلم
لا غرار في صلوة ولا تسليم اي لا نقصان فيهما من قولهم ناقة مغار اذا
نقص لبنها • ومنه الحديث الاخر لا تغاروا التحية اي لا تنقصوا
السلام وردوا على البادي به مثل ما قال **ومن ذلك قوله عليه السلم**
عايد المريض على مخارف الجنة • وفي هذا الكلام مجاز على التاويلين
جميعا فان كان المراد بالمخارف جمع مخرف وهو جنا النخل فكانه عليه السلم

شهد العايد المريض بدخول الجنة وحقق له ذلك لاحتى عبر عنه وهو بعد
في دار التكليف بعيادة من صار الى دار الخلود تفتر له بالوصول الى
الجنة والنزول في دار الامنة وهذا موضع المجاز • وان كان المراد المجا
بمخرفة وهي الطريق • كما روي عن بعض الصحابة انه قال في كلام
له وتركتكم على مثل مخرفة النعم اى طريق النعم الواضح الذي اعلمته باجتها فيها
وعنيته بكثرة غدوها ورواحها فموضع المجاز منه انه عليه السلم جعل عائد
المريض كالماشي في طرق يفضي به الى الجنة وتوصله الى دار المقامة
ومن ذلك قوله عليه السلام للمغيرة بن شعبة وقد خطب امراة
ليته وجها لو نظرت اليها فانه احرى ان يودم بينكما • وفي هذا
اللفظ مجاز على التاويلين جميعا فاحدهما ان يكون قوله عليه السلم
احرى ان يودم بينكما ماخوذا من الطعام المادوم لان طيبه وصلاحه
انما يكون بالادام كالزيت والاهالة وما يكون في معناهما فكانه
عليه السلم اراد ان ذلك احرى ان تتوافقا كما يوافق الطعام ادمه
او كما يوافق الادام خبزه • قال الكسائي ادم الله بينهما على مثال
فعل اذا الفق بينهما المحبة والاتفاق • واقول انا ان هذا يشبه دعاء
عليه السلم للباني على اهله وهو قوله بالرفاء والبنين • كانه عليه السلام
دعا بان يلائم الله بينهما كما يلائم الرافي بين شقق الثوب المرفو •

واما التاويل الاخر في اصل الخبر فهو ان يكون بمعنى ذلك احرى ان يصلح الله
بينكما من قولهم عنان مودم اذا كان مصلحا محكما • قال الراجز
وتبشر مثل العنان المودم • ويقال اديم مودم اذا ظهرت ادمته وهو ما
ولي اللحم منه وادم مبشر اذا ظهرت بشرته وهو ما ولي الشعر منه ويقال رجل
مودم اذا كان محجوبا • قال الراجز • والبيض لا يودن الا مودما • اي لا
يحببن الا محبوبا **ومن ذلك قوله عليه السلم** ان من البيان لسحرا
وهذا القول مجاز والمراد به ان البيان قد يخدع بتمويهه ويغر بزخارفه
وحسن معارضه ومطالعه حتى يستنزل الانسان من حال الغضب و
المخاشنة الى حال الرضا والملاينة ويستنزع حمات السخايم ويفسخ عقود
العزايم ويكبح الجامح حتى يرجع ويسف بالمحلق حتى يقع ويعود بالمخصم
الصالح موافقا وبالضد الابعد مقاربا والسحر في الاصل هو التمويه
والخديعة والتلبيس والتغطية • وقال بعضهم السحر ما نقلك من حال
الى حال • وكانت العرب تعتقد ان السحر يصرف الوجوه ويقلب القلوب
ويمرض الاجسام ويسفه الاحلام ويفرق بين المتحابين ويجمع بين
المتباغضين وهذا في الحقيقة نقل من حال الى حال وهو عندنا باطل
الا ان يراد به ما قدمنا القول فيه من خديعة الانسان بلين القول
وحسن اللفظ حتى يرضى بعد اشتطاطه ويفيء بعد جماحه وهذا الكو

هو الذي ذهب اليه النبي عليه السلام دون ما يقوله اهل الجاهلية من
طعام الجاهلية ومن ذلك قوله عليه السلام الآن تغمدني الله منه
برحمة واصل هذا الكلام مستعار لان المراد به الا ان يعطيني الله او يجللني
الله منه برحمة ماخوذ من غمد السيف الذي يكون كنا له وسابغا عليه
وقال الشاعر نصبنا رماحا فوقها جد عامر • كظل السماء كل ارض تغمدا
اي استجدهم على اقطار الارض فغطاها كاشتداد السماء عليها من جميع
جهاتها يصفهم باستطالة الجد وانبساط اليد وثراء المال والعدد
ومن ذلك قوله عليه السلام اللهم اني اسئلك رحمة تلم بها شعثي
وهذه استعارة والمراد تجمع بها امري فكنى عليه السلام عن ذلك بالشعث
تشبيها بالعود الذي تشعث راسه وتشظت اطرافه فهو محتاج الى جامع
يجمعه وشاعب يشعبه • ومن ذلك قول الشاعر يصف النار • وغبراء
شعثاء الفروع منيفة • بها توصف الحسناء او هي اجمل • اراد تفرق
اطرافها وتشعب شواظها ومن ذلك قوله عليه السلام اعوذ بالله من
شر عرق نعار • وهذه استعارة والاصل في ذلك رفع الصوت يقال
فلان نعار في الفتن اي صياح فيها ودعاء اليها • وقال بعض
التابعين وقد صلى خلف مصعب بن الزبير وهو رافع صوته بالتكبير
والتهليل قاتله الله نعارا بالبدع • اي صياحا بها فشبه عليه السلام

شخوب

شخوب دم العرق وتواتره بصوت الصائح المنوه من وجهين لارتفاع
نداته ولتكرر دفعاته • فجعل العرق نعارا للعلة المذكورة على طريق المجاز
والاتساع • وقال بعض اهل اللغة يقال نعر العرق نعرا ونعورا اذا هتن
بالدم ولم يرقا • فان كان الامر على ما قال فقد خرج الكلام عن باب
المجاز الى حيز الحقيقة ومن ذلك قوله عليه السلام من كانت
الدنيا همه وسدمه جعل الله فقره بين عينيه • وهذا الكلام مجاز
والمراد به ان من جعل الدنيا همه ووقف عليها باله واعرض عن الآخرة
بوجهه واخرج ذكرها من قلبه واقبل على تثمير الاموال واستنجاح
الاحوال عاقبه الله على ذلك بان يريه فقر نفسه وضرع خده فلا
يسد مفاقره كثرة ما جمع وعدد وعظيم ما اثل وثمر فكانه يرى
الفقر بين عينيه فهو ابدا خائف من الوقوع فيه والانتهاء اليه فلا
يزال اكلا لا يشبع وشاربا لا ينقع فهو حرص الفقراء وماله مال الاغنياء
وقال عليه السلام جعل فقره بين عينيه مبالغة في وصفه بتصور الفقر
فكانه نصب منه وعين غير غايب عنه • كما يقول القائل لغيره اذا اراد
هذا المعنى حاجتك بين عيني اي هي مصورة لي وغير غائبة عن قلبي
ومن ذلك قوله عليه السلام في صفة شاء ذكرها • فنحت على
لون واحد وهذه استعارة والمراد انها جاءت متساوية

فكانما افرغت في قالبٍ واحدٍ • ومنه من احسن العبارات عن هذا المعنى
وذلك كما يقول القايل منا اذا اراد ان يصف قومًا متشابهين في الخلق
والمناظر او في الطبايع والغرايز كانما طبعوا على سكة واحدة او خلقوا
من طينة واحدة **ومن ذلك قوله عليه السلم** خير الخيل الادهم
الاقرح المحجل ثلثا طلق اليد اليمنى • ومنه من محاسن الاستعارات
لانه عليه السلام شبه الثلث من قوايمه لاتفاق التحجيل عليها بالثلث المعقولة
من قوايم البعير او المشكولة من قوايم الفرس وشبه اليمنى منها لخلوها من
التحجيل بالمطلقة من العقال او العاطلة من الشكال ويقال عطل
اذا لم يكن موسوما ويقال ناقة طلق اذا لم تكن معقولة وناقة علط
اذا لم تكن موسومة **ومن ذلك قوله عليه السلم** لسراقة بن مالك المدلجي
لما خرج صلى الله عليه وعلى اله من مكة مهاجرا الى المدينة وقد لحق به و
هو بعد على شركه قف هاهنا فعم علينا حتى تهور النجوم • ومنه استعارة
فكانه عليه السلم شبه السماء وما فيها من مواقع الكواكب ومراقي الثواقب
بالابنية الموطودة والدعايم المرفوعة وجعل تزحزحها عن مطالعها
وانصبابها بعد ترفعها كالبناء المتهور والسقف المنقوض **ومن
ذلك قوله عليه السلم** في حديث طويل وقد خط في الارض خطوطا
مثل بها احوال ابن ادم • فقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم هذه الخطوط

الى جنبه الاعراض تنهشه من كل مكان فان اخطاه هذا اصابه هذا
وفي هذا الكلام مجاز وهو قوله عليه السلام وهذه الخطوط الى جنبه
الاعراض تنهشه ويروى تنهسه بالسين والمراد بذلك اعراض الدنيا
وهي ما يعرض فيها من المصايب ويطرق من النوايب وشبهها عليه السلم
بالحيات الناهشة والذوبان الناهسة لاخذها من لحم الانسان
ودمه وتاثيرها في نفسه وجسمه **ومن ذلك قوله عليه السلام**
لا يصلّي الرجل وهو زناء • وهذا القول مجاز لان اصل الزناء
الضيق والاجتماع وقال الاخطل يذكر حفرة القبر واذا قذفت الى
زناء قعرها غبراء مظلمة من الاحفار ويقال قد زنا بوله يزنا
زنوا اذا احتقن وازنا الرجل بوله ازناء اذا احتقنه فسمى الحاقن
زناء لاجتماع البول فيه وضيق وعايه عليه • وموضع المجاز من
هذا الكلام انه عليه السلام وصف الرجل بالضيق وانما الضيق في
وعاء البول الا ان ذلك الموضع لما كان شيا من جملته ونوطا
معلقا به جاز ان يجري اسمه عليه • وقوله عليه السلام لا يصلي الرجل
وهو زناء فيه من الفايدة ما ليس في قوله وهو حاقن لان الحاقن
قد يحقن القليل كما يحقن الكثير • والزناء هو الضيق ولا يكاد
يضيق وعاء البول الا من الكثير دون القليل **ومن ذلك قوله علم**

الحجاز تطيفة الايمان • وهذه استعارة والمراد بها ان الحجاز يحيط
بالايمان ويجمع شمله ويضم اهله كما تضم القطيفة وهي الكساء الغليظ
جملة بدن الانسان اذا اشتمل بها ودخل فيها • وانما قال عليه السلم
ذلك لثبات عرب الحجاز من قريش وغيرها على الاسلام بعد دخولهم
فيه فلم يرتد منهم احد كغيرهم ممن خلع حبل الدين من يديه ورجع
على عقبيه وقال اصحاب الاثار ما من قبيلة من قبايل العرب بعد وفاة
النبي عليه السلام الا وقد فشا فيها الارتداد عامة او خاصة الا
قريشا وثقيفا فانه لم يرتد منهم احد وهذا على ان هاتين القبيلتين
كانتا في الاسلام اشد نكاية ولرسول الله صلى الله عليه وعلى آله
اخضر عداوة **ومن ذلك قوله عليه السلم** ان هذه المسايل كدّ
يكد بها الرجل وجهه • وفي هذا الكلام استعارة على تاويلي الكد
في العربية واحد التاويلين ان يكون الكد بمعنى الاتعاب والانصاب
كما يقول القايل قد كددت نفسي اذا اراد انه اتعبه واستنفد طاقته
فعلى هذا التاويل يكون معنى كد الرجل وجهه بالمسايل انه لكثرة بذله
له في السوال وطلب ما في ايدي الرجال قد اجراه مجرى المطية التي يحسرها
بكثرة الحل والترحال وقطع المسافات الطوال • والتاويل الاخر ان
يكون الكد ماخوذا من استقصاء نزح ماء الركية حتى تبلغ حماتها و

تستفد

تستفد عذبها يقال كد الركية واكتدها اذا فعل ذلك بها • قال
الشاعر • امص ثمادي والمياه كثيرة • اعالج منها حفرها واكتدادها
ويكون قول القايل على هذا التاويل كددت نفسي اي اعتصرت مادته
واستقصيت ما عنده • فيكون كد الوجه على هذا القول يراد به
اعتصار مايه واستقطار حيايه ومن المتعارف بيننا ان يقول القايل
اذا اراد هذا المعنى قد هرقت ماء وجهي بكثرة الطلب الى فلان و
الرغبة فيما عند فلان **ومن ذلك قوله عليه السلم** للرجل الذي
قال لبعض الصحابة ان فتح الله عليكم الطايف فسل النبي عليه السلم
ان يهب لك بادية بنت غيلان بن سلمة فانها اذا قامت تثنت واذا
تكلمت تغنت في كلام طويل بلغه عليه السلم عنه وكان هذا الرجل من
مخنثي المدينة فقال عليه السلام لقد غلغلت النظر يا عدو الله •
وفي هذا الكلام استعارة لان غلغلة الشيء هو ادخاله فيه حتى
يلتبس به ويصير من جملته وذلك لا يصح في نظر الانسان الا على طريق
الاتساع والمجاز فكانه عليه السلام اراد ان هذا الانسان بلغ بنظره
من محاسن هذه المراة الى حيث لا يبلغ ناظر ولا يصل واصل فكان كالشيء
المتغلغل الذي يدق مدخله ويلطف مسلكه ويبعد متوجهه • وروى
لنا ابو علي الحسن بن احمد بن عبد الغفار النحوي الفارسي في كتابه الموسوم

بالايضاح اجازة وانشدنا الشيخان ابو الفتح وابو الحسن النحويان رحمهما الله
قول الشاعر • علين بكديون وابطن كرة • فهن اضاء صافيات
الغلائل • والكديون عكر الزيت تطلى به الدروع وتحمى بالنار لتذهب
اصداوها وتصفو الوانها • وقيل ايضا ان الكديون اسم من اسماء الكرة
والكرة البعر الذي توقد به النار عليها • وقيل في الغلائل التي ذكرها
الشاعر في هذا البيت قولان • احدهما انها اسم لبطاين وشعارات
تلبس تحت الدروع والواحدة غلالة • وانما سميت غلائل لانغلالها
بين الدروع التي تجمع بين رؤوس الحلق والواحدة غليلة • وانما
سميت بذلك لانها تغل في الدروع اي تستقصي ادخالها فيها
فتصير كالاجزاء منها **ومن ذلك قوله عليه السلم** في كلام طويل و
ليس من ملك الا وله حمى الا وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى
كان قمنا ان يرتع فيه • وهذا الكلام مجاز لانه عليه السلام شبه ما
حظره الله سبحانه من محارمه بالحمى الذي يحميه ذو السلطان والملك من مواقع
السحاب ومنابت الاعشاب فلا ترعى فيه الا ابله ولا ينزل به الا حيه
وما كان يفعل ذلك من العرب الا الاعز فالاعز والاثر فالاثر
حتى ضربت العرب المثل بحمى كليب بن ربيعة وهو كليب وائل في انه
حرام ممنوع لا يرام فقالوا اعز من حمى كليب فجعل عليه السلم ما حظره الله

سبحانه

سبحانه على العباد من المحارم كالحمى الذي يجب عليهم الا يطوروا به ولا
يمروا بجوانبه ومن خالف اليه منهم ارصد له العقاب وانتظر له النكال
فما حرمه سبحانه من الاشياء حمى لا يرعى وما احل منها مرعى لا يحمى
وقوله عليه السلام فمن رتع حول الحمى كان قمنا ان يرتع فيه يريد به التحذير
من الالمام بشيء من صغاير الذنوب لئلا يكون ذلك مجريا على الوقوع
في كبايرها والتهوك في معاظمها وهذه من احسن العبارات عن هذا
المعنى • وهذا الغرض نحا عمر بن عبد العزيز بقوله دع بينك وبين
الحرام جزءا من الحلال فانك ان استوفيت الحلال كله تاقت نفسك
الى الحرام **ومن ذلك قوله عليه السلام** لزيد بن ارقم وقد كان
رقى اليه صلى الله عليه وعلى آله في غزوة المريسيع كلاما سمعه من
عبد الله بن ابي بن سلول فيه طعن على المهاجرين وغمص لرسول الله
صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وهو مشهور في كتب المغازي فاتهمت
الانصار زيدا في حكايته وكان اذ ذاك صغير السن حتى نزل القران
بتصديقه في السورة التي يذكر فيها المنافقون • وذلك قوله سبحانه
يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون فدعا النبي عليه السلم
زيد بن ارقم وهو ساير على ناقته فاخذ باذنه فرفعه ثم قال له وفت اذنك

يا غلام وصدق الله حديثك • فقوله عليه السلام وفت اذنك مجاز وكانه
جعل اذنه في سماعها ما سمعت كالضامنة لتصديق ما حكت لانه صدق
في نفسه فلما نزل القرآن في تحقيق ذلك الخبر صارت الاذن
كانها وافية بضمانتها وخارجة من الظنة فيما ادته الى سامعها وهذا من
غرائب المجازات ومن ذلك قوله عليه السلم حسان حاجز بين
المومنين والمنافقين لا يحبه منافق ولا يبغضه مومن • وفي هذا الكلام
مجاز لانه عليه السلام جعل حسان كالسياج المضروب بين حيزي الايمان
والنفاق فمن كان في حيز الايمان احبه ومن كان في حيز النفاق ابغضه
وذلك لما كان يظهر عنه من المنافحة عن رسول الله عليه السلام والاسلام
بسيف لسانه ونوافذ اقواله فكان قوله يسر المومنين ويغيظهم ويسوء المنافقين
ويرغمهم • وهذا الكلام عندنا في حسان معلق بوقت مخصوص وهو زمن
النبي صلى الله عليه وعلى اله فاما حين ظاهر امير المومنين عليه السلام بعداوته
ورماه بمعاريض القول في اشعاره فقد خرج من ان يكون حاجزا بين الايمان
والنفاق وتحيز الى جانب العمى والضلال ومن ذلك قوله عليه السلم
في كلام تكلم به مضر ومن بتوك فلم يبق منهم تحت اديم السماء الا رجل
في الحرام منعه الحرم من عذاب الله • وفي هذا الكلام مجازان احدهما قوله
عليه السلام تحت اديم السماء فجعل للسماء اديما يريد ما ظهر منها للابصار

بينهما

تشبيها باديم الحيوان وهي الجلود التي تلبس الاجساد وتغطي اللحوم والعظام
ويقال ايضا اديم الارض ويراد به ما ظهر من صفحاتها التي تباشرها
النواظر وتطاها الاقدام والحوافر • والمجاز الاخر قوله عليه السلم
فمنعه الحرم من عذاب الله والحرم على الحقيقة غير مانع من العذاب الذي
يريد الله سبحانه ان ينزله بالمستحقين • وانما المراد ان الله تعالى جعل
الحرم معاذة لعباده تعظيما للقدره وتفخيما للامره فمن استجار به من
عذابه عند مواقعه معصيته جاز ان يوخر عنه العذاب ما كان متعلقا
به • وفي اقامة الحدود على اللاجي الى الحرم خلاف بين العلما ليس هذا
موضع ذكره ولابد ان يوفيه تعالى ما يستحقه من العقاب في دار الجزاء
الا ان يكون منه توبة تسقط بها عقابه او طاعة عظيمة تصغر معها معصيته
فالحرم لا يمنع من العذاب وانما يمنع الله سبحانه من فعله باللاجي اليه و
العايذ به للعلة التي ذكرناها فلما كان الله تعالى انما يفعل ذلك
لاجل الحرم جاز ان ينسبه اليه على طريق المجاز وعادة الاتساع و
من ذلك قوله عليه السلم اوثق العرى كلمة التقوى • وهذه استعارة
لانه عليه السلام جعل التقوى كالعروة التي يتعلق بها فتنهض من
المعاثر وتنجي من المزال والمزالق لان المتقي لله سبحانه يامن من تقحم
ويجوا من سطواته فيكون كالمستمسك بعروة الحبل المتين والمستند الى الضد

الامين **ومن ذلك قوله عليه السلام** وهو يتجهز لغزوة تبوك انا
على جناح سفر. وهذه استعارة واقعة موقعها ومقرطسة غرضها
لانه عليه السلام شبه السفر بالطائر الذي يقدم بالمطار ويجعل الاخذ
اهبة المسافر كالكائن على جناح ذلك الطائر ينتظر نهوضه ويرتقب تحليقه
ومما يؤكد ذلك قولهم للانسان الذي يكثر اسفاره ويطول حله
وترحاله ما هو الا طائر طيار عبارة عن التردد في السفر وكثرة
الانزعاج عن الوطن **ومن ذلك قوله عليه السلام** في اخر خطبة خطبها
ببطن عرنة وذلك في حجة الوداع الا ان كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي
موضوع. وهذا القول مجاز والمراد به اذلال امر الجاهلية وحط
اعلامها ونقض احكامها كما يذل الشيء الموطوء الذي تدوسه الاخامص
الساعية والاقدام الواطئة فلا يبقى منه مرفوع الا وضع ولا قائم الا
صرع **ومن ذلك قوله عليه السلام** في وصية وصى بها اسامة بن
زيد لما اراد بعثه الى مؤتة ليثار بابيه زيد في كلام طويل. واعلموا ان الجنة
تحت البارقة. وهذا القول مجاز والبارقة هاهنا السيوف وليس
الجنة تحتها على الحقيقة. وانما المراد ان الصبر تحتها لجهاد الكافرين
ودفاع اعداء الدين يفضي بالصابر الى دخول الجنة ونزول دار الاقامة
فلما كان ذلك سبب دخولها والوصول الى نعيمها جاز ان يسميه باسمها

ونظاير ذلك كثيرة وقد اشرنا في كتابنا هذا الى بعضها **ومن ذلك**
قوله عليه السلام في الكتاب المكتتب بينه وبين قريش في صلح الحديبية
ان لا اسلال ولا اغلال وان بيننا عيبة مكفوفة. وهذه استعارة
والمراد بالعيبة المكفوفة السلم التي تضم النشر وتجمع الامر كانه عليه
السلام شبه حال السلم من انها تحجز بين الفريقين عن شن الغارات
وتكف ايديهم عن المجاذبات بالعيبة المشرجة التي لا تنشر مطاويها
ولا يتناهب ما فيها. وقد يجوز ان يكون معنى ذلك على قول من قال
ان الاسلال السرقة والاغلال الخيانة انه عليه السلام شبه الصلح
الواقع بينهم في ان اموالهم تكون به محروسة وحرائبهم محفوظة بالعيبة
التي قد استوثق من اشراجها فلا يصل اليها خائن ولا يقدر عليها
سارق والمعنيان متقاربان. ويقال رجل مسل مغل اي صاحب
سلة وهي السرقة ومغلة وهي الخيانة. وقوله تعالى. وما كان لنبي
ان يغل قرانا على شيوخنا القراء لابي عمرو وابن كثير وعاصم يغل بفتح
الياء وضم الغين اي ما كان له ان يخون. وقرانا لبقية القراء السبعة
يغل بضم الياء وفتح الغين اي ما كان له ان يخان ويجوز ان يراد بذلك
ايضا ما كان له ان يخون اي ينسب الى الخيانة. وقد قال بعضهم المراد
بالاسلال هاهنا سل السيوف وبالاغلال لبس الدروع وهذا القول

غير معروف • والقول الاول هو القول السديد والصحيح المعتمد ومن ذلك قوله عليه السلم في الرحم هي شجنة من الله وفيها لغتان شجنة وشجنة • وهذا القول مجاز لان اصل الشجنة اسم لشعبة من شعب الغصن المتصل بالشجرة ويقال تشجر متشجن اذا التف بعضه ببعض • ومنه قولهم الحديث ذو شجون وذو شجون اي ذو شعب تتشعب فيذكر بعضها بعضا ويجر اول اخرا وقيل ايضا ان الشجون هي الشعاب المتصلة باودية فيجوز ان يكون الحديث شبه بها لكثرة طرقه وسلاخله وتعلق اواخره باوايله والمراد بالشجنة هاهنا تشبيه الرحم بالشعبة المتصلة بالشجرة فهي بعض منها ومنتسبة اليها فكذلك الرحم يجب صلتها على من وجب عليه حقها وضرب اليه عرقها ويجوز ايضا ان يكون انما شبهت بشجون الوادي لتعلقها به واضافتها اليه كما قلنا في شجون الحديث وقوله من الله المراد ان الله سبحانه جعل حقها واجبا وذمامها لازما وقد يجوز ان يكون المراد بذلك ان الله سبحانه يثيب واصلها ويرعى راعيها فكانه متعلقة به تعالى على طريق التمثيل لا على طريق التحقيق لتعظيم تعالى حقها بترهيب قاطعها وترغيب واصلها ومن ذلك قوله عليه السلم الولد للفراش وللعاهر الحجر • وهذا مجاز على احد التاويلين وهو ان يكون المراد ان العاهر لا شي له في الولد فعبر عن

ذلك بالحجر اي له من ذلك ما لا حظ فيه ولا انتفاع به كما لا ينتفع بالحجر في اكثر الاحوال كانه يريد ان له من دعواه الخيبة والحرمان كما يقول القايل لغيره اذا اراد هذا المعنى ليس لك من هذا الامر الا الحجر والجلمد والتراب والكثكث اي ليس لك منه الا ما لا محصول له ولا منفعة فيه • ومما يوكد هذا التاويل ما رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي عليه السلام قال الولد للفراش وللعاهر الاثلب والاثلب التراب المختلط بالحجارة وهذا الخبر يحقق ان المراد بالحجر هاهنا ما لا ينتفع به كما قلنا اولا • ومما يصدق ذلك قول الشاعر • كلانا يا معاذ يحب ليلى بفي وفيك من ليلى التراب • شركتك في هوى من كان حظي وحظك من تذكرها العذاب اراد ليس لنا منها الا ما لا نفع به ولا حظ فيه كالتراب الذي هذه صفته • واما التاويل الاخر الذي يخرج الكلام عن حيز المجاز الى حيز الحقيقة فهو ان يكون المراد انه ليس للعاهر الا اقامة الحد عليه وهو الرجم بالاحجار فيكون الحجر هاهنا اسما للجنس لا للمعهود هذا اذا كان العاهر محصنا فان كان غير محصن فالمراد بالحجر هاهنا على قول بعضهم الاعناف به والغلظة عليه بتوفية الحد الذي يستحقه من الجلد • وفي هذا القول تعسف واستكراه وان كان داخلا في باب المجاز لان الغلظة على من يقام الحد عليه اذا كان الحد جلدا لا رجما لا يعبر

عنها بالجحد لان ذلك بعد عن سنن الفصاحة ودخول في باب الفهاهة قال والاولى
اذًا الاعتماد على التاويل الاول لانه لا اشبه بطرائقهم والاليق بمقاصدهم
ومن ذلك قوله عليه السلام اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر
وكآبة المنقلب والحور بعد الكور وسوء المنظر في الاهل والمال • وفي
هذا الكلام مجازان احدهما قوله عليه السلام من وعثاء السفر وهي
فعلاء من الوعث وهو ضد الجدد والسير فيه يشق على القدم والمنسم فجعل
عليه السلام طول السفر وشقته وتكاليفه ومشقته بمنزلة الوعثاء التي
قاطعها تعب والساري فيها نصب • والمجاز الاخر قوله عليه السلام والحور
بعد الكور • اي انتشار الامور بعد انضمامها وانفراجها بعد التيامها • و
ذلك ماخوذ من حور العمامة بعد كورها وهو نقضها بعد ليها ونشرها بعد
طيها • وقد قيل ان معناه القلة بعد الكثرة والنقصان بعد الزيادة فكانه
تعوذ من الانتقال عن حال حسنة الى حال سيئة • وعلى ذلك قول الشاعر •
واستعجلوا عن شديد المضغ فابتلعوا والذم سقي وزاد القوم في حور اي
في نقصان والغنيان متقاربان • وقد روي هذا الكلام على وجه اخر
من الحور بعد الكون بالنون من قولهم حار اذا رجع يقولون كان على حالة
جميلة فحار عنها اي رجع عما كان عليه منها والرواية الاولى اعرف عند اهل
اللسان واشبه باوجه الكلام **ومن ذلك قوله عليه السلام** للشارب في

آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم برفع النار والاكثر
من الروايات على نصبها • وهذا القول مجاز لان نار جهنم على الحقيقة لا تجرجر
في جوفه والجرجرة صوت البعير عند الضجر والداب • قال امرؤ القيس يصف
طريقا • على لاحب لا يهتدى بمناره • اذا سافه العود الديافي جرجرا • ولكنه
عليه السلام جعل صوت جرع الانسان للماء في هذه الاواني المخصوصة لوقوع
النهي عن الشرب فيها واستحقاق العقاب على استعمالها كجرجرة نار جهنم في
بطنه على طريق المجاز اذ كان ذلك مفضيا به الى حلول دارها واصطلاء
نارها نعوذ بالله منها ولفظ الخبر يجرجر بالياء والوجه ان يكون تجرجر بالتاء
على قول من رواه برفع النار ولكنه لما دخل بين فعل المونث وفاعله الذي
هو النار لفظ اخر حسن تذكير الفعل للبعد بينهما • كما قال الشاعر •
لقد ولد الاخيطل ام سوء • وقد روي في خبر اخر كانما يجرجر في بطنه
نارا فالانسان هاهنا فاعل والنار مفعولة • وعلى هذه الرواية فالمراد
كانما يجر في بطنه نارا فقال يجرجر طلبا للتضعيف للفظ الدال على تكثير
الفعل كما جاء في التنزيل فكبكبوا فيها هم والغاوون • والمراد فكبوا
فيجوز على هذا ان يقال جر وجرجر كما يقال كب وكبكب وان كان الوجه
ان يقال جرّ وقد جاء في كلام العرب جرجر فلان الماء اذا جرعه جرعا
متواترا له صوت كصوت جرجرة البعير فيكون المراد على هذا القول كانما

يتجرع نار جهنم وهذا اصح التاويلين • فاما انية الذهب والفضة فلا يحل عندنا الاكل فيهما ولا الشرب فيهما ولا يجوز ايضا استعمالها في شيء مما يؤدي الى مصالح البدن نحو الادهان واتخاذ الميل للاكتحال والمجمر للبخور وكنت سالت شيخنا ابا بكر محمد بن موسى الخوارزمي رحمه الله عند انتهائي في القراءة عليه الى هذه المسئلة من كتاب الطهارة عن المدخنة اذ لا خلاف في المجمرة فقال القياس انها غير مكروهة لانها تستعمل على وجه التبع للمجمرة • فهي غير مقصودة بالاستعمال لان المجمرة لو جردت من غيرها في البخور لقامت بنفسها ولم تحتج الى المدخنة مضافة اليها فاشبهت الشرب في الاناء المفضض اذا لم يضع فاه على موضع الفضة وفي هذه المسئلة خلاف للشافعي لانه يكره الشرب في الاناء المفضض وذهب داود الاصبهاني الى كراهة الشرب في اواني الذهب والفضة دون غيره من الاكل والاستعمال في مصالح الجسم مضيا على هجيره في التعلق بظاهر الخبر الوارد في كراهة الشرب خاصة • وليس هذا موضع استقصاء الكلام في هذه المسئلة الان المعتمد عليه في كراهة استعمال هذه الاواني الخبر الذي قدمنا ذكره لما فيه من تغليظ الوعيد • وقد روي عنه عليه السلام انه قال من شرب بها في الدنيا لم يشرب بها في الاخرة فثبت بهذين الخبرين وما يجري مجراهما كراهة الشرب فيهما ثم صار الاكل والادهان

والاكتحال مقيسا على الشرب بعلة ان جميع يؤدي الى منافع الجسم ومن ذلك قوله عليه السلم وقد سئل عن ليلة القدر هي ليلة اضحيانة كان قمرا يفضحها • وهذه استعارة لان حقيقة الفضح كشف القبيح وهو ان يكشف على الانسان ريبة او تنمى عليه سوءة ولكن القمر لما كان كاشفا للسدفة وصادعا للظلمة اجراه عليه السلام مجرى الناشر للسوءة المخفاة والكاشف للريبة المغطاة وهذه من محاسن الاستعارات • وقال الشاعر في فضح الصبح للظلام • يا رب كل غابق ومصطبح • ورب كل شيظمي منسرح • ارسل على جوفاء في الصبح الفضح • جويريا مثل قضيب المجتدح متى يصب من كعبها عرقا يرخ • قوله جويريا تصغير جار يريد حية طال بقاؤه حتى خار اي رجع من غلظ عظيم الى دقة خلق وجسم فصار كقضيب المجتدح وهو المجدح الذي يحرك به الشراب والسويق وما يجري مجراهما • ومن كلامهم رماه الله بافعى حاويه يريدون هذا المعنى • وقوله يرخ اي يميت ومثل ذلك قول العجاج • اراح بعد الغم والتغمغم • اي اماته بعد الكرب والخناق • وقيل قد يجوز ان يكون قوله يرخ عائدا على العرق لا على الحية كانه قال متى يصب منها عرقا يحدث فيه جرحا اذا فتح كانت عنه رايحة خبيثة والقول الاول اسد وعليه المعتمد ومن ذلك قوله عليه السلم للضحاك بن سفيان الكلابي وقد بعثه مصدقا فاخذ

من حواشي اموالهم • ومنه استعارة على اصل وضعها فى كلام العرب لانهم
يسمون صغار الابل حشوا وحاشية كانهم يشبهونها بحشو الشىء الذى
ياتى ذلك فيه كالمرفقة والحشية لانها غير معتد بها كما ان الحشو غير
معتد به وانما الاعتداد بما هو فى ضمنه • ومن هذا الموضع سموا الرذال
والطغام من الناس حشوا • وقد يجوز ان يكونوا انما سموها بذلك تشبيها
بحشوة الانسان التى هى حوايا جوفه وامعاء بطنه يقولون طعنه فانثرت
حشوته وضربه فخرجت حشوته وانما قيل لها حشوة لحطها عن منزلة
ما هو اعلى قدرا منها من كرايم اعضاء الانسان التى يشتمل عليها جوفه
كالقلب والنياط والكبد والفؤاد • وقد يجوز ان يكونوا انما سموها
بذلك تشبيها لها بحواشي الثوب فى انها كالتبع له وغير قايمة بنفسها
دونه وكذلك صغار الابل تابعة لكبارها وغير قايمة بانفسها
وعلى مثل هذا المعنى تسميتهم ردئ المال ورذاله من الابل وما فى
معناها شوى تشبيها لها بشوى الانسان والفرس وغيره من الحيوان
ذى الاربع وهو الاطراف دون كرايم الاعضاء وشرايف الاحناء
قال الشاعر • اكلنا الشوى حتى اذا لم نجد شوى اشرنا الى خيراتها
بالاصابع اى اكلنا ارذال ابلنا فلما انفدناها عطفنا على خيارها
واشرنا الى شيارها • فكانه عليه السلام نهى ان ياخذ المصدق من

كرايم

كرايم الابل وعقايلها وامر بالعدول الى حشوها واراذلها رفقا باصحابها
وحنوا على اربابها **ومن ذلك قوله عليه السلام** بين يدى الساعة
تنطق الرويبضة • وهذه استعارة لانه عليه السلام اراد امام الساعة
فقال بين يديها تقريبا لهذه الحال من قيام الساعة لانه لو قال قبل الساعة
لما افاد ذلك من القرب منها ما افاد قوله بين يديها لانك اذا اردت التقرب
على من استرشدك مكانا يطلبه او انسانا يتبعه قلت له هو بين يديك اى
قريب منك ولو قلت هو امامك لاحتمل البعد والقرب كما ان قبل يحتمل
البعد والقرب هذا على الاغلب والاكثر وقد يجوز ان يكون قولك
امامك وبين يديك عبارة عن مراد واحد وقالوا فى الرويبضة هو
امرؤ السوء التافه وقالوا هو الفويسق الخامل **ومن ذلك قوله
عليه السلام** فى كلام وصف به عدة من قبايل العرب • وغطفان اكمة خشناء
تنفى الناس عنها • وهذا القول مجاز وذلك انه عليه السلام شبه غطفان
لاشتداد شوكتها وانقاد جمرتها بالاكمة الشاقة التى تزل الاقدام
عنها وتنقطع اطماع الراقين دونها فجعل امتناع الناس من التعرض لها
بمنزلة منعها لهم من الطروق اليها **ومن ذلك قوله عليه السلام** فى كلام
ذكر به امرء القيس بن حجر يحمل يوم القيامة لواء الشعراء الى النار وهذا القول
مجاز وذلك انه عليه السلام لم يرد ان امرء القيس يحمل لواء الشعراء على الحقيقة

وانما اراد انه يجيء يوم القيمة على مقدمتهم ويدخل النار قبلهم كما كان في
الدنيا متقدما لهم ومقدما عليهم وانما عبر عليه السلام عن هذا المعنى بحمل
اللواء لان حامل اللواء في الجحافل المجرورة يكون متقدما متبوعا ونابها
مشهورا يطاء الناس على قدمه ويلاحقون على اثار تقدمه ومن ذلك
قوله عليه السلام ما من جرعة يجرعها الانسان اعظم اجرا عند الله
من جرعة غيظ في الله • وهذا القول مجاز والمراد بجرعة الغيظ ههنا
الصبر عند الاهتياج والكظم عند الانزعاج وترك اتباع نوازع النفس الى
ما تدعوا اليه في تلك الحال من شفاء غيظ او تنفيس كرب او اطلاق
عقال قول او فعل مراقبة لله سبحانه وتنجزا لثوابه واحتجازا عن
عقابه وشبه عليه السلام تلك الحال بالجرعة لان الانسان كانه يكظم
لها والصبر عليها قد ذاق بها مرارة واساغ منها حرارة وعلى ذلك
قول الشاعر • شربنا الغيظ حتى لو سقينا دماء بني امية ما روينا •
وقد روي هذا الخبر على خلاف هذا اللفظ وهو قوله عليه السلام
ما تجرع عبد جرعا احب الى الله من جرعة مصيبة يردها بحسن عزاء
او جرعة غيظ يردها بحلم ومن ذلك قوله عليه السلام في خبر طويل
روي عن انس بن مالك سمعه منه صلى الله عليه واله وسلم في ذكر
منافع كثير من بقول الارض ومضارها فقال عليه السلام عند ذكر

الجرجير

الجرجير هو الذي نفس محمد بيده ما من عبد بات في جوفه شيء من هذه
البقلة الا بات الجذام يرفرف على راسه حتى يصبح اما ان يسلم واما ان يعطب
وهذا القول مجاز لان الداء المخصوص الذي هو الجذام لا يصح ان يوصف
بالرفرفة على الحقيقة لانه عرض من الاعراض وانما اراد عليه السلام
ان البايت على اكل هذه البقلة يكون على شرف من الوقوع في الجذام لشدة
اختصاصها بتوليد هذه العلة فاما ان يدفعها الله تعالى عنه فيندفع او
يوقعه فيها فيقع وانما قال عليه السلام يرفرف على راسه عبارة عن دنو
هذه العلة منه فتكون بمنزلة الطاير الذي يرفرف على الشيء اذا هم
بالنزول اليه والوقوع عليه ومن ذلك قوله عليه السلام وهل
يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم • وفي رواية اخرى على مناخرهم
في النار • وهذه من الاستعارات العجيبة • والمراد بها ان اكثر معاثر
الاقدام ومصارع الانام انما تكون بجراير السنتهم عليهم وعواقب الاقوال
السيئة التي تؤثر عنهم تنافي الدار الدنيا وعلى المتعارف بين اهلها و
المتعالم من مجاري عاداتها فاما في الدار الاخرة فيؤخذون فيها
باثام الاقوال كما يؤخذون باثام الافعال فيكبون على مناخرهم في
اطوار العذاب وبين اطباق النيران نعوذ بالله منها • والعبارة
عن هذه الحال بحصايد الالسنة من احسن العبارات لانه عليه السلم

شبه ما تحدث به السنتهم من الاقوال المذمومة التي تسوء عواقبها
وتعود عليهم وبالها بالزراع الذي يستوفي عاقبة زرعه والغارس الذي
يستثمر غرسه وهذا كقول القايل لمن اخذ بجريرة وعوقب على
جريرة احصد ما زرعت واجز ما غرست **ومن ذلك قوله عليه السلم**
تدور رحا الاسلام لسنة كذا • وهذا مجاز والمراد ان الاسلام على
هذا التمهد يضطرب في قراره ويقلق في نصابه بالولاة الذين ينكبون
واضح السبيل وتنتقض على ايديهم مرر الدين فشبه عليه السلام الاسلام
بالرحا الساكنة في مستقرها القائمة على قطبها فاذا كان الوقت الذي
وقع الايماء اليه دارت دور هرج واضطراب لا دور دوع واستتباب
ودور الرحا يكون عبارة عن حالين مختلفتين احداهما مذمومة
والاخرى محمودة فالمذمومة هي الحال التي ينبي الخبر عليها وعلى ذلك
كان قول عثمن بن حنيف الانصاري رحمه الله يوم الجمل • وكان في
حيز امير المومنين عليه السلام وقد راى استحرار القتل واستحكام الامر
دارت رحا الاسلام ورب الكعبة • اراد ان الناكثين بيعة امير المومنين
عليه السلام وهم اصحاب الجمل قد ازعجوا الاسلام عن مناطه وازعجوه
عن قراره • واما الحال المحمودة فهي ان يكون دور الرحا عبارة عن تحرك
جد القوم وقوة امرهم وعلو نجمهم يقال دارت رحا بني فلان اذا اتفقت

ثم

لهم هذه الاحوال المحمودة • ومن هذا القبيل ايضا العبارة بدوران الرحا
عن هذا عسكر لعسكر وكر فيلق لفيلق • قال الشاعر • طحنت رحا بدر
لمهلك فتية • ولمثل بدر تستهل الادمع • فهذه حال كان دوران الرحا
فيها محمودا لمن دارت له ومذموما لمن دارت عليه وانما قالوا دارت رحا
الحرب لجولان الابطال فيها وحركات الخيل تحتها • وقد روي هذا الخبر
على وجه اخر وهو قوله تزول رحا الاسلام والمراد بذلك انها تزول
رحا الاسلام والمراد بذلك انها تزول عن ثباتها وتميل عن موضع استقرارها
ومن ذلك قوله عليه السلم من بايع اماما فاعطاه صفقة
يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع • فقوله عليه السلام وثمرة قلبه
استعارة لان المراد بها خالصة قلبه ونخلة صدره اي بايعه بطاعة
صحيحة وبنية غير مدخولة فشبه عليه السلام ذلك بالثمرة لانها
لباب كل شيء وخالصته وصفوته وخلاصته • ومثل ذلك الحديث
الاخر عنه عليه السلام الولد مبخلة مجبنة محملة ثمرات القلوب و
قرات الاعين اراد عليه السلام ان الاولاد خالصة القلوب والاكباد
كما ان الثمر خالصة النبات والاشجار • وعندي في ذلك وجه
اخر وهو ان الولد من ابيه بمنزلة الثمرة من الشجرة لانه منه تفرع
وبوساطته ظهر وطالع فلو قال الاولاد ثمرات الرجال لكان

الغرض صحيحا والمعنى مستقيما الا انه عليه السلام اضافهم الى
القلوب فجعلهم ثمارا لها دون ساير الاعضاء غيرها لان القلب
سيد الاعضاء الرئيسه والاحشاء الشريفة فحسن حينئذ اضافة
الولد الى القلب خصوصا وان حسنت اضافته الى ساير اعضاء الام
عموما لانه عصارة سائر وخلاصة اعضايه ومن ذلك قوله عليه
وقد سال رجل عما شيبه فقال هود واخواتها قصفن على الامم
وهذا القول مجاز لان اصل القصف كسر الشيء وحطمه • ومن
ذلك ما حكى عن بعض يهود لما قدم النبي عليه السلام المدينة انه قال
تركت بني قيلة يتقاصفون بقباء على رجل يزعم انه نبي • يقول
من شدة ازدحامهم عليه كان بعضهم يكسر بعضا • ومنه سميت الريح
الشديدة قاصفا لانها تحطم الاشجار وتهدم الجدران • فالمراد
بقوله عليه السلام قصفن على الامم ان هودا وما يجري مجراها من
السور اقتص فيها ذكر هلاك الامم الخالية ومصارع القرون
الماضية فنسب عليه السلام اهلاكهم الى هذه السور لما كانت المخبرة
عن ذكر هلاكهم والهاتفة بانباء بوارهم على طريق المجاز والاتساع
وقوله عليه السلام قصفن على اي تلون على اخبار تلك المهالك
وانباء تلك المعاطب وهذا مجاز اخر لان السور متلوة وليست بتالية

ذكر

ولكنه لما كان سبب الهلاك اليها واقامها مقام المهلك المعطب حسن
ان يقيمها مقام المتكلم المخبر ومن ذلك قوله عليه السلام الرحم
تتكلم بلسان طلق ذلق تقول صل من وصلني • وقد روي ايضا
بلسان طلق ذلق بالضم في الحرفين جميعا • وهذا الكلام مجاز
المراد ان الله سبحانه قد اوجب على خلقه صلة الرحم وامرهم بالعاطفة
عليها والقيام بالحقوق الواجبة لها فصارت بظاهر هذه الحال
كانها ناطقة بالحض على صلتها والدعاء لمن وصلها • ومن كلامهم اطت
بفلان الرحم • والاطيط هاهنا الصوت فيه بعض الحنين كانها
دعته الى ان ترعى ذمتها وذكرته بما يجب عليه لها • ويقولون ادرت
اليه الرحم وناشدته الرحم وذلك في لسانهم اشهر من ان يحتاج الى اقامة
الشواهد وايضاح الدلايل ومن ذلك قوله عليه السلام لا تمشوا
على اعقابكم القهقرى • وهذه استعارة والمراد لا ترجعوا عن دينكم
ولا تكفروا بعد ايمانكم فتكونوا كالراجع على عقبه عاكسا القدم
ناكصا بعد تقدم فهذا وجه وقد يجوز ان يكون المراد لا تولوا عن
الدين راجعين وتلتووا عنه منصرفين فعبر عن الرجوع بعد الذهاب
بالرجوع على الاعقاب لان من عادتهم ان يقولوا رجع فلان على عقبه
اذا ادبر عن وجهته او خالف قصد جهته والمعنيان متقاربان

ومن ذلك قوله عليه السلام من اتاكم وامركم جميع يريد ان يشق عصاكم
ويفرق جماعتكم فاقتلوه. فقوله عليه السلام يريد ان يشق عصاكم.
استعارة والمراد به تفريق امرهم وتشتيت جمعهم فشبه ذلك بشق العصا الذي
عن شقها يكون تشظيها وتطاير الصدوع فيها. قال الراعي فتشققت
من بعد ذاك عصاهم شققا وغودر جمعهم مفلولا. اي انتشرت امورهم
وتفرقت جموعهم. ومثل ذلك من كلامهم قولهم فض الله مروتهم. وهي
الصخرة. وفض الله حذمتهم وهي الحلقة. فكانهم شبهوا التيام جموعهم
بالصخرة الململمة وشبهوا التحام شؤونهم بالحلقة الماطورة. ويجوز
ان يكون لشق العصا وجه اخر وهو ان يراد به فل شوكتهم وايهان قوتهم
لان العصا لصاحبها قوة يدفع بها وبسطة يعول عليها الا ترى الى
قوله تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام هي عصاي اتوكا عليها و
اهش بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى فجعل من مرافقها الاعتماد
عليها والهش على الغنم بها ومن المارب الاخرى التي فيها ان تكون الة
لدفاعه وعدة لقراعه وهي بعد عون للماشي وهداية للعاشي وسلاح
للراعي. ومن ذلك قوله عليه السلام من لبس في الدنيا ثوب شهرة
البسه الله ثوب مذلة. وهذه استعارة والمراد ان الله سبحانه
يشمله بالمذلة حتى تضفو عليه من جوانبه وتلتقي عليه من جنباته كما

يشمل

يشمل الثوب بدن لابسه فيكون سابغ الخلل ومغطيا للفرجة ومعنى
هذه المذلة ان يحقره سبحانه في القلوب ويصغره في العيون. وربما زيد
في هذا الخبر البسه الله ثوب مذلة في الاخرة والمذلة في الاخرة هي حرمان
الثواب وانزال العقاب. ومن ذلك قوله عليه السلام وقد جاء
رجل بامراته يشكو خلقها فاخذ عليه السلام براسيهما. وقال
اللهم ار بينهما. وهذه استعارة والمراد اللهم قرب بينهما ولائم بين
خلقيهما وذلك ماخوذ من الاري وهي الاخية التي يربط الدابة اليها فكانه
عليه السلام دعا لهما ان يكونا كالدابتين على الاري في المقاربة والملازمة
وعدم النفار والمباعدة. وقد يجوز ان يكون ذلك ماخوذا من قولهم ارت
العقدة اذا شددتها واحكمت عقدها. فكانه عليه السلام دعا لهما بان
يشد عقد الود بينهما فتكون اخلاقهما متوافقة واحوالهما متلائمة
وقد يجوز ايضا ان يكون ذلك ماخوذا من قولهم ارى فلان بالمكان
اذا اقام به فكانه عليه السلام دعا لهما بان يثبتا على الالفة ويدوما على
المودة. والتاري ايضا التوقع للشي والانتظار له. قال الشاعر.
لا يتارى لما في القدر يرقبه. ولا يعض على شرسوفه الصفر.
ومن ذلك قوله عليه السلام للرماة في يوم احد انضحوا عنا الخيل
بالنبل لا ياتونا من خلفنا. وهذه استعارة واصل النضح صب الماء

وهو اقل من النضح بالحناء معجمة • فكانه عليه السلام قال لهم صبوا عليهم
النبل صبًّا كشآبيب المطر وقد يشبهون مواقع السهام بمواقع القطار
اذا ارادوا صدق الاصابة وسرعة الموالاة والمتابعة ومن ذلك
قوله عليه السلام في هجاء شعراء الاسلام لمشركي قريش فوالذي
نفسي بيده لكانما تنضحونهم بالنبل • وقد يجوز ان يكون ذلك ماخوذا
من قولهم نضح الشجر وينضح نضحا اذا تفطر للتوريق فكانه عليه السلام
قال شققوا جلودهم بنبلكم كما تشقق الحبة الشجر عن طوالع اوراقه
ونواجم افنانه ومن ذلك قوله عليه السلام وقد كسا اسامة بن زيد
قبطية فكساها امرأته فقال له عليه السلام اخاف ان تصف حجم عظامها
وهذه استعارة والمراد ان القبطية برقتها تلصق بالجسم فتبين حجم
الثديين والرادفتين وما نشز من لحم العضدين والفخذين فيعرف
الناظر بها مقادير هذه الاعضاء حتى تكون كالظاهرة للخطر و
الممكنة للمس فجعلها عليه السلام لهذه الحال كالواصفة لما خلفها و
المخبرة عما استتر بها وهذه من احسن العبارات عن هذا المعنى • و
هذا الغرض رمى عمر بن الخطاب في قوله اياكم ولبس القباطي فانها
الا تشف تصف فكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ابا عذرة هذا
المعنى ومن بعده فانما سلك نهجه وطلع نجده ومن ذلك قوله عليه السلام

لا تعضية في ميراث الا فيما حمل القسم • وهذه استعارة والمراد بالتعضية
التفريق من قولهم عضى الجزور اذا نحرها وقسم اعضاءها وفرق
اشلاءها فشبه عليه السلام الميراث المقتسم بالاعضاء المفرقة و
الاشلاء الموزعة ومعنى الا ما حمل القسم اي ما احتمل اذا قسم انصباء
وفرق اجزاء الا يكون ذلك مضرا به ولا مفسدا له • وما لا يحتمل القسم
كالحمام من العقار واللؤلؤة من العروض وما في معنى هذين الجنسين من
المال الموروث • وعلى ذلك قول الشاعر • وليس دين الله بالمعضا
اي ليس الدين بالمفرق الموزع ولكنه المضموم المجتمع ومن ذلك
قوله عليه السلام في كلام ولا يسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح
بيضتهم • وهذه استعارة • والمراد بالبيضة هاهنا مجتمع امته
عليه السلام وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم • وشبه ذلك
بالبيضة لاجتماعها وتلاحك اجزائها واستتار ظاهرها الى باطنها
وامتناع باطنها بظاهرها • وقد يجوز ان يكون المراد بالبيضة هاهنا
المغفر الذي هو من لامة الحرب • فكانه عليه السلام شبه مكان اجتماعهم
ومظنة اتفاقهم والتيامهم بالبيضة الحديد التي تحصن الدماغ و
ترد القوارع • وكان شيخنا ابو الفتح النحوي رحمه الله يقول في قولهم
فيها الجماء الغفير يريدون به البيضة التي هي المغفر وسموها جماء لملاسة

وغفيرًا لتغطيتها كانهم بهذا الكلام يصفون قومًا بالقوة والاجتماع
والكثرة والاحتشاد فشبهوا قوتهم بالحديد الذي هو النهاية في الشدة
وشبهوا كثرتهم في ان بعضهم يستر بعضًا بالمغفر الذي هو غطاء لما تحته من
الهامة • وفي هذا الكلام مسئلة من الاعراب وهي من مسايل الكتاب
وليس كتابنا هذا مقتضيًا لذكرها فنتعاطاه لا سيما وغرضنا فيه اتباع
نهج الاختصار والانحراف عن طريق الاطناب والاكثار **ومن**
ذلك قوله عليه السلم من كسب مالا من نهاوش انفقه في نهابر • وفي
هذا الكلام مجاز والمراد بالنهاوش على ما قاله اهل العربية اكتساب
الاموال من النواحي المكروهة والوجوه المذمومة ومن غير حلها ولا حميد
سبلها • وذلك ماخوذ من نهش الحية كانها تنهش من هاهنا وهاهنا
لا تتقي منهشًا ولا تجتنب ملسبًا • وذلك ضد قوله عليه السلام على
احد التاويلين اطلبوا المال من حسان الوجوه اي من وجوه المكاسب
الطيبة التي يحسن الطلب منها • ولا يذم التعرض لها • وقال ابو عبيدة
يروى مهاوش بالميم يريد اخذ المال من التلصص نحو لصوص بني سعد • وقال
غيره ذلك ماخوذ من الهوش يقال تهاوش القوم اذا اختلطوا • و
منه قوله عليه السلام اياكم وهوشات الاسواق اي اختلاطها و
فسادها والميم زايدة في بناء الكلمة والمعنى راجع الى ما قاله ابو عبيدة

لان

لان الاموال الماخوذة من التلصص موصوفة بالاختلاط في انفسها
والاخذ لها موصوف بالتخليط فيها • وقوله عليه السلام انفقه في نهابر
اي في الوجوه المحرمة التي يضيع الانفاق فيها ولا يعود عليه نفع منها
وذلك ماخوذ من نهابر الرمل واحدتها نهبورة وهي وهدات
تكون بين الرمال المستعظمة اذا وقع البعير فيها استرسخت قوايمه
ولم يكد يتخلص منها ويقال لحفر بين الاكام يصعب السلوك لها و
تكثر المعاثر فيها • فكانه عليه السلام شبه ما يكسب من الحرام وينفق
في الحرام بالشيء الواقع في عجمة الرمل لا يرجى وجوده ولا ينشد مفقوده
ومع ذلك فقد ارصد لمنفقه عظيم العقاب واليم العذاب **ومن**
ذلك قوله عليه السلم في كتاب كتبه لبعض الوفود لا يباح سانو ولا
يعقر مرعاه • وهذه استعارة والمراد انه لا يقطع ما فيه من شجر او
كلاء الا باذن صاحبه فشبه عليه السلام ما يقطع من الشجر بما
يعقر من الابل وذلك من التشبيهات الواقعة والتمثيلات النافعة
لان سقوط الشجرة عن قطعها كسقوط البدنة عن عقرها **ومن ذلك**
قوله عليه السلم الولاء لحمة كلحمة النسب لا يباع ولا يوهب • وهذه
استعارة لانه عليه السلام جعل التحام الولي بولية التحام النسيب بنسيبه
في استحقاق الميراث وفي كثير من الاحكام وذلك ماخوذ من لحمة

الثوب لسداه لانهما يصيران كالشيء الواحد بما بينهما من المداخلة
الشديدة والمشابكة الوكيدة ويقال لحمة البازي ولحمة النسب ولحمة
الثوب فاحد وهي المشابكة والمخالطة الا انهم فرقوا بين اللفظين
ليكون ذلك تمييزا **ومن ذلك قوله عليه السلام** المؤمن موق راقع
وهذه استعارة والمراد ان المؤمن اذا اساء احسن واذا اخطاء
ندم • فكانه يوهي دينه بمعصيته ويرقعه بتوبته فشبهه عليه السلم
بمن يخرق ثوبا ثم يبادر رقع ما خرق ونصح ما فتق **ومن ذلك**
قوله عليه السلام من خلع يدا من طاعة لقي الله ولا حجة له •
وهذه استعارة والمراد بخلع اليد هاهنا الخروج عن طاعة الامام
العادل فشبه عليه السلام من يخرج عن طاعة سلطانه بالاسير الذي
نزع يده من ربقته واخرج عنقه من جامعته فكانه عليه السلم اقام لوازم
الطاعة في الاعناق مقام الجوامع في الايدي والرقاب وجعل الخارج
منها كالمارق من ربقة الاسر والناصل من شناق الحبل **ومن**
ذلك قوله عليه السلم من كانت نيته الاخرة جعل الله سبحانه
غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة • وهذه استعارة والمراد
ان الدنيا من حيث لا يطلبها ودرت عليه منافعها من حيث لا يحتسبها
فاقام عليه السلام مواتاة الدنيا له من غير طلب مقام اتيانها اليه راغمة

واتيا لها عليه صاغرة واصل الرغم ان يلصق الانف بالرغام وهو التراب
وقيل الرمل وليس يكاد يكون ذلك الا عن غاية الخشوع ونهاية الخضوع
ومن ذلك قوله عليه السلم عليكم بسنتي وسنة المهديين من بعدي
وعضوا عليها بالنواجذ وهذا مجاز والمراد ان اقطعوا عليها وقفوا
عندها ولا تجاوزوها الى غيرها كما ان من شدد العض بنواجذه على الشيء
الذي يتأتى فيه القطع قطعه والنواجذ اقصى الاضراس وهي اقواها وامضاها
وقد يجوز ان يكون المراد الامر بلزوم سنته عليه السلام كما ان العاض
بنواجذه على الشيء الذي لا يتأتى فيه القطع يلزمه اشد اللزوم لقوة العواض
واستحصاف اللوازم **ومن ذلك قوله عليه السلم** حبك الشيء يعمي
ويصم • وهذا مجاز لان الحب للشيء على الحقيقة لا يعمي ولا يصم وانما
المراد ان الانسان اذا احب الشيء اغضى عن مواضع عيوبه كانه لا ينظر بها
واعرض عن الملاوم والمعايب من اجله كانه لا يسمعها فصار من هذا الوجه
كالاعمى لتغاضيه والاصم لتغابيه **ومن ذلك قوله عليه السلم**
تنام عيناي ولا ينام قلبي • وهذا القول عند المحققين من العلماء مجاز
لانه عليه السلام لو كان قلبه لا ينام على الحقيقة كقلوب الناس لكان ذلك من
اكبر معجزاته وابهر اياته ولوجب ان تتظاهر الاخبار بنقله كما تظاهرت
بنقل غيره من اعلامه ودلالاته ومما يحقق قولنا ما رواه عبد الله بن عباس

رحمهما الله من انه صلى الله عليه وعلى اله نام ونفخ فصلى ولم يتوضأ
فقيل له عليه السلام في ذلك فقال ليس الوضوء على من نام قاعدا انما
الوضوء على من نام مضطجعا • وفي بعض الروايات او متوركا فانه اذا
نام كذلك استرخت مفاصله فبين عليه السلام انه لو نام مضطجعا للزمه
الوضوء لاسترخاء مفاصله فلو كان قلبه لا ينام لما وجب عليه الوضوء
اذا نام مضطجعا كما لا يجب عليه اذا نام قاعدا • وقد يجوز ان يكون المراد
بقوله عليه السلام تنام عيناي ولا ينام قلبي انه لا يعتقد في حال نومه من
الرويا الفاسدة والمنامات المتضادة ما يعتقده غيره من ساير
البشر فيكون في حكم المستيقظ وبمنزلة المتحفظ **ومن ذلك قوله عليه السلام**
اياكم والمشارة فانها تحيي العرة وتميت الغرة • وهذه استعارة عجيبة
والمراد بها ان مشارة الناس تظهر المعايب وتخفي المناقب لان المشاغب
لا يقدر لمخاصمه على مثلبة الا بحثها ولا يجد له منقبة الا دفنها
فكانه يميت محاسنه ويحيي مساويه وجعل عليه السلام العرة في مكان المنقبة
ليحمل الانسان بنشرها وجعل الغرة في مكان المثلبة ليمتحن الانسان
بكشفها • وقد قيل المراد بالغرة هاهنا النفيسة من المال ومنه قول
الشاعر • شهاد انجية الكرام مرزاء عزة التلاد منيل مطعام • اراد
بعزة التلاد كرايم المال • والمراد بالعرة البلاء والهلاك ماخوذ من

العرة وهي مرض يصيب الابل وهذا القول ذكره ابو عبيدة والقول
الاول اشبه بظاهر الكلام وابعد من الاعتساف والاستكراه • ومما
يؤكد ذلك ما روي عن جدنا الصادق جعفر بن محمد عليه وعلى اباءه
السلام انه قال اياكم وبغداد فانها تكشف العورة وتورث المعرة
فهذا كالبيان لذاك الاجمال والاخراج من ذاك الاحتمال **ومن
ذلك قوله عليه السلام** دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء
والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر • وهذه استعارة
والمراد بالحالقة هاهنا المبيرة المهلكة اي هذه الخلة المذمومة تهلك
الدين وتستاصله كما تستاصل الموسى الشعر والمقراض الوبر وعلى
هذا قول الشاعر • ارسل عليهم سنة قاشوره • تحتلق الناس احتلاق
النوره • اي تبير الناس فتاتي على نفوسهم او تاتي على اموالهم من الابل
والسائمة فتكون كانها قد اتت على نفوسهم باتيانها على ما هو قوام نفوسهم
وانما جعل عليه السلام البغضاء حالقة للدين لانها سبب التقاطع
والتهالك والايقاع في المعاطب والمهالك والداعي الى سفك الدم
الحرام واحتمال اعباء الاثام **ومن ذلك قوله عليه السلام** قيدوا
العلم بالكتاب • وهذه استعارة لانه عليه السلام جعل ضروب العلم بمنزلة
الابل الصعاب التي تشرد ان لم تعقل وتند ان لم تقيد • وجعل

الكتاب لها بمنزلة الايقاد المانعة والعقل اللازمة ومن هناك
ايضا سموا شكل الخط تقييدا فقالوا هذا خط مقيد بالشكل كان حفظ
عليه ايضاحه في ابهامه ولولا الشكل لضل مبانيه وانكر عرفانه وتماثيه
ذلك الحال التي من اجلها يسمى العقل عقلا وهو عندنا اسم لعلوم مخصوصة
يطول بتعدادها الكتاب منها العلم بمجاري العادات ومنها العلم بالمشاهدات
وهو اقوى من العلوم واولاها بالتقديم لان الانسان اذا لم يعلم المشاهدات
لم يصح ان يعلم شيا غيرها من المعلومات ومنها العلم بان التي لا تخلو
من وجود او عدم والموجود لا يخلو من حدوث او قدم • وان الجسم لا يجوز
ان يكون في مكانين في وقت واحد والجسمين لا يصح كونهما في مكان
واحد في حال واحدة • ومنها العلم بقبح كثير من المقبحات كنحو الظلم
والكذب الذي لم يعرف فيه جر منفعة ولا دفع مضرة والامر بالقبيح و
كفران النعم • ومنها العلم بحسن كثير من الحسنات كنحو ارشاد الضال
وبذل الافضال • ومنها العلم بوجوب كثير من الواجبات كنحو الانصاف
والعدل وشكر المنعم وترك الظلم • ومنها العلم بتعلق الفعل بالفاعلين و
الاضطرار عند احوال مخصوصة الى كثير من قصود المخاطبين • ومنها
معرفة ما يمارسه الانسان من الصنايع المتعاطاة والحرف المعاناة •
ومنها معرفة ما يسمع من مخبر الاخبار اذا كان المخبرون عددا مخصوصا

وكانوا

وكانوا عالمين بما اخبروا به اضطرارا وقد تركنا ذكر كثير من هذه الاقسام
عدولا الى الايجاز والاختصار • وذكر قاضي القضاة ابو الحسن عبد الجبار بن
احمد عند قراتي عليه ما قراته من كتابه الموسوم بالعمد في اصول الفقه • ان
هذه العلوم المخصوصة انما سميت عقلا لانها تعقل عن فعل القبيحات
وذاك لان العالم بها اذا دعته نفسه الى ارتكاب شيء من القبيحات
منعه علمه بقبحه من ارتكابه والاقدام على طرق بابه فشبهها بعقال الناقة المانع
لها من الشرود والحايل بينها وبين النهوض ولهذا المعنى لم يوصف القديم
تعالى بانه عاقل لان هذه العلوم غير حاصلة له اذ هو عالم بالمعلومات
كلها لذاته • قال وقيل ايضا انما سميت هذه العلوم المخصوصة عقلا
لان ما سواها من العلوم يثبت بثباتها ويستقر باستقرارها تشبيها
بعقال الناقة الذي به تثبت في مكانها • ولمثل ذلك قيل معقل
الجبل للمكان الذي يلجا اليه ويعتصم به • ولم سميت المراة عقيلة وهي
التي يمنعها شرف بيتها وكرم اصلها وقوة حزمها من الاقدام على ما يشينها
والتعرض لما يعيبها • والكلام في تفصيل هذه العلوم وبيان ما لاجله
احتيج الى كل واحد منها يطول وليس هذا الكتاب من مظان ذكره و
مواضع شرحه **ومن ذلك قوله عليه السلم** ستحرصون بعدي على
الامارة فنعمت المرضع وبيست الفاطمة • وهذه استعارة كانه عليه السلم

اقام الامارة في حلاوة اوائلها ومرارة اواخرها مقام المرضع التي تحسن
الرضاع وتسيء الفطام • وهذا من اوقع تشبيه واحسن تمثيل لان مداخل
الامارة محبوبة ومخارجها مكروهة لما في المداخل اليها من قضاء الارب وعلو
الرتب ولما في المخارج عنها من طروق السوء وشمات العداة **ومن
ذلك قوله عليه** لا تغالوا بمهور النساء فانما هي سقيا الله سبحانه
وهذه استعارة والمراد اعلامهم ان وفاق النساء المنكوحات وكونهن على
ارادات الازواج ليس هو بان يزاد في مهورهن ويغالى بصدقاتهن وانما
ذلك الى الله سبحانه فهي كالاحاظي والاقسام والجدود والارزاق
فقد تكون المراة منزورة الصداق واقعة بالوفاق وقد تكون ناقصة
المقة وان كانت زائدة الصدقة فشبه ذلك عليه السلام بسقيا الله يروى بها
واحد ويحرمها اخر ويصاب بها بلد ويمنعها بلد وهذه من احسن العبارات
عن المعنى الذي اشرنا اليه ودللنا عليه **ومن ذلك قوله عليه السلم**
في جملة كلام ضربه مثلا ان الله سبحانه جعل الاسلام دارا والجنة
مأدبة والداعي اليها محمدا صلى الله عليه وعلى آله • وهذا الكلام
مجاز لانه عليه السلام اقام الاسلام مقام الدار المتخذة والجنة مقام
المأدبة المصطنعة والنبي عليه السلام مقام الدال عليهما والداعي اليهما
وانما شبه عليه السلام الاسلام بالدار من حيث كان جامعا لاهله حاميا

لمن

لمن فيه وشبه الجنة بالمأدبة من حيث كانت مجتمع الشهوات ومنجع اللذات
وشبه نفسه عليه السلام بالداعي اليهما من حيث كان المرشد الى الاسلام و
الهادي للانام صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الاخيار **ومن ذلك
قوله عليه السلم** انا النذير والموت المغير • وهذه من الاستعارات الناصعة
والمجازات الواضحة لان الاستعارة على ضربين ظاهرة يعرف بجليتها
وغامضة يضطر الى استنباط خبيئها فكانه عليه السلام شبه الموت الذي
يطلع الثنايا ويطلب البرايا بالجيش المغير الذي يهجم هجوم السيل ويطرق
طروق الليل وشبه نفسه عليه السلام بالنذير المتقدم امام يحذر الناس
من فجئه ليعدوا العتاد ويتزودوا الازواد • وهذا القول منه عليه السلم
تصديق لقول الله سبحانه فيه ان انا الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد
وقد تكلمنا على هذه الاية في كتابنا الموسوم بمجازات القرآن • ويقال
انه عليه السلام لما نزلت هذه الاية اوفى على ابي قبيس ونادى يا صباحاه
فلما اجتمع الناس اليه قال لهم يا معشر قريش لو كنت مخبركم بان جيشا يطلع
عليكم من هذه الثنية اكنتم مصدقي قالوا اجل والله ما علمناك الا
صادقا مصدقا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فلما سمعوا
ذلك انفضوا عنه ارتكاسا في الغواية وابتاعا للضلالة ولقد احسن صلى
الله عليه وعلى آله ضرب المثل لهم وسلك الطريق الاخصر في حياشتهم وتقريب

الامر عليهم ولكن عشواء عن النور الابلج وابو اعشى الطريق الاعوج **ومن**
ذلك قوله عليه السلام في وصف الفرس الذي جاء سابقا انه لبحر. وهذا مجاز
وربما طعن بعض الجهال بمناديح كلام العرب في هذا القول بان يقول كيف
شبه سرعة جري الفرس بالبحر والبحر راكد لا يجري وقائم لا يسري. فجوابه
ان يقال انما شبهه عليه السلام اتساعه في الجري باتساع ماء البحر
الا تراهم يقولون انه لواسع الحضر وساع الخطو يريدون هذا المعنى
والبحر في كلام العرب للشيء الواسع ومن هنالك سموا البلدة المتسعة الاقطار
بحرة. وقد يجوز ان يكون المراد بتشبيهه بالبحر ان جريه غزير لا ينفد
كما ان ماء البحر كثير لا ينضب. ويقال للفرس الكثير الجري بحر وفيض
وسكب. وعلى هذا قول الشاعر. وفي البحور تغرق البحور. قيل اراد
الخيل السابقة التي لتسبقها خيل اسبق منها فقد بان ان التشبيه واقع
موقعه وان الطاعن فيه لم يفهم غرضه **ومن ذلك قوله عليه السلام**
الا اخبركم باحبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيامة احاسنكم
اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون الا اخبركم
بابغضكم الي وابعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون
فقوله عليه السلام الثرثارون المتفيهقون استعارة والمراد بها الذين يكثرون
الكلام ويتمعقون فيه طلبا للتكلف وخروجا عن القصد وتباعدا عن

الحق واصل الثرثار ماخوذ من العين الثرثارة وهي الواسعة الارجاء
الغزيرة الماء يقال عين ثرة وثرثارة وبذلك سمي الثرثار وهو النهر
المعروف بالشام. وقال الاخطل. لعمري لقد لاقت سليم وعامر
على جانب الثرثار راغية البكر. قال المبرد. وليست الثرة عند النحويين
البصريين من لفظ الثرثارة ولكنها في معناها. وقوله عليه السلام المتفيهقون
يريد به ما يريد بقوله الثرثارون ومتفيهق متفيعل من قولهم فهق الغدير
يفهق اذا كثر ماؤه وطمت جمامه **ومن ذلك قوله عليه السلام**
في وصيته لمعاذ بن جبل وامت امر الجاهلية الا ما حسنه الله. وهذه
استعارة والمراد بوصيته بان يخمل امر الجاهلية بنقض احكامها وخفض
اعلامها حتى ينسى ذكرها ويعفوا اثرها فتكون كالميت الذي نسي ذكره
وانقطع خبره **ومن ذلك قوله عليه السلام** الصوم جنة والصدقة
تطفي الخطيئة. وهاتان استعارتان احداهما قوله عليه السلام الصوم جنة   الصوم
والمراد ان الصائم الذي يخلص في صومه ويستكمل اجر صومه يكون احلاله
في ذلك الصوم كانه قد لبس جنة من العقاب واخذ امانا من النار
وللصوم مزية على ساير العبادات في هذا المعنى وان كانت اذا اديت على
شروطها بهذه الصفة وذلك ان الصيام لا يظهر اثره بقول اللسان
ولا بفعل الاركان وانما هو سر في القلب وامساك عن حركات المطعم و

فهو يقع بين الانسان وبين الله خالصًا من غير ريآء ولا نفاق وسائر
العبادات وضروب القرب والطاعات قد يجوز ان تفعل على وجه الريآء
والسمعة دون حقايق الاخلاص والطاعة • وقال لي ابو عبد الله محمد
بن يحيى الجرجاني الفقيه عند اصحابنا ان الصلوة افضل من الصيام
لانها تتضمن معنى ما في الصيام من الامساك وفيها مع ذلك الخشوع و
تلاوة القران • وقال النبي عليه السلام لا يزال العبد في جهاد الشيطان
ما دام في صلوته فجعل الصلوة ايضًا تتضمن معنى الجهاد • فاما ما روي
في الخبر من انه عليه السلام قال حاكيا عن الله تعالى كل عمل ابن ادم له الا الصوم
فانه لي وانا اجزي به فليس ما فيه من تفضيل الصوم بدال على ان غيره من
العبادات ليس بافضل منه وانما وجه اختصاصه بالذكر من بين العبادات
على التعظيم له لاجل ما قدمناه ذكره من انه لا يفعل الا على محض الاخلاص
ولا يتاتى في حقيقته شيء من الريآء والنفاق • وقد جاء عنه عليه السلم
انه قال ليس في الصوم ريآء وهذا بيان للمعنى الذي تكلمنا عليه •
وحكي عن سفين بن عيينة في تفسير هذا الخبر انه قال الصوم هو الصبر
لان الانسان يصبر عن المطعم والمشرب والمنكح • وقد قال تعالى انما
يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب • فقول فثواب الصوم ليس له حساب
يعلم من كثرته على قدر كلفته ومشقته • وقد جاء عنه عليه السلم انه قال

ليس

ليس في الصوم ريآء وهذا بيان المعنى الذي تكلمنا عليه • والاستعارة الاخرى
قوله عليه السلام والصدقة تطفئ الخطيئة • وذلك انه عليه السلام جعل الخطيئة
بمنزلة النار من حيث كانت مفضية الى عذاب النار وجعل الصدقة مطفية
لها اذا كثرت فاثرت في سقوط عقابها وهذا القول يصح على طريقة من يقول
بالموازنة فاذا كان عقاب الخطيئة مائة جزء وكان ثواب الصدقة خمسين جزءًا
سقط من اجزا العقاب بقدر اجزاء الثواب فكان الصدقة بنقصانها من
قدر العقاب قد اطفات وقدته وكسرت سورته • وكان ابو هاشم يختار في
الاحباط والتكفير الموازنة وكان ابو علي يقول ان الزايد يسقط الناقص من
الثواب والعقاب لا على طريق الموازنة • ولا يجوز ان يتساوى ما يستحق على
الطاعة وما يستحق على المعصية لانهما لو تساويا لسقطا فلم يكن المكلف
مستحقا الحمد ولا ذم ولا مستوجبًا لثواب ولا عقاب وقد امننا الاجماع
من ذلك اذ الامة مجمعة على ان كل من كلفه الله سبحانه في الدار الدنيا فهو
يصير العائد الى احدى الدارين مثابا او معاقبا ويبين ذلك قوله سبحانه
فريق في الجنة وفريق في السعير • والكلام على تفصيل هذه الجملة يخرجنا
عن غرض الكتاب ويدخلنا في باب الاطناب **ومن ذلك قوله عليه السلم**
لكعب بن عجرة في كلام طويل يا كعب بن عجرة الناس غاديان فغاد مبتاع
نفسه فمعتقها وغاد بايع نفسه فموبقها • وهذه استعارة والمراد

ان احدهما يعصم نفسه ويوبقها من اتباع الشهوات وركوب الموبقات
وقام بوظايف الواجبات فامن ضرر العقاب ونقاش الحساب فكانه
ابتاع نفسه بذلك فاعتقها واستخلصها واستنقذها • والاخر ابتغ
نفسه هواها واوردها رداها بالتهوك في المغاوي والارتكاس في
المهاوي والتقاعس عن الواجبات والاسراع الى المقبحات فكانه باع نفسه
بذلك فاوبقها وعرضها للهلكة فاوردها وهذه من احسن العبارات عن
المطيع الناجي بطاعته والعاصي الهالك بمعصيته **ومن ذلك قوله
عليه السلام** ان من اشراط الساعة سوء الجوار وقطيعة الارحام وان
يعطل السيف من الجهاد وان تختل الدنيا بالدين • والكلمة الاخيرة
داخلة في باب المجاز والمراد بها النهي عن طلب منافع الدنيا وحطامها
واستدرار احلابها وموادها باظهار الورع وابطان الطمع فكان
الانسان بذلك يختل الدنيا ليرمي غرتها ويصيب غرتها كالصايد
الذي يختل الوحش بضروب الحيل حتى تعلق في حباله وتنشب في اشراكه
وعلى ذلك قول الكميت بن زيد واني على حبيهم وتطلعي الى نصرهم امشي الضراء
واختل وقد يجوز ان يكون المراد وان يختل اهل الدنيا بالدين فحذف
المضاف واقام المضاف اليه مقامه على مثال قوله سبحانه واسئل القرية
وهذا النوع في الكلام لا يحصى كثرة **ومن ذلك قوله عليه السلام**

في كلام طويل ولا تكلم اليوم بكلام تعتذر منه غدا واخزن لسانك • و
هذه استعارة والمراد بخزن اللسان حفظ فلتاته وكف جماحه حتى لا
يسرع الى ما تسوء مغبته ولا تؤمن عاقبته فاقام عليه السلام ضبط
اللسان عن ذلك مقام الخزن له فاجراه مجرى المال الذي يحفظ فلا ينفق
في الوجوه المفسدة والمخارج المضرة ولا يكون انفاقه الا في ما جر منفعة
او دفع مضرة **ومن ذلك قوله عليه السلام** من جملة كلام العلم خليل
المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه واللين اخوه والرفق
والده والصبر امير جنوده • وهذه الالفاظ كلها مستعارة ونحن
بتوفيق الله نتكلم عليها ونبين مواضع الاستعارة منها • فالمراد
بقوله عليه السلام العلم خليل المؤمن انه يأنس به من الوحشة ويسكن اليه
في الوحدة كما يأنس الخليل بخليله ويسكن الحميم الى حميمه • والمراد
بقوله عليه السلام والحلم وزيره انه يقوى به على الامور ويوازره
على كظم المكروه • والمراد بقوله عليه السلام والعقل دليله انه بالعقل
يهتدي في ظلم المشكلات وينجو من مضايق الغمرات فهو كالدليل الذي
يرشد في المضال ويجنب عن المزال • والمراد بقوله عليه السلام والعمل
قيمه ان العمل يثقف ميله ويقوم زلله ويسد خلله فهو كالقيم الذي
ياتي لصالح ما يقوم عليه ومراشد ما يوكل اليه • والمراد بقوله

عليه السلام واللين اخوة ان اللين يعين على مواخاة الاخوان ومخالصتهم
ويحفظ عليه صفاءهم ومودتهم فجعله عليه السلام اخاه من حيث
كان سببا لاجتلاب الاخوان اليه وحفظ المودات عليه. والمراد
بقوله عليه السلام والرفق والد كالمراد بقوله واللين اخوة لان الرفق
يقبل اليه بالقلوب ويظار عليه كوامن الصدور ويصير كل احد
في الحنو عليه والميل اليه كالوالد الرؤوف والحدب العطوف. والمراد
بقوله عليه السلام والصبر امير جنوده ان الصبر ملاك امره وسداد
اذنه وبه تبلغ الاراب ويدرك المحاب فهو كامير جنده الذي يقوى
به على اعدايه ويصل به الى اغراضه وطلباته. وقد يجوز ان يكون
المراد ان الصبر راس خلاله ورئيس خصاله فهو متقدم عليها. و
كالامير لسايرها كما ان الامير متقدم على رعيته وشاف على من في
طبقته **ومن ذلك قوله عليه السلم** في جملة كلام والمهلكات شح مطاع
وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه. فقوله عليه السلام شح مطاع
استعارة كانه اقام الشح مقام الامر بالامساك والمخوف من عواقب
الانفاق واقام البخيل مقام المطيع لامره والمتصرف على حكمه وقد سمى
عليه السلام ذلك في خطبة له فقال واياكم والبخل فانه اهلك من كان
قبلكم امرهم بالقطيعة فقطعوا وامرهم بالفجور ففجروا فبين عليه السلم

يكو

كيف يكون البخل امرا مطاعا وقايدا متبوعا وهذه ايضا استعارة
اخرى لان البخل على الحقيقة لا يكون امرا ناهيا ولا قايلا مخاطبا
والمراد بقوله عليه السلام امرهم بالقطيعة فقطعوا ان البخلاء يضنون
بما لهم على اهل الحاجة من اقربايهم واولي الخلة من ذوي ارحامهم فيكونون
بذلك قاطعين للرحم القريبة وعاقين للاعراق الوشيجة. والمراد
بقوله عليه السلام وامرهم بالفجور ففجروا ان البخل حسن لهم منع الاموال
من الانفاق في الحقوق واسلاكها سبل المعروف فاجرى عليهم لهذه
الحال اسم الفجور **ومن ذلك قوله عليه السلم** الكلمة الحكيمة ضالة
الحكيم حيث ما وجدها فهو احق بها. وهذه استعارة وذلك انه عليه السلم
جعل الكلمة الحكيمة للحكيم بمنزلة الضالة التي هو ناشد لها وساع
في طلبها لانها اشبه بحكمته واولى بالانضمام الى اخواتها في قلبه فحيث
ما سمعها من قايل غير حكيم او مرشد غير رشيد فهو احق بالحيازة لها
والغلبة عليها. ويشهد بذلك ما روي في الحديث ان الكلمة الحكيمة
تكون في قلب المنافق فلا تزال تنزع حتى تلحق بصواحباتها في قلب المومن
فكانها جعلت في قلب المنافق بمنزلة الغريبة التي هي في غير وطنها
ومع غير اهلها وجعلت في قلوب المومن بمنزلة المستقر في الوطن
والساكن الى السكن وهذه ايضا استعارة اخرى **ومن ذلك قوله عليه**

في خطبة له الا وان الدنيا قد ارتحلت مدبرة وان الاخرة قد ارتحلت مقبلة
وهذه استعارة لانه عليه السلام جعل الدنيا بمنزلة الهارب المولي والاخرة
بمنزلة الطالب المجلي وذلك من احسن التمثيلات واوقع التشبيهات لان
ابناء الدنيا بمنزلة الهاربين من علايق الحمام وبوايق الايام والموت الذي
هو من اسباب الاخرة بمنزلة المغير على الارواح والهاجم على الاجساد
وهذه الصفة مستمرة للدنيا في شبابها قبل ان تهرم وفي ابتدائها قبل
ان تنصرم لان كون الموت طالبا لاهلها ومبددا لشملها معلوم من اول
انشائها وتصوير ابنائها • وقد يجوز ان يكون المراد بارتحال الدنيا
مدبرة معنى اخر يختص بحال الدنيا في اواخر مدتها وعند تناهي غايتها
وهو ان توصف بتصرم الامد ونقصان العدد كما يقول القايل قد
ارتحل عمر فلان وقد ادبرت مدة فلان اذا مضى عنفوان ايامه وقربت
اوقات حمامه • ويروى هذا الكلام على تغيير في الفاظه لامير المؤمنين
علي بن ابي طالب عليه السلام • وقد اوردناه في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة
وهو المشتمل على مختار كلامه عليه السلام في جميع المعاني والاغراض و
الاجناس والانواع **ومن ذلك قوله عليه السلم** الاحتباء حيطان العرب
والعمايم تيجان العرب • وهاتان استعارتان عجيبتان فاما قوله عليه السلم
الاحتباء حيطان العرب فانما اراد بها انها اذا استعملت الحبى في قعودها

قامت لها مقام الحيطان في الاستناد اليها والاعتماد عليها كما تستند
الظهور الى الجدران او كما تستروح الجناب الى الاجدال • واما قوله عليه
السلام والعمايم تيجان العرب فانما اراد ان بها العرب يكون بعمايمها كما
يكون بها ملوك العجم بتيجانها فان الاعتمام يحصن الهامة ويتم القامة
ويفخم الجلة ويوقر الجملة حتى ان العرب لتقول على المتعارف بينها انا سعفه
معتم قط وبهذا المعنى فسر قول الفرزدق اذا مالك القى العمامة فاحذروا
بوادر كفي مالك حين يغضب اراد انه اذا القى العمامة طاش حلمه وخيف
سطوه وما دام معتما فهو مامون الهفوة ومعهود السطوة على مجرى
عادتهم وعرف طريقتهم وقد فسر ايضا قول الاخر انا ابن جلا وطلاع
الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني على مثل هذا المعنى فكانه توعدهم عند
القاء العمامة ببادرته وان يفيض عليهم ما يستجم من شآبيب سطوته و
قوله تعرفوني ليس يريد به العرفان الذي هو ضد الانكار وانما اخرجه
مخرج الوعيد واطلعه مطلع التهديد كما يقول القايل لغيره اذا اراد
هذا المعنى ستعرفني واما تعرفني والمراد ستعرف عقوبتي واما تعرف غضبي
وسطوتي • **ومن ذلك قوله عليه السلم** المجاهد من جاهد نفسه • و
هذا مجاز المراد من امتنع من مواقعة المعاصي الموبقة واستعصم من الخطايا
المردية فجعله عليه السلام بمنزلة من بارز قرنا نازله وعدوا يقاومه ليغالبه

من الشغف في مغالبة نوازع قلبه ودواعي نفسه وما يعركه من اذيتها
ويعلكه من شكيمها ومن ذلك قوله عليه السلام في خطبة طويلة والنساء
حبائل الشيطان. وهذه من احاسن الاستعارات. وذلك انه عليه السلام
جعل النساء من اقوى ما يصيد به الشيطان الرجال فهن له كالحبائل
المبثوثة والاشراك المنصوبة لانهن مظان الشهوات ومقاود الخطيات
وبهن يستخف الركين ويستخون الامين ومن ذلك قوله عليه السلام
في كلام والشباب شعبة من الجنون. وهذا القول مجاز والمراد ان الشباب
يحسن القبيح ويسفه الحليم ويحل مسكة التماسك ويكون عنده التهالك
فمن هذه الوجوه يشبه صاحبه بالسكران من الخمر والمغلوب على العقل ومن هنا
قيل سكر الشباب كسكر الشراب. وعلى ذلك قول الشاعر. ان شرخ الشباب
والشعر الاسود ما لم يعاص كان جنونا ومن ذلك قوله عليه السلام
الا ان الغضب جمرة توقد في جوف ابن ادم الم تروا الى حمرة عينيه و
انتفاخ اوداجه في حديث طويل. وهذه استعارة كانه عليه السلام جعل
اهتياج الطبع واحتدام الغيظ بمنزلة الجمرة التي تتوقد في جوف الانسان
فيظهر اثر اتقادها في احمرار عينيه واختناق وريديه فلا يزال كذلك
حتى يطفئها برد الرضا او عواطف الحلم والبقيا ومن ذلك قوله
عليه السلام العلم رائد والعقل سائق والنفس حرون. وهذا

الكلام مجاز وذلك انه عليه السلام شبه علم الانسان بالرائد الذي
يتقدم امام الحي فيدلهم على المنزل الوسيع والمرعى المريع لان العلم
ياخذ بصاحبه الى المناجي ويعدل به عن المغاوي. وشبه العقل
بالسائق لانه يحث الانسان على سلوك النهج الاسلم ويحمله على الذهاب
في الطريق الاقوم وشبه النفس بالدابة الحرون لانها تتقاعس عن مراشدها
وتلذع بسوط الادب حتى تسلك طرق مصالحها ومن ذلك قوله عليه السلام
كل واعظ قبلة. وهذا القول مجاز والمراد امر الناس بالاقبال على
الواعظ لهم والمتكلم بما ياخذ الى الرشاد بانصاتهم اصغاء لكلامه و
وتفهما لمقاصد خطابه كاقبالهم على القبلة التي يصلون اليها ويحومون
نحوها ولا يجوز لهم الانحراف ومن ذلك قوله عليه السلام نعم وزير الايمان
العلم ونعم وزير العلم الحلم ونعم وزير الحلم الرفق ونعم وزير الرفق
اللين. وهذا الكلام مجاز والمراد ان كل خلة من هذه الخلال المذكورة
توازر صاحبتها وتعاضد قرينتها وتقوى كل واحدة منها باختها كما
يوازر الرجل صاحبه على الامر يطلبه والعدو يحاربه فتشتد منتاها و
وتستحصف قواها ومن ذلك قوله عليه السلام زاد المسافر الحداء و
الشعر ما لم يكن فيه خنا. وهذا القول مجاز والمراد ان التعلل بانشاد
الحداء وانشاد القريض يقوم للمسافرين مقام الزاد المبلغ في امساك

الارماق والاستعانة على قطع المسافات والى هذا المعنى ذهب الشاعر
بقوله ان الحديث طرف من القرى **ومن ذلك قوله عليه السلم**
من عدّ غدا من اجله فقد اساء صحبة الموت • وهذا القول مجاز لانه
عليه السلام اقام الموت للانسان مقام العشير المخالط والرفيق الملازم
وجعل من اغتر بطول اجله واتساع مهله بمنزلة من اساء صحبة ذلك
الرفيق المصاحب والخليط المقارب اذ كان الاولى ان يعتقد انه غير
مفارق له وان المدى غير منفرج بينه وبينه • وعلى ذلك قول الشاعر
والمنايا قلايد الاعناق **ومن ذلك قوله عليه السلم** انا مدينة العلم
وعلي بابها ولن تدخل المدينة الا من بابها • وهذا القول مجاز لانه
عليه السلام شبه علمه بالمدينة المحصنة التي لا يطمع طامع في دخولها
ولا الوصول اليها الا من بابها واقام عليا امير المومنين عليه السلام
لتلك المدينة مقام الباب الذي تفتح من جهته ويوصل اليها من ناحيته
ومن ذلك قوله عليه السلم لكل شيء وجه ووجه دينكم الصلاة
فلا يشينن احدكم وجه دينه ولكل شيء انف وانف الصلاة التكبير
وهذا القول مجاز والمراد ان الصلاة تعرف بها جملة الدين كما ان الوجه
تعرف به جملة الانسان لانها اظهر العبادات واشهر المفروضات وجعل
انفها التكبير لانه اول ما يبدو من اشراطها ويسمع من اذكارها واركانها

ومن ذلك قوله عليه السلم اطعموا الله يطعمكم • وهذا القول مجاز لانه
سبحانه قال وهو يطعم ولا يطعم والمراد اطعموا فقراء الله الذين امركم باطعامهم
وجعلكم سببا لارزاقهم يجازكم على ذلك بجزيل الثواب ويكثر لكم من
الاعواض **ومن ذلك قوله عليه السلم** العلم خزاين ومفتاحها السؤال
فاسألوا رحمكم الله فانه يوجر اربعة السائل والمجيب والمستمع والمحب لهم
وهذا القول مجاز والمراد تشبيه العلم في قلوب العلماء بالخزاين المستبهمة
والابواب المستغلقة وانما تستفتح بسؤال السائلين ويستخرج ما فيها
ببحث الباحثين **ومن ذلك قوله عليه السلم** الموت ريحانة المومن و
هذا القول مجاز والمراد ان المومن يستروح الى الموت تعوذا من كروب الدنيا
وهمومها وروعاتها وخطوبها كما يستروح الانسان الى طيب المشمومات
ونظر المستحسنات **ومن ذلك قوله عل** الدعاء سلاح المومن وعمود
الدين • وهذا القول مجاز والمراد ان المومن يستدفع بالدعاء كيد
الكايدين وظلم الظالمين فيقوم له مقام السلاح الذي يرتوي للقاء
ويفل الاعداء • وجعل عليه السلام الدعاء عمود الدين لانه لا يصدر
الا عن قلب المخلص الاواب لا الشاك المرتاب والاخلاص قطب الدين
الذي عليه المدار واليه المحار **ومن ذلك قوله عل** من كلام في وصف
النساء • ومنهن ربيع مربع وغل قمل • وهذا القول مجاز والمراد تشبيه

المرآة الحسناء المتوقفة بالربيع المزهر والروض المنور وتشبيه المرآة الشوهاء
المشتغلة بالغل الذي يثقل الرقاب ويطول العذاب وجعله عليه السلام
قملاً ليكون اعظم لعذابه وابلغ في مكروه المبتلى به ومن ذلك قوله عليه السلم
ان المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة في النار اذا انقبضت واجتمعت
وهذا الكلام مجاز وفيه قولان • احدهما ان المسجد يتنزه عن النخامة
وهي البصقة بمعنى انه يجب ان يكرم عنها والا يبتذل بها فاذا رايت عليه
كانت شائنة له وزارية عليه فكان معها بمنزلة الرجل ذي الهيئة يتشمز
مما يهجنه وينقبض عما يدنسه واصل الانزواء الانحراف مع تقبض
وتجمع • والقول الآخر ان يكون المراد اهل المسجد فاقام المسجد في الذكر مقامهم
لما كان مشتملا عليهم • وعلى ذلك قول الشاعر • واستب بعدك يا كليب
المجلس والمراد اهل المجلس لان الاستباب لا يكون بين القاعات والجدران و
انما يكون بين الانسان والانسان فالمعنى ان اهل المسجد يتقبضون من
النخامة اذا راوها فيه ذهابا به عن الادناس وصيانة له عن الادران و
من ذلك قوله عليه السلم القتلى رجل وقى على نفسه من الذنوب و
الخطايا حتى اذا لقي العدو قاتل حتى قتل فذلك ممصمصة محت ذنوبه
وخطاياه ان السيف محاء للخطايا • وهذا الكلام مجاز لان السيف على
الحقيقة لا يمحو شيئا من الذنوب ولكن القتل بالسيف لما كان سببا

للشهادة التي يستحق بها دخول الجنة وحقيقتها شهادة الملائكة للقتيل
بانه من اهل الجنة اذا بذل مهجته في طاعة الله مجتهدا ووطن نفسه على الم
الجراح والثبات للقاء صابرا محتسبا كان السيف كانه قد محا ما سلف
من ذنوبه وليس يبلغ الانسان الى هذه المنزلة في طاعة الله تعالى من بذل
النفس للقتل وتوطينها على الهلاك في الاغلب الاكثر الا وهو تايب من
جميع الذنوب التي توجب العقاب وتحبط الثواب فتكون الشهادة
حينئذ دالة على انه من اهل الجنة وسببها السيف فكانه قد محا
ذنوبه اي ازالها وابطلها • وعلى ذلك قول الشاعر • فلا تكثروا
فيها الضجاج فانه محا السيف ما قال ابن دارة اجمعا • اي ازاله
وابطله • وقوله عليه السلم • فذلك ممصمصة محت ذنوبه • مجاز آخر كان
القتل غسله من دون الذنوب • قال ابن السكيت يقال مصمصت
الاناء ومضمضته بالصاد والضاد اذا غسلته • ويقال انصاص
الثوب بالصاد غير معجمة اذا غسله ومن ذلك قوله عليه السلم لاصحابه
ابعثوني تكونوا بيوتا • وهذا القول مجاز لانه عليه السلام لم يرد بيوت الشعر
وبيوت المدر على الحقيقة وانما اراد انكم تكونون لعلو اقداركم واشتهار
اخباركم شعوبا تقف نسبنا ولادكم عندكم ولا تتجاوزكم الى من فوقكم
وهذا لا يكون الا لابناء الآباء الادنى واستغنائهم بابنائهم عن الآباء على

كما يقال لمن ينسب الى امير المؤمنين علي عليه السلام علوي ولا ينبغي ان
يقال هاشمي او منافي وكما يقال لمن كان من ولد عمر عمري ولا يقال
عدوي ونظاير ذلك كثيرة • وانما سميت المناسب المخصوصة بيوتا لاشتمالها
على ضروب الرجال المتصلين بها والمضافين اليها تشبيها بالبيت المبني
في اشتماله على الدعايم والعماد والاوتاد والاطناب • ونظير الخبر المذكور
من الشعر قول الطائي الاكبر في صفة الفرس • هذب في جنسه ونال الشهرة
ونجابته المدى بنفسه فهو وحده جنس اراد ان نسله ينسب اليه ولا يتجاوز
به الى من وراءه من آبائه وامهاته كما يقال هذا الفرس من نسل ذي
العقال ومن نتاج ذي الخمار وما اشبههما ومن ذلك قوله عليه السلم
في الكلام الذي تكلم به يوم الغدير واسألكم عن ثقلي كيف خلفتموني
فيهما فقيل له وما الثقلان يا رسول الله فقال الاكبر منهما كتاب الله
سبب طرف منه بيد الله وطرف بايديكم • هذه رواية زيد بن ارقم
وفي رواية ابي سعيد الخدري حبل ممدود من السماء الى الارض والاصغر
منهما عترتي اهل بيتي انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض • وفي رواية
اخرى حبلان ممدودان من السماء الى الارض فان الكلام يعود على الثقلين
وهذه استعارة لانه عليه السلام شبه كتاب الله تعالى بالحبل الممدود بين
الله وبين خلقه يعصم منهم من اعتصم به ويستنقذ من المهاوي والمعاطب

من اعتلق بطرفه وليس ان هناك حبلا على الحقيقة يعصم المتعلق ويستنشل المتورط
وانما ذلك على التمثيل والتشبيه لان المستنقذ من الورطة والمنهض من السقطة
في الاكثر انما يجتذب بيد ويستقل بسببه فاخرج عليه السلم كلامه على
العرف المعروف والامر المعهود • ومن روى حبلان ممدودان واراد بالحبلين
العترة فالمعنى انه عليه السلام اقام عترته مقام الحبل الممدود الذي يكون عصمة
المستعصم ونجاة المستسلم كما قلنا في القرآن • وهذا الخبر بتمامه خبر يوم
الغدير الذي يقول فيه صلى الله عليه وعلى آله من كنت مولاه فعلي مولاه
اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واخذل من خذله وانصر من نصره
وقد رواه من مشهوري الصحابة عشرة اولهم امير المؤمنين عليه السلم وهو
الصادق المصدق وزيد بن ارقم وحذيفة بن اسيد والبراء بن عازب
وسعد بن ابي وقاص وابو هريرة وجابر بن عبد الله وابو ايوب خالد بن
زيد وانس بن مالك وبريدة بن الحصيب فقد روى عنهما في هذا الخبر من
كنت وليه فعلي وليه ووافقهما ابن عباس على ذلك • واخبرنا بهذه الرواية
خاصة وهي اشهر الروايات ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال اخبرنا
ابرهيم بن محمد بن عرفة الواسطي قال حدثنا عبيد الله بن جرير بن جبلة قال
حدثنا مسلم بن ابرهيم قال حدثنا نوح بن قيس قال حدثنا الوليد بن صالح
عن ابن امراة زيد بن ارقم عن زيد بن ارقم اخبرنا بذلك ابو عبيد الله المرزباني

في جملة ما اخبرنا به من رواياته ومصنفاته • وعلى هذه الرواية يخرج
اللفظة من الاحتمال ويكون اقرب الى المعنى المراد لان ولي الشيء اولى به
من غيره واحق بالاستيلاء عليه من كل من لم يضرب فيه بسهم حق • وقد
روى عمران بن الحصين عن النبي عليه السلام انه قال علي ولي كل مؤمن بعدي
وفي هذا الخبر تصريح بانه من بعده ولي الامر وواليه والقايم مقامه فيه كما قال
الكميت بن زيد في ذلك • ونعم ولي الامر بعد وليه ومنتجع التقوى ونعم المؤدب
والكلام في هذا المعنى يطول وليس كتابنا هذا من مظان استقصائه ومواضع
استيفايه • وفي هذا الخبر مجاز اخر وذلك في تسميته عليه السلام الكتاب
والعترة بالثقلين وواحدهما ثقل وهو متاع المسافر الذي يصحبه اذا
رحل ويسترفق به اذا نزل فاقام عليه السلام الكتاب والعترة مقام رفيقه
في السفر ورفاقه في الحضر وجعلهما بمنزلة المتاع الذي يخلفه بعد وفاته
فلذلك احتاج الى ان يوصي بحفظه ومراعاته • وقال بعض العلماء انما
سميا ثقلين لان الاخذ بهما ثقيل • وقال بعضهم انما سميا بذلك
لانهما العدتان اللتان يعول في الدين عليهما ويقوم امر العالم بهما ومنه
قيل للانس والجن الثقلان لانهما اللذان يعمران الارض ويثقلانها
ومن ذلك قول الشاعر • تقوم الارض ما عمرت فيهما • وتبقى ما بقيت
بها ثقيلا • لانك موضع القسطاس منها فتمنع جانبيها ان تزولا

ومن ذلك قوله عليه السلام لبعض ازواجه احسني جوار نعم الله فانها قل
ما نفرت عن قوم فكادت ترجع اليهم • وهذه استعارة لانه عليه السلام جعل
النعم المفاضة على الانسان بمنزلة الضيف النازل والجار المجاور اللذي
يجب ان يعد قراه ويكرم مثواه ويصفى مشاربه ويؤمن سار به فان اخيف
سربه ورنق شربه وضيعت قواصيه واعتمت مقادير كان خليقا بان
ينتقل وجديرا بان يستبدل فكذلك النعم اذا لم يجعل الشكر قرى نازلها
والحمد مهادا منزلها كانت وشيكة الانتقال وخليقة بالزيال • و
في رواية اخرى احسنوا جوار نعم الله فانها وحشية وباقي الخبر على لفظه
فعلى هذه الرواية كانه عليه السلام شبه النعم باوابد الوحش التي تقيم مع
الايناس وتنفر مع الايحاش ويصعب رجوع شاردها اذا شرد ودنو
نافرها اذا بعد **ومن ذلك قوله عليه السلام** وقد سمع مؤذنا يقول
اشهد ان لا اله الا الله فقال صدقك كل رطب ويابس • وهذا
الكلام مجاز لان الرطب واليابس من الشجر والاعشاب والماء والتراب
لا كلام لهما ولا روح فيهما وانما اراد عليه السلام ان تصديقهما بلسان
الخلق لا بلسان النطق فجميع المخلوقات شاهدة بان لا اله الا الله سبحانه
بما فيهما من آثار الصنعة واتقان الصيغة وشواهد الصانع الحكيم والمقدر
العليم فهي من هذه الوجوه متكلمة وان كانت خرساء ومفصحة وان كانت

عجمًا وعلى هذا المعنى خرج قول الشاعر • وفى كل شىء له اية تدل على انه
واحد **ومن ذلك قوله عليه السلم** الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار
الحطب وهذه استعارة والمراد ان الحسد يخرج بصاحبه الى الاقدام على
المعاصى والارتكاس فى المهاوى فيلغ فى الدماء الحرام ويحتطب فى حبائل
الآثام ويشرع فى نقل النعم من اماكنها وازعاجها عن مواطنها فيكون عقاب
هذه المحظورات محبطًا للحسنات ومسقطًا لثواب طاعاته على المذهب الذى
اشرنا اليه فيما تقدم فيصير الحسد الذى هو السبب فى استحقاق العقاب و
احباط الثواب كانه ياكل تلك الحسنات لانه يذهبها وينفيها ويسقط اعيانها
ويعفيها • وانما شبهه عليه السلام فى اكله الحسنات بالنار التى تاكل الحطب
لان الحسد يجرى فى قلب الانسان مجرى النار لاهتياجه واتقاده وماضه
واحراقه ومن هناك قال بعضهم ما رايت ظالمًا اشبه بمظلوم من الحاسد نفس
يتصعد وزفير يتردد وحزن يتجدد **ومن ذلك قوله عليه السلم** فى عهد
كتبه لعماله على اليمن • فان هذا القران حبل الله المتين فيه اقامة العدل
وينابيع العلم وربيع القلوب • وفى هذا الكلام ثلث استعارات اولاهن
قوله عليه السلام فان هذا القران حبل الله المتين • وقد تقدم كلامنا على
نظيرها وبيّنا لاى معنى شبه القران بالحبل الممدود بين الله سبحانه و بين
خلقه فى انه عصمة لمستعصمهم ومُمسك لمستمسكهم • والاستعارة الثانية قوله

عليه السلام فى صفة القران وينابيع العلم وذلك انه صلى الله عليه واله وسلم
شبه ما يفتحه القران لمتفهميه ويبينه للناظرين فيه من ابواب العلوم وطرقه
وينفتق من اكمته وغلفه بينابيع الماء المتفجرة وعيونه المستنبطة ولان العلم
ايضًا ينقع الغليل بعد الشك المحير كما يبرد الماء الغلة بعد العطش المبرح فلذلك
شبهه السلام بعيون الماء وينابيع الرواء • والاستعارة الثالثة قوله عليه السلم
وربيع القلوب وذلك انه جعل القران للقلوب الواعية بمنزلة الربيع للابل
الراعية لان القلوب تنتفع بتدبر القران وتامله كما تنتفع الابل بخصب
الربيع وبقله فهذا غذاء للارواح كما ان ذاك غذاء للاجسام • وقد يجوز ان
يكون المراد ان القلوب تنفرج بحكم القران وادابه كما تنفرج العيون بانوار
الربيع واعشابه • والربيع اسم للغيث فى الاصل ثم صار اسمًا عندهم لما
ينبت عن الغيث من افانين النور والعشب الا ترى الى قول الشاعر • وهو
يريد الغيث انت ربيعى والربيع ينتظر • وخير انواء الربيع ما بكر • وهذا
كما سموا الغيث سماء لان نزوله يكون من جهة السماء • قال الشاعر •
اذا سقط السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا • اراد اذا سقط
الغيث ثم قال رعيناه فرد الكلام على ما ينبت عن الغيث من الرعى الجميم و
الكلاء العميم • ومثل هذا فى كلامهم كثير مستفيض • والربيع ايضًا
النهر الصغير • وفى الحديث وما سقى الربيع وما جعل ربعًا على وزن

الضياء ومن ذلك قوله عليه السلم في هذا العهد وهو يذكر اوقات الصلوة
والعصر اذا كان ظل كل شيء مثله وكذلك ما دامت الشمس حية والعشاء
اذا غاب الشفق الى ان تمضي كواهل الليل وهما ها هنا استعارتان اولا هما
قوله عليه السلام ما دامت الشمس حية والمراد بحياة الشمس ههنا كونها
في بقية من الاحمرار من قبل ان تفضي الى الحؤول والاصفرار ومن هنالك
قالوا الشمس مريضة اذا ولى احمرارها واقبل اصفرارها • وعلى هذا
قول الشاعر • لدن غدوة حتى نزعن عشية • وقد مات شطر الشمس
والشطر ملتف • فجعل نصفها ميتا لما انصرم اكثر ضيائها وجعل
نصفها ملتفا لما كان من التصرم على شفا ومثل ذلك قول الراجز
والشمس قد كادت تكون دنفا اي قد قاربت ان تشفي على الغروب كما
تشفي الدنف المريض على الخفوت فجعلها دنفا بالغروب في وصفها
بنقصان اللون وحؤول الضوء على اصل وصفهم لها بالمرض • وكوصفهم
الشمس بالموت في اشعارهم وجه اخر وهو اذا ارادوا ان يصفوا يوم
الحرب باشتداد الحر واسوداد الافق للقتام المتراكب والنقع المتغاظل
فيقيمون تغيب الشمس واحتجابها مقام انقراضها وذهابها • و
الاستعارة الاخرى قوله عليه السلام الى ان تمضي كواهل الليل • والمراد
الى ان تمضي اوايله فتمامها كواهل تشبيها لليل بالمطايا السايرة التي

تقدم اعناقها وهواديها وتتبعها اعجازها وتواليها • ومن هنالك
قالوا في السارى ليلا اتخذ الليل جملا ويقولون ركب الليل وامتطى الليل
لما جعلوه بمنزلة الظهر المركوب والبعير المرحول ومن ذلك قوله عليه السلم
مفاتيح الجنة لا اله الا الله • وهذه استعارة والمراد ان هذا القول
به يوصل الى دخول الجنة فجعله عليه السلام بمنزلة المفاتيح التي تستفتح
بها الاغلاق وتستفرج الابواب • واراد عليه السلام هذه الكلمة وما
يتبعها من شعاير الاسلام وقوانين الايمان الا انه صلى الله عليه
وعلى اله عبر عن جميع ذلك بهذه الكلمة لانها اول لتلك الشعاير وهي لها
تابع لها ومتعلق بها لها كالزمام القايد والمتقدم الرايد وذلك
كما يعبر عن حروف المعجم ببعضها فيقال الف با تا ثا والمراد جميعها
وكذلك يقولون هو في ابجد ويريدون ساير هذه الحروف الا ان
هذه الحروف لما كانت اوايلها فيها ومتقدمة لما يليها حسن ان يعبر
بها عن جميعها ومن ذلك قوله عليه السلم في وصية لمعاذ بن جبل
لما بعثه الى اليمن وصل الظهر بعدما يتنفس الظل وتبرد الرياح •
وهذه استعارة والمراد بعدما يزيد امتداد الظل من قولهم تنفس النهار
اذا اخذ في الطول • ومنه قوله تعالى والصبح اذا تنفس • اي اذا زاد
ضياؤه وانتشرت انواره وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتاب

تلخيص البيان عن مجازات القرآن واصل هذا ماخوذ من تنفس الحيوانات
وهو امتداد الريح الحارة من تجاويف صدورها عن ترويح زيادة عن
قلوبها بانقباضها وانبساطها وانضمامها وانفراجها **ومن ذلك**
قوله عليه السلام اقيلوا ذوي الهيآت عثراتهم فان احدكم
ليعثر وان يده لبيد الله يرفعها • وهذا القول مجاز والمراد ذكر يد الله
هاهنا معونة الله تعالى ونصرته • فكانه عليه السلام اراد ان احدهم ليعثر وان
معونة الله لمن ورايه تنهضه من سقطته وتقيله من عثرته الا انه عليه
السلام لما جاء بلفظ العثار اخرج الكلام بعده على عرف العادات لان
العادة جارية ان يكون المنهض للعاثر والمقيم للواقع انما يستنهضه
بيده ويستعين عليه بجلده والمراد بذوي الهيآت هاهنا ذووا الاديان
لا ذووا الملابس الحسان كما يظنه من لا علم له لان هيئة الدين وقطاعهم
احسن الهيآت والظواهر وافخم المعارض والملابس **ومن ذلك قوله**
عليه السلام جبريل ناموس الله • وهذا القول مجاز واصل الناموس
المكان الذي يستجن فيه الصايد عن الوحش لئلا تراه فتنفر عنه ومن
ذلك سمي من يجعله الانسان موضع سره ومستودع نفثه ناموسا تشبيها
منه بمن يسمى نمسا وناموسا مناسبة • فكانه عليه السلام انما شبهه بذلك
لانه يستخفي بما يوديه عن الله سبحانه الى الانبياء عليهم السلم من اوامر الله

التي تقتنص القلوب بحبايل الخوف والرجا وتجتذبها بعلايق الوعد والايعاد
تشبيها بالصايد الذي يختل صيده حتى يصيب غرته ويقتحم غفلته • وقد
قال بعضهم ان الناموس في كلام بعض العرب اسم للنمام فكان جبريل عليه السلم
هو الذي يظهر امر الله لانبيايه لا على الوجه المذموم الذي يقصده
النمام ويعتمده ناقل الكلام • وقال بعضهم الناموس من اسماء العلم فيكون
في الخبر اذا حملناه على هذا الوجه تقدير مضاف حذف لدلالة الكلام
عليه فكانه عليه السلام قال جبريل حامل علم الله او صاحب علم الله والحذف
انما يحسن في الكلام اذا كان فيما بقي دليل على ما يلقى كقوله تعالى واسئل
القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها فلما كانت القرية والعير لا
تسئلان ولا تجيبان علم ان المطلوب غيرهما وانه المضاف اليهما ولا يجوز
على هذا جاء زيد وانت تريد غلام زيد لان المجي قد يكون من الغلام كما
يكون من صاحب الغلام فلا دليل في مثل هذا على المحذوف كما كان في الوجه
الاول **ومن ذلك قوله عليه السلم** بلغني عن فلان كلام تشذرت له
من ابعاد • فوصف الكلام بالتشذر مجاز واصل التشذر ان الناقة
اذا لقحت عقدت ذنبها ونصبته على عجزها • قال الشاعر • لها ذنب كالقنو
قد مذلت به • واسمح للمخطار بعد التشذر فكانه عليه السلام اراد ان الكلام
الذي سمعه اغرب لما في ضمنه من الوعيد كما ان تشذر الناقة بذنبها

دليل على لقاح بطنها. ويجوز ان يكون المراد صفة ذلك الكلام بالارتفاع
والعلو والاشتطاط والغلو تشبيها بذنب الناقة اذا عقدته لاقحا ورفعته
شامذة **ومن ذلك قوله عليه السلام** الايمان هيوب. وفي هذا الكلام
مجاز لان فيه تقدير كلام محذوف. فكانه عليه السلام قال صاحب
الايمان هيوب والعرب تقول الباب لئيم اي مغلق الباب دون الاضياف
لئيم والمراد ان صاحب الايمان بما معه من حواجز ايمانه وبصائر ايقانه
يهاب تطرق الحوب ومواقعة الذنوب فلا يقدم عليها اقدام المركس
الهاوي والضال الغاوي **ومن ذلك قوله عليه السلام** الاستغفار
ممحاة للذنوب. فوصف الاستغفار بانه يهدم الذنوب مجاز لان
المعاصي الكثيرة لما كانت كالبناء في تراكب اجزائها واستعلاء طرائقها
كان استغفار النادم واقلاع التائب كانهما هدم لذلك البناء من اساسه و
كب له على ام راسه **ومن ذلك قوله عليه السلام** ما اذن الله لشيء
كاذنه لنبي يتغنى بالقران. وهذا القول مجاز والمراد ما استمع الله
لشيء كاستماعه لنبي يداوم تلاوة القران فيجعله دابه وديدنه وهجيراه
وشغله كما يجعل غيره الغناء مستروح حزنه ومستفسح قلبه لان
هناك غناء به على الحقيقة وهذا كما يقول القائل قد جعل فلان
الصوم لذته والصلوة طربه اذا اقامهما مقام شغل غيره باللذات

وطربه الى المستحسنات. وقد قيل ان المراد بذلك تحزين القراءة لتكون اشجى
للسامع واخذ بقلب العارف ومتى هذه الطريقة غناء على الاتساع لانها
تقود ازمة القلوب وتستميل نوازع النفوس الى ذلك ذهب عليه السلام بقوله
زينوا اصواتكم بالقران في حديث اخر وليس المراد بذلك تلحين القراءة وتطريبها
فان الاخبار قد وردت بذم هذه الطريقة حتى ذكر عليه السلام في اشراط
الساعة امورا عددها ثم قال وان يتخذ القران مزامير وقال بعضهم معنى يتغنى
بالقران اي يذكر القران من قولهم تغنى فلان بفلان اذا ذكره في شعره اما
هجاء واما مدحا. فاما الحديث الاخر وهو قوله عليه السلام ليس منا من
لم يتغن بالقران. فليس المراد به هذا المعنى وانما اراد عليه السلام ليس منا
من لم يستغن بالقران عما سواه وتغنى هاهنا بمعنى استغنى وهو تفعل
من الاستغناء من الغناء. قال العجاج. ارى الغواني قد غنين عني. و
قلن لي عليك بالتغني اي استغنين عني وقلن لي استغن عنا كما استغنينا
عنك وهذا عند موت الشباب وانقضاء الاراب ويؤكد ذلك الحديث
الاخر وهو قوله عليه السلام من قرا القران فراى ان احدا اعطي افضل
مما اعطي فقد عظم صغيرا وصغر عظيما. ولو كان المراد بالتغني في
هذا الخبر ترجيع الصوت بالقران لكان من لم يقصد هذه الطريقة في
تلاوته ويعتمدها في صلواته داخلا تحت الذم ومقارنا للذنب لانه

عليه السلام قال ليس منا من لم يتغن بالقرآن فبان ان المراد به الاستغناء
لا الغنا **ومن ذلك قوله عليه السلم** لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر
وهذا مجاز وذلك ان العرب كانت اذا وقعتها القوارع ونزلت بها
النوازل وحطمتها السنون الحواطم وسلبت كرايم اعلاقها من مال
ثمر او ولد موتمل او حميم مرجى القت الملاوم على الدهر فقالت في
كلامها واشعارها وارجازها واسجاعها اشتقادتنا الدهر وجار
علينا الدهر ورمانا بسهام الدهر كقول القايل منهم وهو عدي بن
زيد ثم اضحوا لعب الدهر بهم وكذاك الدهر يودي بالرجال • وكقول
الاخر • اكل الدهر عليهم وشرب • وكقول الاخر • والدهر غيرنا وما
يتغير • والاشعار في ذلك اكثر من ان نحيط بها او ناتي على جميعها
فكانه عليه السلام قال لا تذموا الذي يفعل بكم هذه الافعال فانه
الله سبحانه لانه هو المعطي والمنتزع والمعير والمرتجع والرايش والهايض
والباسط والقابض • وقد جاء في التنزيل ما هو كشف عن هذا المعنى
وهو قوله تعالى • وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما
يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون • فصرح
تعالى بذمهم على اعتقادهم ان الدهر يملكهم ويهلكهم ويعطيهم و
يسلبهم ودل بمفهوم الكلام على انه سبحانه هو المالك للامور والمصرف

للدهور **ومن ذلك قوله عليه السلم** الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة
وهذه استعارة وذلك انهم يقولون هذه غنيمة باردة اذا حازوها من غير
ان يلقوا دونها حر السلاح والم الجراح لانه ليس كل الغنايم كذلك بل
في الاكثر لا تكاد تنال الا باصطلاء نار الحرب ومقاساة الم الطعن والضرب فكانه
عليه السلام جعل صوم الشتاء غنيمة باردة لان الصايم يحوز فيه الثواب
الجزيل والخير الكثير بلا معاناة مشقة ولا ملاقاة كلفة لقصر نهاره وعدم
اوامه • وقد قيل ايضا انما وصف الصوم في الشتا بانه غنيمة باردة
لبرد النهار الذي يقع الصيام فيه وانه بخلاف نهار الصيف الذي
تشتد فيه المعاطش وتطول المخامص ويقصر ليله عن القيام بوظايف
العبادة التي تحمد عقبى وتقرب الى الله زلفى والشتا على خلاف هذه
الصفة لقصر نهار الصايم وطول ليل القايم **ومن ذلك
قوله عليه السلم** اتقوا الله في النساء فانهن في ايديكم عوان • وهذا مجاز
لانه عليه السلام جعل النسا عندا ازواجهن بمنزلة الاسراء وذلك
لان المراة تجري على احكام الرجل في الصدر والورود والوقوف و
الحفوف فهي كالمستقر في اقياد حصره والناشب في حبايل بهنه واسره
ومن ها هنا قيل فلانة في حبال فلان اذا كان بعلها للعلة المقدم
ذكرها • والعاني الاسير والجمع عناة والاسيرة عانية والجمع عوان

وقد يقال للاسير ايضًا الهدي • وقال المتلمس في قتل عمرو بن هند
طرفة بن العبد بعد ان سجنه زمانًا • كطريفة بن العبد كان هديهم
ضربوا صميم قذاله بمهند • وقيل انما سميت المرأة المنقولة الى زوجها
هديًا لانها بمنزلة الاسير عنده • وقيل انما سميت بذلك لانها
تهدى الى زوجها فهي فعيل في موضع مفعول فهدي في مكان مهدية
يقال هديت المرأة الى زوجها اهديها هداءً وهو من الهداية وليس
من الهدية لانه لا يقال من الهدية الا اهديت • وقد قيل ان في بعض
اللغات اهديت المرأة واللغة الاولى هي المعتمد بها والمعول عليها
ومن ذلك قوله عليه السلام استعيذوا بالله من طمع يهدي الى طبع
وهذا مجاز والمراد ان الطمع يصير بصاحبه الى معايب الاخلاق
ومدانيها ويوقعه في مذامها ومناقصها والطبع الدنس والعيب يقال
فلان طبع كدنس وجشع فلما كانت عواقب الطمع صائرة الى مدارج
الطبع جعل عليه السلام الطمع كانه هادٍ اليها ودليل عليها على المجاز
والاتساع • والطبع على ما سمعته من شيخنا ابي الفتح النحوي رحمه الله
ماخوذ من الطابع وهو الخاتم كانه يسم صاحبه بالمعايب ويسمه
بالمثالب فيكون كالخاتم الذي يظهر رسمه ويوثر وسمه ومن ذلك
قوله عليه السلم في حديث مشهور للرجل الذي نفقت ابنه عليه في

ماله فقيره وبذرة اردده على ابنك فانما هو سهم من كنانتك ومن
استعارة لانه عليه السلام جعل ابن الرجل بمنزلة السهم الذي في كنانته
ولذلك وجهان • احدهما ان يكون انما شبهه بالسهم من سهامه لان
الابن بسبب نشره وتر يعمره والى نسبة وتناديه كما ان النابل باري
السهم ورايشه ومثقفه ومقومه • والوجه الاخر ان يكون المراد انه
بمنزلة السهم في كنانته من حيث كان في حضنه كان وحاصلا تحت
ضبنه وانه متى شاء صرفه في ارابه كما ان صاحب السهم متى شاء رمى به
الى اغراضه • ومعنى قوله عليه السلام اردده على ابنك اي استرجع ما فوقه
من ماله في وجوه التبذير ومظان التبديد فرده الى ملكه اشطها اودا
له واشبالا عليه اذ ليس له ان يفتات عليك بمال ولا يعصيك في
حال ومن ذلك قوله عليه السلم الخلق عيال الله عز وجل فاحبهم
اليه انفعهم لعياله • اخبرنا بهذا الحديث ابو القسم عيسى بن علي بن عيسى
داود بن الجراح في جملة ما اجزنا به من الاحاديث قال حدثنا ابو القسم عبد
الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي في سنة سبع وثلثمائة قال حدثنا احمد
ابرهيم الموصلي قال سمعت المامون في الشماسية وقد اجرى الحلبة فجعل
ينظر الى كثرة الناس فقال ليحيى بن اكثم اما ترى الى هذا الانام ثم قال حدثنا
يوسف بن عطية عن ثابت عن انس ان النبي صلى الله عليه وعلى اله قال الخلق

عيال الله فاحبهم اليه انفعهم لعياله • وقد حدثنا بهذا الحديث ايضا
سهل بن احمد بن عبد الله بن سهل الديباجي عن محمد بن يحيى الصولي فيما
صنفه مما رواه خلفاء بني العباس من احاديث النبي عليه السلام على
خلاف هذه الحكاية • وهذا القول مجاز لان عيال الانسان من يعوله
ثقلهم ويهمه امرهم والله سبحانه لا يؤوده الاثقال ولا تهمه الاحوال
ولكنه سبحانه لما كان متكفلا بمصالح عباده يدر عليهم حلب الارزاق
ويلم لهم شعث الاحوال ويعود عليهم بمرافق الابدان ومراشد الاديان
شبههم من هذه الوجوه بالعيال الذين في ضمان العايل وكفالة الكافل
على طريق الاتساع وعلى معارف العادات **ومن ذلك قوله عليه السلام**
الخمر ام الخبايث ومن شربها لم يقبل الله منه صلاة اربعين يوما
فان مات وهي في بطنه مات ميتة جاهلية • سمعنا هذا الحديث من
عمر بن ابرهيم بن احمد المقرى ابي حفص الكتاني في جملة ما رواه لنا من
الاحاديث قال حدثنا ابو بكر النيسابوري قال حدثنا علي بن اشكاب قال
حدثنا محمد بن ربيعة قال حدثنا الحكم بن عبد الرحمن بن ابي نعيم عن الوليد
بن عبادة قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وعلى اله الخمر ام الخبايث وذكر باقي الحديث • وهذه
استعارة وانما سماها عليه السلام ام الخبايث على تغليظ النهي عن شربها

وتعظيم قدر العقاب عليها فكانها جماع الخبايث المردية ومعظم الذنوب
الموبقة كما ان الام جامعة لاولادها ومتقدمة عليهم بميلادها
والغاية في تقديمها على غيرها من المعاصي ان الاغلب في شربها
ان يكون طريقا الى ارتكاب الكباير وجر الجراير فان السكران قد يحمله
سكره على القذف والافتراء واراقة الدماء واستحلال الفروج
والاموال وغير ذلك من مقاحم الذنوب ومعاظم العيوب وكل منها
فالسكر من اقوى اسبابه واوثق ابوابه **ومن ذلك قوله عليه السلام**
كل امر ذي بال لا يبدوا فيه بحمد الله اقطع • وحدثنا بهذا الحديث
ايضا عمر بن ابرهيم ابو حفص المقرى قال حدثنا ابو القسم عبد الله بن محمد
البغوي ابن بنت منيع قال حدثنا داود بن رشيد قال حدثنا الوليد بن
مسلم عن الاوزاعي عن قرة عن ابن شهاب عن ابي سلمة عن ابي هريرة
قال قال النبي صلى الله عليه وعلى اله كل امر ذي بال لا يبدا
فيه بحمد الله اقطع • وهذا القول مجاز وانما شبه عليه السلام الامر
الذي تهم الافاضة فيه وتمس الحاجة الى الكلام عليه اذا لم يفتتح فيه
حمد الله سبحانه بالاقطع اليد من حيث كان ناقصا عن السبوغ
وناقصا عن البلوغ • ومما يقوي ذلك ما رواه ابو هريرة قال
قال عليه السلام الخطبة التي ليس فيها شهادة كاليد الجذماء

فاقام عليه السلام نقصان الحظة مقام نقصان الخلقة • ومما
يشبه هذا الخبر الحديث الآخر الذي ذكره ابو عبيد القسم بن سلام
في كتابه غريب الحديث وهو قوله عليه السلام من تعلم القرآن ثم نسيه
لقي الله سبحانه وهو اجذم • قالوا الاجذم المقطوع اليد واستشهد
على ذلك بقول الشاعر • وما كنت الا مثل قاطع كفه بكف له اخرى
فاصبح اجذما • واعترض هذا القول عبد الله بن مسلم بن قتيبة وادعى
فيه وطاعنا عليه فقال انما اتى ابو عبيد في فساد هذا التفسير من
قبل البيت الذي استشهده وليس كل اجذم اقطع اليد • واذا نحن
حملنا الحديث على ما ذهب اليه ابو عبيد لم يكن عقوبة الذنب لا تشاكل
الذنب لان اليد لا سبب لها في نسيان القرآن والعقوبات من الله سبحانه
تكون بحسب الذنوب كقوله تعالى • الذين ياكلون الربا لا يقومون
الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس • يريد ان الربا الذي
اكلوه اثقل بطونهم فهم يقومون ويسقطون كما يصيب من يتخبطه
الشيطان • ولقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله رايت ليلة
اسري بي قوما تقرض شفاههم بالمقاريض كلما قرضت وفت فقلت
جبرئيل هاولاء خطباء امتك الذين يقولون ما لا يفعلون لانهم
قالوا بافواههم فعوقبوا فيها ومثل هذا كثير • قال كان الاجذم ههنا

المجذوم

المجذوم يقال رجل اجذم وقوم جذمى مثل احمق وحمقى وانوك ونوكى الا
ان يكون روى في حديث آخر انه يحشر اقطع اليد او ما يدل على ذلك فيقع التسليم
منا • وانما سمي من به هذا الداء اجذم لانه يقطع اصابع يديه وينقص
خلقته والجذم القطع وكل شيء قطعته فقد جذمته وجذمته • ولهذا
قيل للمقطوع اليد اجذم كما قيل له اقطع وهذا اشبه بالعقوبة لان
القرآن كان يدفع عن جسمه كله العاهة ويحفظ عليه الصحة فلما نسيه
فارقه ذلك فنالته الآفة في جميعه ولا داء اشمل للبدن من الجذام ولا اقبح
للخلقة • انقضى كلام ابن قتيبة قلت انا وقد خلط هذا الرجل في اعتراضه
هذا تخليطا كثيرا لانه انكر غير منكر وطعن في غير مطعن وذلك ان ابا عبيد
انما فسر الاجذم في الحديث بانه المقطوع اليد على اصل صحيح وهو ما
ذكرناه في الجزء الاول من ان الاقطع هناك كالاجذم ههنا والمراد به انه
يلقى الله تعالى بعد نسيان القرآن ناقصا بعد تمام كالذي قطعت يده
فظهرت نقيصة اعضائه وان كان ابو عبيد لم يبين هذا البيان فانه
لم يرد الا هذا المراد • فاما قول ابن قتيبة ان عقوبة الذنب يجب ان
تكون مشاكلة للذنب ومتعلقة بالمحل الذي اورده فقد غلط فيما
ظنه ووهم فيما توهمه لان العقوبات لا يجب ان تكون مقصورة على
الاعضاء المباشرة للذنوب وانما المعاقب بها جملة الانسان ولو كان

الامر على ما ظننه لكان الزاني اذا زنا غير المحصن يضرب ذكره وفي القاذف
اذا قذف يجلد لسانه لانهما واقعا المعصية وباشرا الخطيئة فلما رأيناها
ذين المذنبين يعاقب منهما غير المواضع التي باشرت الذنب وواقعت
الجرم علمنا ان المقصود بالعقوبة جملة الانسان دون اعضاء الجسم فاما
يد السارق فلم تكن علة قطعها انه باشر بها السرقة الا ترى انه لو دخل
حرزا فاخرج منه بغيره دون يده ما يجب في مثله القطع قطعت يده ولم يعتبر
اخذ الشيء المسروق بغيره وايضا فلو اخذ في اول مرة بيده اليسرى قطعت
يده اليمنى واذا سرق ثانية بعد قطع يده اليمنى قطعت رجله اليسرى ولم تقطع
يده اليسرى وان باشر السرقة بها • وكذلك على مذهب من يرى استيفاء
الاعضاء الاربعة في تكرير السرقة وهو مذهب الشافعي فبان انه لا يعتبر
بقطع ما باشر اخذ السرقة من اعضاء الانسان وسقط ما اعتمد عليه
ابن قتيبة من تشقيق الكلام **ومن ذلك قوله عليه السلام** حين قال
له حذيفة بن اليمان وقد ذكر الفتن ابعد هذا الشر خير يا رسول الله
فقال هدنة على دخن وجماعة على اقذاء • وفي هذا الكلام استعارتان
احداهما قوله عليه السلام هدنة على دخن وقيل ان الدخن في الاصل
اسم للون الذي فيه كدورة والصحيح انه ماخوذ من الدخان لكدرة اجزائه
واربداد الوانه فكانه عليه السلام شبه الهدنة التي تؤذن بالفتنة والتلم

التي تكشف عن المحاربة بالدخان الذي تؤذن سواطعه بالنار الموقدة
وتجلي عن الجواحم المضطرمة ويقال دخان ودواخن وعثان وعواثن
وهما جمعان على غير القياس • ويجوز ان يكون المراد بالدخن هاهنا
قسطل الحرب لانه يشبه بالدخان في الحقيقة فكانه عليه السلام قال هدنة
تكشف عن رهج القراع وغبار المصاع وانما قال على دخن اي ان تلك
الهدنة كانها غطاء تحته هيج الحرب وزلازل الخطب وليس باطنها كظاهرها
وشاهدها كغائبها • والاستعارة الاخرى قوله عليه السلام وجماعة
على الاقذاء فكانه صلى الله عليه وعلى آله شبه الاجتماع على فساد الغيوب
ونغل القلوب بالعين المغضية على الداء المغمضة على الاقذاء فالظاهر
سليم والباطن سقيم • وفي رواية اخرى زيادة في هذا الحديث فيها مجاز
آخر • وهي قوله عليه السلام وفتنة عمياء صماء ودعاة ضلالة على
ابواب جهنم من اجابهم قذفوه فيها فوصف الفتنة بالعمى والصمم مجاز
والمراد ان اهلها عمي عن المراشد صم عن المواعظ فلما كانت الفتنة
سببا لعماهم وصممهم جاز ان ينسب العمى والصمم اليها دونهم • وقد يجوز
ايضا ان يكون المراد انها تعمي الابصار برهج غبارها وتصم الاسماع
بزجل اصواتها والقول الاول اقرب الى الصواب واشبه بمقاصد
الكلام **ومن ذلك قوله عليه السلام** لرجل حلب لنا فقال دع داعي اللبن

وهذه استعارة والمراد ان يبقى في خلف الناقة شيئا من لبنها من غير
ان يستفرغ جميعه لان ما يبقى منه يستنزل ما فيها ويستجم درتها فكانه
يدعو ابقية اللبن اليه ويكون كالمثابر لها واذا استنفد الحالب ما في الخلف
ابطا دره وقلص دره **ومن ذلك قوله عليه السلم** ما نزل من القران
اية الا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع
وفي هذا الكلام استعارتان احدهما قوله عليه السلام ما نزل من القران
اية الا ولها ظهر وبطن • وقد قيل في ذلك اقوال منها ان يكون المراد
ان القران يقلب وجوها ويحتمل من التاويلات ضروبا كما وصفه
امير المومنين علي عليه السلام في كلام له فقال القران حمال ذو وجوه
اي يحتمل التصريف على التاويلات والحمل على الوجوه المختلفات وقد
ذكرنا هذا الكلام في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة • ومن ذلك قول
القائل قلبت امري ظهرا لبطن اي صرفته وادرته ليبين لي منه وجه الراي
فاتبعه وطريق الرشد فاقصده • وانشدنا ابو الفتح النحوي رحمه الله قول
الشاعر • اما تراني قالبا مجني • اقلب امري ظهره للبطن • قد قتل
الله زيادا عني وكان رحمه الله يقول في قوله قد قتل الله زيادا عني
سر لطيف وهو انه اقام قتله مقام عزله فكانه قال قد عزل الله زيادا
عني لانه اذا قتل فقد زال سلطانه وامنت سطواته • وقال اخرون

الظهر

الظهر تنزيل القران وكلامه والبطن تاويله واحكامه • وقال
بعضهم معنى الظهر هاهنا ما قصه الله سبحانه علينا في القران من انباء
القرون واخبار الملوك وما وقع بهم من سطواته وانزله بهم من نقماته
لما جمحوا في اعنة الطغيان وابعدوا في مذاهب البغي والعدوان وجميع
ذلك احاديث قصها سبحانه علينا فهي في الظاهر اخبار منه لنا • واما
المراد بالباطن فانه سبحانه جعل تلك الانباء المقصوصة والامثال المضروبة
عظة نتنبه بها على طريق الرشد ونحذر معها مصارع البغي فنتناهى
عما كان السبب في اهلاك القرون الماضية والامم الخالية • وذلك
كمخبر اخبرنا عن ايقاع السلطان بجماعة من الجناة فقوم قتلهم لما قتلوا
وقوم قطعهم لما سرقوا وقوم جلدهم لما سكروا فظاهر ذلك انه اخبار
لنا عن هذه الافعال الواقعة بمستحقيها من الجناة والباطن انه وعظ
وتنبيه لعقولنا على ان من اقدم منا على مثل تلك المحظورات انزل به
مثل تلك العقوبات • وقد مضى فيما تقدم من كتابنا هذا كلام مختصر
على نظير لهذا الخبر الا انا في هذا الموضع شرحنا ذلك فضل شرح وبسطناه
فضل بسط • والاستعارة الاخرى قوله عليه السلام ولكل حرف حد
ولكل حد مطلع • قال بعضهم معنى المطلع هاهنا ان يطلع قوم يعملون به
وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال ما من حرف او قال اية الا وقد

عمل بها قوم واولها قوم سيعملون بها. وقال بعضهم المراد بالمطلع هاهنا
المأتى الذي يؤتى منه حتى يعلم تاويل القران من جهته. وقال بعضهم
المطلع هو المنحدر من المكان المشرف الى المكان المنخفض. وقد يكون
ايضا المصعد من المكان المنخفض الى المكان المشرف فهو من الاضداد
على هذا التقدير فكانّ الانسان يكون في التوصل الى علم تاويل القران
بمنزلة الراقي الى الذروة والصاعد الى النجوة. او يكون في التولج على
غوامضه بمنزلة الهابط من المكان المشرف الى المكان المنحط. وقال
بعضهم الحد هاهنا الفرايض والاحكام والمطلع الثواب والعقاب فكانه
تعالى جعل لكل حد من حدوده التي حدها من الحلال والحرام مقدارا
من الثواب والعقاب يلاقيه الانسان في العاقبة ويطلع عليه في
الاخرة. ومن ذلك ما يكثر على الالسنة من ذكر هول المطلع انما يراد
به ما يشرف الانسان عليه بعد الموت من اعلام الساعة واشراط
القيامة وعندي في ذلك وجه اخر. وهو ان يكون المراد ان لكل
حرف حدا يجب على التالي ان يقف عنده ويتعرف مغزاه ومغبته
فانه اذا فعل ذلك افضى به ذلك الحد الى مطلع يشرف منه على حقيقة
المعنى وجلية المغزى فكان الوقوف عند تلك الحدود والتمهل عليها
والتثبت فيها يفضي بالانسان الى مطالع معرفتها ومفاتق اكمامها فيكون

كطالع الثنية في الاشراف على ما تحتها والادراك لما استجن عن
الناظر قبل الارتقاء عليها وهذا القول من استنباطي وما اظن
احدا قرع بابه وطلع نقابه قبلي **ومن ذلك قوله عليه السلام** من احيا
ارضا ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق. وهذا مجاز والمراد به
ان يجيء الرجل الى ارض قد احياها محيي قبله فيغرس فيها غرسا او
يحدث فيها حدثا فيكون ظالما بما احدثه وغاصبا لحق لا يملكه
وانما اضاف عليه السلام الظلم الى العرق لانه انما ظلم بغرس عرقه
فنسب الظلم الى العرق دون صاحبه وذلك كما قالوا ليل نايم ونهار
صايم اي ينام في هذا ويصام في هذا. وروى سفين بن عيينة عن هشام
بن عروة عن ابيه عروة بن الزبير قال العروق اربعة عرقان ظاهران و
عرقان باطنان اما الظاهران فالغرس والبناء واما الباطنان فالبير
والمعدن. وربما روي هذا الخبر على الاضافة فيكون ليس لعرق ظالم
حق فان كانت هذه الرواية صحيحة فقد خرج الكلام من حيز الاستعارة
ودخل في باب الحقيقة **ومن ذلك قوله عليه السلام** اللهم المم شعثنا
وهذه استعارة والمراد اللهم اجمع كلمتنا وانظم ما تشتت من امرنا وتبدد
من شملنا فاقام عليه السلام تفرق الكلمة وانصداع الامور المنتشرة مقام
العود المتشعث الذي كثر تشظيه واستطارت الصدوع فيه. وقد مضى

الكلام على نظير هذه الكلمة **ومن ذلك قوله عليه السلام** قلدوا الخيل
ولا تقلدوها الاوتار. وهذه استعارة على احد التاويلين. ويمكن
ان يكون المراد النهي عن طلب اوتار الجاهلية على الخيل بشن الغارات وشن
الثارات. ومعنى لا تقلدوها اي لا تجعلوها كانها قد قلدت درك
الوتر فتقلدته وضمنت اخذ الثار فضمنته وذلك عبارة عن فرط
جدهم في الطلب وحرصهم على الدرك فكانه عليه السلم قال قلدوا الخيل
طلب اعداء الدين والدفاع عن المسلمين ولا تقلدوها طلب اوتار
الجاهلية ودخول مضارع الحمية. واذا حمل الخبر على التاويل الاخر
خرج عن ان يكون مجازا وهو ان يكون المراد النهي عن تقليد الخيل اوتار
القسي. وقيل في وجه النهي عن ذلك قولان. احدهما ان يكون عليه
السلام انما نهى عنه لان الخيل ربما رعت الاكلاء والاشجار فنشبت
الاوتار التي في اعناقها ببعض شعب ما ترعاه من ذلك فخنقتها او حبستها
على عدم الماكل والمشرب حتى تقضي نحبها. والوجه الاخر انهم كانوا في
الجاهلية يعتقدون ان تقليد الخيل بالاوتار تدفع عنها حمة عين العاين
وشرار نظر المستحسن فتكون كالعوذة لها والاحراز عليها. فاراد
عليه السلم ان يعلمهم ان تلك الاوتار لا تدفع ضررا ولا تصرف حذرا. و
انما الله سبحانه الدافع الكافي والمعيذ الواقي ومما يقوى هذا التاويل

ما روي من امره عليه السلام بقطع الاوتار من اعناق الخيل وللتقليد
الخيل وجه اخر. وهو ان العرب كانت اذا قهرت وظفرت قلدت الخيل
العمايم. وذكر ان معوية بن ابي سفين لما تغلب على الامر ودخل الكوفة
بعد صلح الحسن بن علي عليهما السلام فعل ذلك بخيله فقالت ام الهيثم بنت
الاسود. اقر عيني ان رات مقلدة خيل الشامين في اعناقها الخرق
ومن ذلك قوله عليه السلم ضالة المؤمن حرق النار. وهذا مجاز لان
الضالة على الحقيقة ليست تحرق النار. وانما المراد ان اخذ ضالة المؤمن
والاشتمال عليه والحؤول بينه وبينها يستحق به العقاب بالنار فلما
كانت الضالة سبب ذلك حسن ان تسمى باسمه لان عاقبة اخذها تؤدي
الى حريق النار وتفضي الى اليم العقاب. وقد نهى رسول الله عليه السلم
عن اخذ ضوال الابل وهوامها والهوامي الضايعة. قال الشاعر.
هوت نعلها بالسيلحين واوفضت بوادي ثيل من حنين مبدد.
اي ضاعت نعل هذه الناقة بهذا الموضع المذكور وذلك لا يكون
الا عند تقطع هلبها واجحاف السير بها **ومن ذلك قوله عليه السلم**
ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة
الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى ووصف الدين بالمتانة
هاهنا مجاز والمراد انه صعب الظهر شديد الاسر ماخوذ من متن الانسان

وهو ما اشتد من لحم منكبيه • وانما وصفه عليه السلام بذلك لشقة
القيام بشرايطه والاداء لوظايفه فامر عليه السلام ان يدخل الانسان
ابوابه مترفقا ويرقا هضابه متدرجا ليستمر على تجشم متاعبه ويمرن
على استطاعة مصاعبه وشبه عليه السلام العابد الذي يحسر منته ويستنفد
طاقته بالمنبت وهو الذي يغذ السير ويكد الظهر منقطعا من رفقته
ومنفردا عن صحابته فيحسر مطيته ولا يقطع شقته وهذا من احسن التمثيلات
واوقع التشبيهات • ومما يقوى ان المراد بهذا الخبر ما كشفنا عن حقيقته
الخبر الاخر عنه عليه السلام وهو فيما رواه بريدة بن الحصيب الاسلمي قال
قال عليه السلام عليكم هديا قاصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه
ومن ذلك قوله عليه السلم اذا سافرتم في الخصب فاعطوا الركب
اسنتها • وفي رواية اخرى فاعطوا الركاب اسنانها • وهذه استعارة
والمراد بالاسنة هاهنا على ما قاله جماعة من علماء اللغة الاسنان
وهو جمع الجمع لان الاسنان جمع سن والاسنة جمع الاسنان والركب
جمع الركاب فكانه عليه السلام امرهم بان يمكنوا ركابهم زمان الخصب من
المرعى في طرق اسفارهم وعند نزولهم وارتحالهم فكنى عن ذلك باعطائها
اسنانها والمراد تمكينها من استعمال اسنانها في اجتذاب الاكلاء وانتشاط
الاعشاب فكانهم بتمكينها من ذلك قد اعطوها اسنانها وهذا كما يقول

القايل لغيره اعط الفرس عنانها واعط الراحلة زمامها اي مكنهما من التوسع
في الجري ومد العنق في الخطو • وعندي في ذلك وجه اخر وهو ان يكون
المراد تمكين الركاب في الخصب من ان تسمن بكثرة الرعي والاستكثار من الرتاع
لانهم قد عبروا في اشعارهم عن سمن الابل وبدنها بالسلاح تارة وبالاسنة
قال الشاعر • ولا تاخذ الكوم الجلاد سلاحها له عند حضرات الشتاء الضيافة
اي لم يمنعه سمن ابله وشارتها في عينه من ان ينحرها لاضيافه ويبذلها
لطارقه فيجعل السمن لها كالسلاح الذي تدافع به عن نحرها وتماطل
به عن عقرها وقد قال الاخر في مثل ذلك ويعني الابل • حاليت فيهما
ولم تاخذ اسنتها • ومن ابيات لاياس بن سلمة الاسلمي يمدح بها النبي
عليه السلام • وابيك حقا ان ابل محمد عزل تناوح ان تهب شمال
واذا راين لدى الفناء غريبة فاضت لهن على الخدود سجال • يقول
ان ابله مبذولة عند نزول النازل وطروق الطارق فلا تمتنع من
عقرها بروائها وشارتها فكانها عزل لا سلاح معها كما جعل ع
الاول هذه الحال بمنزلة السلاح لها • واراد بقوله واذا راين لدى
الفناء غريبة • اي راين ناقة غريبة بفناء النبي عليه السلام
يكن ويناوحن علما بانهن ينحرن لها ويعقرن لاجلها وكذلك اذا
هبت الشمال في صميم الشتاء حاذرن العقر واستيقن النحر • ومما

يقوى ذلك ما جاء في الحديث المشهور عنه عليه السلام وهو قوله ان الجفاء
والعسوة في الفدادين الا من اعطى في نجدتها ورسلها • والفدادون
هاهنا على اصح الاقوال هم اصحاب الابل الكثيرة • فكانه عليه السلام
قال الا من اعطى من ابله في حال كثرة شحومها وشارة جسومها وسمى
ذلك نجدة لها على ما قدمنا القول فيه لانها اذا كانت في تلك الحال
كانت كالمانعة لصاحبها من نحرها نفاسة بها وشحا عليها فكانت
كالنجدة لها والسلاح الذي تدفع به عن انفسها • وقد قيل في رسلها
هاهنا قولان احدهما في حال كثرة البانها موافقة لقوله عليه السلام
في نجدتها اذا كان ذلك بمعنى حسن شارتها • والقول الاخر ان يعطيها
في حال هون عليه اعطاؤها فيها وهي حال نقصان شحومها وخفة
جسومها من قولهم تكلم فلان بكذا على رسله اي والكلام هين عليه وهو
متمهل فيه غير عجل وساكن غير قلق فكان المعنى الا من اعطاها في
حالي كرامتها وهوانها واستقباحها واستحسانها كقولك في حال
العسر واليسر وعند الطوع والكره والقول الاول هو المعتمد **ومن**
ذلك قوله عليه السلام انا بريء من كل مسلم مع مشرك قيل ولم يا رسول
الله قال لا ترا آى ناراهما • وهذه استعارة وقد قيل في تراءي النارين
قولان • احدهما ان يكون المراد ان المسلم لا ينبغي له ان يساكن المشرك في بلاد

فيكون منه بحيث اذا اوقد كل واحد منهما نارا رآها الاخر فجعل الترائي
للنارين وهو في الحقيقة للموقدين والاصل في ذلك المداناة والمقابلة
يقول القائل دور بني فلان تتناظر اي تتدانى وتتقابل ويقولون
للمسترشد اذا اخذت في طريق كذا فنظر اليك الجبل فخذ عن يسار او عن
يمين والمراد اذا قابلك الجبل فنظرت اليه فجعلوا النظر له لانهم
اقاموا الجبل مقام الرئية الناظر او الرفيق المساير • وقال الشاعر •
سل الدار من جنبي حبر فواهب الى ما راى هضب القليب المضيح • و
هضب القليب والمضيح موضعان متقاربان فجعلهما لتحاذيهما كانهما
يترايان • ومثله قول الاخر حيث ترا الدير والمنار • والوجه الاخر ان
يكون المراد بالنار هاهنا نار الحرب لانهم يكنون عن الحرب بالنار لما فيها
من رهج المصاع ووهج القراع • ومن ذلك قول الشاعر • هما حيان
يصطليان حربا اذاء الموت بينهما جليد • وعلى هذا المعنى جاء التنزيل
بقوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله • فكانه عليه السلام
قال ناراهما مختلفتان اي حرباهما متباينتان هذه تدعو الى الهدى
والرشاد وهذه تدعو الى العمى والضلال وقد يجوز عندي في ذلك وجه
اخر وهو ان يكون المراد لا يجتمع سرباهما ولا يختلط سرحاهما والنار
عندهم اسم لسمات الابل يقولون على هذه الابل نار بني فلان اي وسمهم

وعلى هذا قول بعض خراب الابل في ذكر اذواد استبلها واراد عرضها
ليبيعها ليشلى الباعر ما بحارها • اذ زعزعوها فسمت ابصارها
فكل دار لاناس دارها • وكل نار العالمين نارها اي هي ماخوذة
من قبائل شتى فوسمها غير مشتبه وبحارها غير متفق وهذا الوجه
يعود الى معنى الوجه الاول لان المراد بان المسلم والمشرك لا يجوز
اجتماعهما في دار حتى تجتمع اذوادها في المرعى واورادها في الورد
فقوله عليه السلام على هذا الوجه لا تترا أنا راهما اي لا تختلط وسمهما
واما الحديث الاخر وهو قوله عليه السلام لا تستضيئوا بنار اهل
الشرك فقيل ان المراد به لا تستشيروهم في اموركم فتعملوا بارائهم
وترجعوا الى اقوالهم • وهذا ايضا مجاز اخر لانه عليه السلام شبه
الاسترشاد بالراي بالاستضواء بالنار اذ كان فعله كفعلها في
تبيين المبهم وتنوير المظلم ومن ذلك قوله عليه السلام ان عم الرجل
صنو ابيه • وهذه استعارة والمراد ان اصلهما من منبت واحد فهما
كالنخلتين من الصنوان يجتمع اصلاهما ويفترق راساهما فيكونان
اثنين في الروية والاصل واحد في الحقيقة يقال صنو والجميع صنوان
مثل قنو والجميع قنوان • قال سبحانه صنوان وغير صنوان • وقيل
ايضا الصنوان المجتمع وغير الصنوان المتفرق ومن ذلك قوله عليه

تمسحوا بالارض فانها بكم برة • وهذه استعارة والمراد بقوله
فانها بكم برة يرجع الى انها كالام للبرية لان خلقهم منها ومعاشهم
عليها ورجوعهم اليها • فلما كانت الارض تسمى ام الناس الوجوه
التي ذكرناها كان قوله عليه السلام فانها بكم برة يرجع الى وصفها
بالامومة لانهم يقولون الارض ولود يريدون كثرة انشاء الخلق
منها واستيلادهم عليها • وقال ذو الرمة في وصف الام بالبر وهو
يذكر فراخ النعام جاءت من البيض زعرا لا لباس لها الا الدهاس وام
برة والدهاس الرمل • وللقول عليه السلام تمسحوا بالارض وجهان
احدهما ان يكون المراد التيمم منها في حال الطهارة وحال الجنابة
والوجه الاخر ان يكون المراد مباشرة ترابها بالجباه في حال السجود
عليها وتعفير الوجوه فيها ويكون هذا القول امر تاديب لا امر
وجوب لان من سجد على جلدة الارض ومن سجد على حائل بينهما وبين
الوجه واحد في اجزاء الصلوة الا ان مباشرتها بالسجود افضل وقد
روي ان النبي عليه السلام كان يسجد على الخمرة وهي الحصير الصغير يعمل من
سعف النخل فبان ان المراد بذلك فعل الافضل لا فعل الاوجب ومما
يقرب بشبهه من هذا الخبر ما روي من قوله عليه السلم نعمت العمة لكم النخلة فكانما
لاستغناعهم بها وتعويلهم على ثمرتها فقد قامت مقام القرابة الحانية وذات

الرحم المخفية • ولم يجعلها عليه السلام بمنزلة الام للناس كما جعل الام من
في الجزء الاول لانهم في الحقيقة لم يخلقوا منها ولم ينسبوا اليها فجعلها
من حيث الانتفاع بها بمنزلة اقرب الاناث القرايب من الانسان بعد
الام والابنة واللاتي ولدهن هو وتلك عمة الانسان وخالته الا
ان اخت الاب ازعم منزلة من اخت الام ولذلك جعلها عمة ولم يجعلها
خالة **ومن ذلك قوله عليه السلم** في دعاء كان يدعو به رب تقبل
توبتي واغسل حوبتي • وهذه استعارة والحوبة والحوب الاثم
والمراد احطط عني وزري وتغمد ذنبي وخطيئتي ولكن المعصية لما
كانت كالدرن الذي يصيب الانسان فيفحش اثره ويقبح منظره اقام
عليه السلام اماطة وزرها واسقاط اثمها مقام غسل الادران
واماطة الادناس لان الانسان بعدها يعود نقي الاثواب طاهراً من
العاب • وهذا الدعاء من النبي عليه السلام على وجه التعبد والخضوع
والتطامن والخشوع لا ان له عليه السلام حوبة يستحط وزرها و
يستغسل درنها • او يكون قوله عليه السلام ذلك على طريق التعليم لامته
كيف يتوب العاصي وينيب الغاوي ويستامن الخايف ويستقيل
الجانف • والسبب الذي لاجله • قلنا ان الانبيا عليهم السلم لا يجوز
ان يواقعوا المعاصي ويقدموا على المغاوي ان الحكيم تعالى اذا ارسل

رسولا اجتبيه كما ينفر عنه ويصرف عن القبول منه ومعرفة ما يقطع على
انه منفر ماخوذ من عادات الناس وكباير المعاصي كلها منفرة لانها
تخرج من ولاية الله تعالى الى عداوته وتوجب عاجل مقته واجل
عقوبته وفي الصغاير خلاف ليس كتابنا هذا موضع بيانه واستقصا
حجاجه وقد بسطنا الكلام على ذلك في باب مفرد من جملة كتابنا
الكبير في متشابه القران فمن اراد استيعاب معانيه ومعرفة الخلاف
فيه فليقصد مطالعته من هناك بتوفيق الله **ومن ذلك قوله**
عليه السلم من سره ان يذهب كثير من وحر صدره فليصم
شهر الصبر وثلثة ايام من كل شهر • فقوله عليه السلام وحر صدره •
استعارة والمراد غشه ودغله وفساده ونغله وذلك ماخوذ من
اسم دويبة يقال لها الوحرة وجمعها وحر وهي تشبه الحرباء • وقال
بعضهم هي تشبه الوطاة اذا دبت على اللحم فاكل منه انسان وحر صدره
اي اشتكى داء فيه ويقال انما تشبه باليعسوب الاحمر تكى القلب
والابان • قال الراجز • في كل يوم قربة موكنه • تشربها امرية كالوحر
فشبه عليه السلام ما يسكن في صدر الانسان من الغش والبلابل ويحوب
في قلبه من مذمومات الخواطر بهذه الدويبة المنعوتة فكانه عليه السلام
شبه القلب بالقليب وشبه ما يبحث فيه من نغله بما يبحث في القليب من وحر

ومن ذلك قوله عليه السلم اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
من همزه ونفثه ونفخه فقيل يا رسول الله ما همزه ونفثه ونفخه
فقال اما همزه فالموتة واما نفثه فالشعر واما نفخه فالكبر و
في هذا الكلام استعارات ثلث • الاولى منها الاستعاذة من همز
الشيطان واصل الهمز الغمز والدفع وكل شي دفعته فقد همزته و
يروى بيت القطامي • تراهم يهمزون من استركوا • ويجتنبون من
صدق المصاعا • ويروى يغمزون فالهمز على ما فسره النبي عليه
السلام هاهنا الموتة وهي الجنون • وعلى الحقيقة فان الشيطان لا
يغمز الانسان ولا يصرعه ويوسوس له ويغرّه وقد صرح التنزيل
بذلك فقال تعالى • وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم
وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي الاية فعلمنا انه لا سلطان له على الانسان
الا بالوساوس والتخاييل وضروب التهاويل فلما كان ما يلحق المجنون
من الافزاع وما ياخذه من العروا والانزعاج عن وساوس الشيطان
جاز ان ينسب ذلك الى همزه وغمزه على طريق المجاز والاتساع في
نطايره • والاستعارة الثانية الاستعاذة من نفث الشيطان
وهو الشعر على ما فسره النبي عليه السلام وذلك مخصوص في شعر المشركين

الذي كانوا يهجون به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله خيار المسلمين
او ما يجري مجراه من اشعار المسلمين الاسلاميين لانه عليه السلام قد
قال ان من الشعر لحكما فلا يجوز ان يكون هذا القول متناولا لجميع الشعر
عموما وموضع الاستعارة ان الشيطان لما كان يزيّن للمشركين الطعن
في اعراض المسلمين وكان الشعر مما تلفظ به السنتهم شبهه عليه السلام
بالشي الذي تنفث به افواههم وكنسبه الى الشيطان لان تزيينه عاد من
لهم كان سببا لما نفثت به السنتهم • وقد يجوز ان يكون انما نسبه الى
نفثه لان الشيطان كانه نفثه في افواههم وتكلم به على السنتهم كما
يقولون للمتكلم بالكلمة الغاوية ربما نطق على لسانك الشيطان وقال
الفرزدق في قصيدته التي يهجو فيها ابليس وهي مشهورة • لان ابن
ابليس وابليس البنا لهم بعذاب الناس كل غلام • هما نفثا في في
من فويهما • على النابح العاوي اشد لجام • ويروى رجام ويريد بقوله
البنا كل غلام اي سقياه اللبن وكانهما غذياه بذلك فذهب به ونشاه
عليه وتعوده • والاستعارة الثالثة الاستعاذة من نفخ الشيطان
وهو على ما فسره عليه السلام الكبر والعجب ولا نفخ هناك على الحقيقة
وانما المراد به ما يسوله الشيطان للانسان من تعظيم نفسه واحتقار
غيره وتصغير الناس في عينه فكانه بهذا الفعل ينفخ في روعه ما يستكبر

بانه احق من غيره بالتعظيم واولى بالتفخيم تشبيها بالشيء الاجوف
كالزق وما في معناه لانه اذا نفخ فيه انتفخ فيه ضخم وعظم بعد صغره
ومن قولهم للمتكبر اذا اشرف في الكبر واشتط من العجب قد نفخ
الشيطان في مناخره يريدون به المعنى الذي قدمنا ذكره ومن
ذلك قوله عليه السلم العين وكاء السه فاذا نامت العين
استطلق الوكاء . وهذه من احاسن الاستعارات والسه اسم
للسة . قال الشاعر . شانتك قعين غثها وسمينها وانت السه
السفلى اذا دعيت نصر . فكانه عليه السلام شبه السه بالوعاء
وشبه العين بالوكاء فاذا نامت العين انحل صرار السه كما انه اذا
زال الوكاء دسع بما فيه الا ان حفظ العين للسه على خلاف حفظ
الوكاء للوعاء فان العين اذا شرجت لم تحفظ سبتها والاوكية
اذا حلت لم تضبط اوعيتها ومن الناس من ينسب هذا الكلام الى
امير المومنين علي عليه السلام وقد ذكر ذلك محمد بن يزيد المبرد في الكتاب
المقتضب في باب اللفظ بالحروف وفي الاظهر الاشهر انه للنبي عليه
السلام ومن ذلك قوله عليه السلم وهو يسيل عن سحابة عرضت
كيف ترون قواعدها وبواسقها وكيف ترون رحاها في حديث
طويل . وفي هذا الكلام استعارات ثلث فانه عليه السلم شبه اصولها

ومناشيها

ومناشيها وطوالعها ومباديها بقواعد البيت التي هي اصل نايره واول
انشايه وشبه فروعها المستطيلة الى اوساط السماء واعاليها البعيدة عن
الافاق بفروع الشجر الباسقة التي هي منتهى ذوائبها ومرتقى افنانها ومنه قيل
بسقت النخلة تبسق بسوقا اذا طالت وكل طويل باسق وفي
التنزيل والنخل باسقات لها طلع نضيد . وشبه مستدارها في السماء
عند استوائها بالرحا المستديرة على قطبها . ومن ذلك قيل رحا الحرب وهو
الموضع الذي يستدار فيه للمعاركة والجلاد والتفاف الرجال بالرجال
ومنه قول سليمن بن صرد الخزاعي في حديث له اتيت عليا امير المومنين
حين رفع يده عن رحا الجمل يريد عن مجتمع تلك الحرب المكان المخصوص
الذي دارت به رحاها وبلغت فيه منتهاها وعلى ذلك قول الكميت
بن زيد يصف السحاب كانما الزجر والصهيل به رحى مراس الحروب ذو اللجب
يريد بالزجر والصهيل حفيف ودقه وازير رعده . ويحتمل قولهم رحا
الحرب وجهين . احدهما ان يريد به اللبث والاستقرار والاخر ان
يريد به الجولان والمدار . وقد يجوز ان يكون قوله عليه السلام في السحابة
كيف ترون رحاها يريد به صوت رعدها كما شبهه بلمع برقها وكثيرا
ما تشبه اصوات الرعود القاصفة بقعقعة اصوات الارحاء الدايرة ولا
يمتنع ان يعبر عما تسمعه الاذن بعبارة ما تشاهده العين كما يقول القايل

لعينه اذا سأله عن سماع الغناء المطرب او الحداء المعجب كيف ترى هذا
الغناء وكيف ترى هذا الحداء وذلك شائع عند اهل اللسان ومن
ذلك قوله عليه السلم كلكم بنو آدم طف الصاع لم تملؤه وليس لاحد على
احد فضل الا بالتقوى في حديث طويل فقوله عليه السلام طف الصاع
هاهنا استعارة والمراد ان كل من كان من ولد آدم عليه السلام فهو ناقص
لا يوصف بالتمام ولا يعطى مرتبة الكمال وانما يتفاضل الناس باعمالهم و
يتفاضلون بكثرة فضائلهم وانما يوصف الانسان بانه فاضل اذا اضيف
الى الناقص والا فلا بد من نقايص تتخلل فضائله ومساو تتوسط محاسنه
اما بان يكون فاضلا في حال وناقصا في حال واما بان يكون قاصرا عمن
فوقه وزايدا على من دونه • وقوله عليه السلام طف الصاع لم تملؤه من
العبارات العجيبة عن هذا المعنى يريد ان كلكم قاصر عن غاية الكمال تشبيها
بطفاف المكيال وهو ان يقارب الامتلاء من غير ان يمتلئ يقال طف
المكيال وطفافه اذا اريد به هذا المعنى وهو ضد الطلاع والطفاح لان
هاتين اللفظتين يعبر بهما عن بلوغ غاية الامتلاء واللفظة الاولى يعبر
بها عن الوقوف دون حد الامتلاء ويقال اناء طفان اذا بلغ الماء
اكثره ولم يبلغ غايته ولو قال عليه السلام انتم بنو آدم كطف الصاع خرج
الكلام عن ان يكون مستعارا لان دخول كاف التشبيه في الكلام يخرجه عن باب

المجاز

المجاز ومثل قوله عليه السلام في حديث خرجت حين نزع القمر كانه فلقة جفنة
ومثل قوله عليه السلام في حديث فان الساعة كالحامل المتم التي لا يدري اهلها
متى يفجأهم بولادها ليلا او نهارا • ولو قال والقمر فلقة جفنة والساعة
حامل متم كان الكلام من حيز الاستعارة ومن هذا القبيل قوله عليه السلم
المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا لكان من قبيل المجاز ومثل ذلك
ايضا قوله عليه السلام لقوم كانوا يرفعون ايديهم في الصلوة ما لي اراهم
يرفعون ايديهم كانها اذناب خيل شمس ولو قال ايديهم اذناب خيل
شمس لكان الكلام مستعارا ولذلك نظاير كثيرة يطول بذكرها الكتاب
ولم يرض عليه السلام بقوله طف الصاع في ارادة الغرض الذي تكلمنا
عليه في الخبر حتى قال لم تملؤه فزاد المعنى ايضاحا والكلام اوضاحا
وفي ضمن هذا القول نهي عن الافتخار على الناس الا بالفضائل الدينية
دون الفضائل الدنياوية وهو معنى قوله عليه السلام ليس لاحد على
احد فضل الا بالتقوى لان فضائل الدين وصل يتوصل بها الى
النعيم الباقي والدرج العوالي وفضائل الدنيا لا تعدو غايتها ولا
توصل الى ما بعدها فهي كالغرس الذي لا يثمر والزاد الذي لا يبلغ ومن
ذلك قوله عليه السلم اللهم انا نعوذ بك من الايهمين • و
قيل انهما السيل والحريق • وقيل بل هما السيل والجمل الصؤول

وتيمة كل واحد من هذه الثلثة بالايهم مجاز وذلك ان الايهم ههنا
اسم للشي لا يملك دفعه ولا يستطاع رده ولا له نطق فيكلم ولا سمع
فيحجج ولا معقول فيستعتب ومن ذلك قيل للفلاة تيهاء اذا كانت
عمياء المسالك لا يهتدى باياتها ولا يستدل باعلامها • وقال
الاعشى • وتيهاء بالليل عطشى الفلاة يونسني صوت فيادها و
الفياد اسم طاير وقيل انه ذكر اليوم • ومثل تسميتهم الشيء ايهم اذا كان
على الصفة التي ذكرناها ما انشدناه شيخنا ابو الفتح عثمن بن جني النحوي
رحمه الله واظنه من ابيات الكتاب وداهية يتقيها الرجال برهوبة
الحد لا فالها قال والمراد بقوله لا فالها اي ليس لها جهة لواحد شق
منها كما يشق الحيوان العادي من جهة انيابه او ناحية اظفاره بل كل
جهاتها محذورة وكل نواحيها مخوفة • وقد روي في هذا الخبر مكان العقوذ
من الايهمين العوذ من الاعميين والمعنى فيهما متقارب لان الايهم هو
الذي لا يعلم كيف يدفع ومن اي وجه يضبط والاعمى هو الذي لا يعلم
على ما يرد ولا لاي وجه يقصد ومن ذلك قوله عليه السلم
لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الامين ويؤتمن الخاين
وتهلك الوعول وتظهر التحوت قال الوعول وجوه الناس واشرافهم • و
التحوت الذين كانوا تحت اقدام الناس لا يوبه لهم • فقوله عليه السلم

الوعول والتحوت مجازان على التفسير الذي ذكره صلى الله عليه وعلى اله
لانه شبه عليه الناس وجلتهم بالوعول لانها تعلوا قلل الجبال وتكون في
شعف الهضاب فهي ابدا عالية المنازل بعيدة على المتناول وقوله
التحوت وهو جمع تحت يريد به الخاملين المغمورين والقليلين الذليلين
لانهم الطبقة السفلى من الناس وهم الذين نزلوا عن غايات العلية وقعدوا
بمهابط الذلة فكانهم تحت لجلة الناس واشرافهم والاشراف والوجوه
فوق لهم • وتفسيره عليه السلام التحوت بانهم الذين كانوا تحت اقدام
الناس لا يعلم بهم مجاز آخر وليس المراد انهم كانوا تحت مواطئ الاقدام على
الحقيقة • وانما المراد انهم كانوا من خمول الذكر وغموض القدر بحيث يشبهون
بالشيء الموطوء لذلته والمنبوذ لبذلته ومن ذلك قوله عليه السلم
في الكتاب الذي كتبه لصاحب دومة وهو المعروف باكيدر منصرفه
صلى الله عليه وعلى اله من غزوة تبوك ان لنا الضاحية من البعل
ولكم الضامنة من النخل • وفي رواية اخرى ان لنا الضاحية من الضحل
ولكم الضامنة من النخل • والضحل الماء القليل والرواية الاولى
اصح والضاحية من البعل هي النخل التي في ضواحي البلدة وصحاريها
والبعل اسم لما شرب الماء بعروقه من الارض ولم يتعهد بالسقي • قال
عبد الله بن رواحة • هنالك لا ابالي طلع بعل ولا سقي وان عظم الاتاء

ويروى بحل بغل • وقوله عليه السلام ولكم الضامنة من النخل مجاز والمراد بالضامنة هاهنا ما تضمنته القرى والامصار من النخل فسماها عليه السلام ضامنة وهي في الحقيقة مضمونة وهذا موضع المجاز • و مثل ذلك قول الشاعر • ومحترش ضب العداوة منهم بحلو الخلا حرش الضباب الخوادع فجعل الضباب خوادع وهي في الحقيقة مخدوعة لانها تخدع بضروب من الحيل حتى تخرج من مجاحرها وتستدل على مكامنها والخلا مقصور اسم من اسماء الحشيش وهو ايضا اسم لحسن الكلام وهو المراد في هذا المكان يقال انه لحسن الخلا اذا كان حسن الكلام ومن ذلك قوله عليه السلم في حديث تذاكروا القران فلهو اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها • كذا رواه ابو عبيد • و رواه ابو عبيدة حادثوا القران بالدرس فلهو اشد تفصيا من صدور الرجال من الابل المعقلة تنزع الى اوطانها • فقوله عليه السلم فلهو اشد تفصيا من صدور الرجال مجاز • والمراد بالتفصي هاهنا الذهاب والتفلت • قال الشاعر • يا حفص ما لك لات ذا التفصي • والامر البين للمقتص • فكانه عليه السلام شبه تفلت القران وذهابه من الصدور ما لم يحادث بالتلاوة ويتعهد بالقراءة بتفلت النعم المعقلة من عقلها اذا لم يستظهر باحكام عقلها فاقام عليه السلام

الاستكثار من درس القران في انه يجمع متشتته ويضبط متفلته مقام الاستظهار بعقل النعم في انه يقصر متسرعها ويحبس نوازعها والكلام هاهنا يدل بمفهومه على ان القران هو المتفصي من الصدور والحقيقة ان القلوب هي المتخلية منه والتاركة له فلما كان الامر كذلك جاز على طريق المجاز ان يقال ان القران هو التارك لها والمتفصي منها ومن ذلك قوله عليه السلام وقد سئل عن الابل فقال اعنان الشياطين لا تقبل الا مولية ولا تدبر الا مولية ولا ياتي نفعها الا من جانبها الاشام • فقوله عليه السلام اعنان الشياطين مجاز و الاعنان النواحي • ومنه قولهم اعنان السماء اي نواحيها • و قال بعضهم الصحيح ان اعناء الشيء نواحيه • فالاول قول البصريين • والثاني قول الكوفيين • والمراد بقوله عليه السلم نواحي الشياطين على القولين جميعا المبالغة في وصف الابل بالاخلاق السيئة والطباع المستصعبة • فكان الشياطين تجتالها وتنفرها وتهيمها وتدامرها • ومما يقوي ذلك الحديثان الاخران في نعت الابل فاحدهما قوله عليه السلم ان الابل خلقت من الشياطين • والحديث الاخر قوله صلى الله عليه وعلى اله ان على ذروة كل بعير شيطانا • وهذا ايضا مجاز لانه عليه السلم بالغ بذلك في وصف الابل بالحران والنفار

وانما اضاف عليه السلم الاطلاق والايثاق الى العمل لان العمل سببهما
وصلاحه وفساده موثر فيهما وقوله يوتغه المراد به يُسلمه ويهلكه يقال
وتغ الرجل يوتغ وتغا اذا هلك وقد اوتغه غيره اذا اهلكه • ومنه
قولهم اوتغ فلان دينه اذا اثم وافسد • ويروى او يوبقه والمعنيان
متقاربان ومن ذلك قوله عليه السلم في كتاب كتبه لثقيف
وان ما كان لهم من دين الى اجل فبلغ اجله فانه لياط مبرأ من
الله • وهذه استعارة • والمراد باللياط هاهنا الربا المضاف الى
رؤس الاموال كانه عليه السلام شبهه بالشيء الملصق بالشيء والمضاف
اليه وكل شيء الصق بشيء فقد ليط به ومنه لياط الحوض وهو ما يلصق به
بعض احجاره الى بعض عند بنائه او اصلاحه من طين او ما يقوم مقامه
يقال قد لاط فلان حوضه اذا مدره واصلحه • وفي حديث امير المؤمنين
عليه السلام مع الفرزدق ان اباه غالبا جاء به اليه صلى الله عليه وهو
يلوط حوضا له • وفي قوله عليه السلم مبرأ من الله سر لطيف وهو
انه لما جعل الربا ملصقا الى اموالهم على الوجه المذموم جعله
مبرأ من الله سر لطيف • وهو انه لما جعل الربا ملصقا الى اموالهم
على الوجه المذموم جعله مبرأ من الله سبحانه فكان ذلك الالصاق
بالاموال سببا للتبرية من الله تعالى والمراد مبرأ من رضا الله او من

دين

دين الله او من ثواب الله لا بد من تقدير واحد من هذه المضافات لان
الله سبحانه لا يجوز ان يتصل به شيء على الحقيقة لان ذلك من صفات
الاجسام المكثفة والابعاض المولفة التي يجوز عليها ان تتدانى فتلتصق
وان تتنائى فتفترق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا • وليس هذا من
مواضع استقصاء الكلام على هذا المعنى • وقد يجوز ان يكون المراد
باللياط هاهنا القشر • يقال ليط ولياط • قال الشاعر •
يصف قوسا عربية • فلك بالليط الذي تحت قشرها كغرقئ بيض
كنه القيض من عل • فقوله ملك اي شدد بترك قشر النبعة عليها ما
تحته من عودها فتقويت بانضمام القشر اليها • وذلك ماخوذ من
قول القائل ملكت العجين اي احكمت عجنه وموضع الذي هاهنا
نصب بملك كانه قال فقوى بالليط عود القوس • والغرقئ القشر
الرقيق الذي بين جسم البيضة وبين قشرها الاعلى والقشر الاعلى هو القيض
والليط ايضا لون الشيء ذكر ذلك ابو عبيد في الغريب المصنف فيكون
الربا المضاف الى رؤس الاموال على هذا القول شبيها بالقشر المضاف
الى العود في ان العود هو القائم بنفسه والقشر كالتبع له والمنوط به
ومن ذلك قوله عليه السلام ان للشيطان نشوقا ولعوقا ودساما
وهذه الكلمات الثلث محمولة على المجاز لان النشوق ما استنشقه نان

بانفه واللعوق ما لعقه بلسانه والاسام ها هنا الشيء الذي يجعله سادا
لاذنه يقال منه دسمت الشيء ادسمه دسما اذا سددته والمراد بهذه
الكلمات قريب من المراد بالحديث الذي تقدم كلامنا عليه في هذا
الكتاب وهو استعاذته عليه السلام من همز الشيطان ونفثه ونفخه فكانه
عليه السلام شبه ما يسوله الشيطان للانسان من العجب بنفسه والازدراء
على غيره حتى يشمخ بانفه ويناى بعطفه بالنشوق الذي يستغره اياه فيحدث
له هذا الخلق الذميم والطبع اللئيم • وقوى ذلك بذكر اللعوق فكان
الشيطان يلعقه بهذا التسويل لعوقا اذا وصل الى جوفه احدث له
خيلاء الكبر ومثله في غلواء العجب • وشبه عليه السلام صرف الشيطان
للانسان عن مراشده واصمامه عن سماع قول مرشده بالاسام ومثل الصمام
الذي يسد به الاذن فيحجبه عن سماع الاصوات وزواجر العظات
ومن ذلك قوله عليه السلام خير الناس في آخر الزمان الرجل النومة
وهذا مجاز والمراد بالنومة ها هنا الرجل الخامل الشان الخفي المكان
لا الكثير النوم على الحقيقة ومثله الحديث الاخر • رب ذي طمرين
لا يوبه له لو اقسم على الله لابر قسمه • لان الخاشع العابد والمنقطع الزاهد
كثيرا ما يكون خامل الشخص ميت الذكر لخفائه عن النواظر وانقطاعه
عن المجامع ومن ذلك قولهم نام جدال فلان اي خمل بعد اشتهاره وسقط بعد

ارتفاعه

ارتفاعه قال الشاعر • نامت جدودهم واسقط نجمهم والنجم يسقط والجدود
تنام ومن ذلك قوله عليه السلام من خالف الجماعة فقد خلع ربقة
الاسلام من عنقه • وهذه استعارة والربقة حبل يربط بين عودين ثم
تجعل فيه عرى فتربق فيه السخال اي تربط به • ويقال في ابل الصدقة
عقال عام واحد لان الغنم تربق • والمراد بذلك صدقة عام واحد من
الابل والغنم فشبه عليه السلام ما في عنق الانسان من لوازم الاسلام
ومعاقد الايمان بالربقة التي في عنق السخل لانها تصونه اذا هم بالشرود
وتمسكه اذا جاذب الى النزوع وكذلك الاسلام يمنع صاحبه من الارتكاس
في المحظورات والتهوك في الضلالات ومن ذلك قوله عليه السلام
في حديث طويل يوخرون الصلاة الى شرق الموتى • وقد قيل في ذلك
اقوال كلها بعيد عن المحجة ومع ذلك فيخرج الكلام من حيز الاستعارة
غير قول واحد وهو ان يكون المراد انهم يوخرون الصلاة الى ان لا يبقى
من النهار الا بقدر ما بقي من نفس الميت الذي قد شرق بريقه وعز عن
بقية نفسه فشبه عليه السلام تلك البقية بشفافة الذماء التي قد كرب
انقضاؤها وحان فناؤها ومن ذلك قوله عليه السلام لا ترفع
عصاك عن اهلك • وهذا القول مجاز على اكثر الاقوال • وذلك
انه عليه السلام لم يرد الضرب بالعصا على الحقيقة لان ذلك مكروه عنده

ومذموم فاعله الا تراه عليه السلام يوصي امته بان يرفقوا بمن ملكت
ايمانهم ويحنوا عليهم ويرافقوهم وينظروا اليهم فكيف بالاحرار من الاهل و
الولد الذين حقهم اوجب والحنو عليهم اولى واوى وانما المراد لا ترفع التاديب
عنهم ولا تغب التقويم لهم فكنى عن ذلك بالعصا حملا للكلام على عرف
العرب لان المتعارف بينهما ان التاديب في الاكثر لا يكون الا بقرع
العصا • وقد يجوز ان يكون المراد بذلك الاجتماع والائتلاف من قولهم
فلان قد شق عصا المسلمين اذا فرق جماعتهم وبدد الفتهم ومن قول
صلة بن اشيم لابي السليل اياك وقتيل العصا يقول اياك ان تكون قاتلا
او مقتولا في شق عصا المسلمين ومن قول جرير • فلما التقى الحيان القيت
العصا ومات الهوى لما اصيبت مقاتله • يقول لما التقى الحيان
وقع الائتلاف والدنو وزال التمنع والنبو • فكانه عليه السلام اراد بقوله
لا ترفع عصاك عن اهلك اي احملهم ابدا على الصلاح والائتلاف وامنعهم
من الفساد والخلاف ويقال للرجل اذا كان رفيق السياسة جميل الايالة
انه للين العصا قال معن بن اوس المزني عليه شريب وادع لين العصا
يساجلها جماته وتساجله • وقد تكلمنا على نظير هذا الحديث فيما تقدم
ومن ذلك قوله عليه السلام لبعض اصحابه كيف تصنع في فتن تنجم
من اطراف كانها صياصي بقر • وفي هذا الكلام مجاز على بعض الوجوه

وهو ان يكون المراد تشبيه الفتن الناجمة من اطراف الارض بنجوم صياصي
البقر وهي قرونها وانما سميت صياصي تشبيها لها بالصياصي التي هي
الحصون فكانها تحتمي بقرونها كما تحتمي الرجال بحصونها فاراد عليه السلام
ان الفتن تنجم صغارا ثم تعظم وتبدو اسيلا ثم تشرع كنجوم قرون البقر
لانها تبدو واهنات ضئيلات ثم تكون شككا ناكيات • وقد يجوز ان يكون
المراد بتشبيه الفتن هاهنا بقرون البقر المبالغة في وصفها بالحدة والشدة
وكثرة العديد والعدة • وقد يجوز ايضا ان يكون تشبيهها بقرون البقر لكثرة
ما يشرع منها من الاسنة الا ترى الى قول بعض العرب الاسنة قرون الخيل
لانها توضع منها مكان القرون من ذوات القرون وصدم الخيل بعواليها
كنطح البقر بصياصيها وليس موضع المجاز من هذا الكلام قوله عليه السلام
كانها صياصي بقر لانا قد ذكرنا فيما تقدم ان دخول كاف التشبيه
في الكلام يخرجه من باب المجاز ولكن الموضع الذي يكون فيه هذا النعت
من حيز المجازات قوله عليه السلام في فتن تنجم من اطراف الارض فجعلها بمنزلة
النبات الذي يكون خافيا فيظهر والقرون الناشئة التي تكون صغارا
فتكبر • **ومن ذلك قوله عليه السلام** في حديث يذكر فيه اشراط
الساعة فعند ذلك تقيء الارض افلاذ كبدها • وسمى من الاستعارات
العجيبة لانه عليه السلام شبه الكنوز التي استودعتها بطون الارض بافلاذ

الكبد وهي شعبها وقطعها لان شعب الكبد من شرايف الاعضاء الرئيسة
فكذلك الكنوز من جواهر الارض النفيسة • ولما شبههما عليه السلام بافلاذ
الكبد من الوجه الذي ذكرناه جعل الارض عند اخراجها كأنها تقيأت
ودسعت بما استودعته منها • وفي قوله عليه السلام تقيء الارض افلاذ
كبدها زيادة فايدة في المعنى المراد وهو وصف الارض بالمبالغة في اخراج
كنوزها حتى لا تخفى منها خافية ولا تبقى باقية وذلك كما يقول القايل
قد تقيأ فلان كبده اذا اراد المبالغة في وصفه باستيعاب جميع ما في
جوفه وذلك معروف في كلامهم وموضوع على قاعدة العرف بينهم و
من ذلك قوله عليه السلم في حديث من قال كذا وكذا غفر له
ولو كان عليه طفاح الارض ذنوبا • وهذه استعارة والمراد ولو كان عليه
ملاء الارض ذنوبا • وجعل الارض كالاناء الذي طفح ماؤه وبلغ
الغاية امتلاؤه • وفي قوله عليه السلام طفاح الارض زيادة معنى على
قوله ملاء الارض او طلاع الارض لان الطلاع والملاء يفيدان بلوغ
الحد في الامتلاء والطفاح يفيد مجاوزة الحد في الامتلاء • وقد
مضى الكلام على هذا المعنى فيما تقدم من هذا الكتاب ومن ذلك
قوله عليه السلم ان القران شافع مشفع وماحل مصدق
وهذا القول مجاز والمراد ان القران سبب لثواب العامل به وعقاب

العادل

العادل عنه فكانه يشفع للاول فيشفع ويشكو من الاخر فيصدق والماحل
ها هنا الشاكي وقد يكون ايضا بمعنى الماكر يقال محل فلان بفلان اذا مكر
به قال الشاعر • الا ترى ان هذا الناس قد نصحوا لنا على طول ما غشوا
وما محلوا ومن ذلك قوله عليه السلام لا تكونوا مغويات لمال
الله • وهذه استعارة والمغواة في الاصل زبية تحفر للسباع والذئاب
ويرمى راسها ليخفى قعرها ويجعل فيها سخل ليستدعى به السبع او الذيب
اليها فتكون مهلكة له اذا وقع فيها فاراد عليه السلم بهذا القول لا تكونوا
كالمغواة لمال الله بان تاخذوها بالمكر والخداع وتنفقوها في الفسوق
والضلال فتكونوا لها كالمغويات التي تخدع ظواهرها وتهلك بواطنها
وقال رؤبة بن العجاج يعني الدهر • الى مغواة الفتى بالمرصاد كانه قال
يسوق الفتى الى مهلكته شبهها بالزبية التي ذكرنا حالها ووصفنا
الحيلة فيها ومن ذلك قوله عليه السلم اياكم والمغمضات من
الذنوب • وهذه استعارة والمراد بالمغمضات ها هنا على ما فسره
الثقات من العلماء الذنوب العظام يركبها الرجل وهو يعرفها فكانه
يغمض عينيه تعاشيا عنها وهو يبصرها ويتناكرها اعتمادا وهو
يعرفها ومثل ذلك قول ابي النجم يصف ناقة • يرسلها التغميض ان لم
ترسل وذلك ان الناقة اذا غشيت الحوض الذي تذاد عنه حملتها

شدة العطش على الاقتحام اليه فغمضت عينها وحملت على عصى الذادة
حتى تردّه • وربما روى هذا الخبر بفتح الميم من المغمضات فيكون المراد
على هذا الوجه ضد المراد به على الوجه الاول لان المغمضات بالكسر
كما قلنا الذنوب العظام والمغمضات بالفتح الذنوب الصغار و
انما سميت مغمضات لانها تدق وتخفى فيركبها الانسان بضرب من
الشبهة ولا يعلم انه عاص بفعلها ولا معاقب من اجلها ومن
ذلك قوله عليه السلم وقد اتاه رجل فقال السلام عليك يا نبي الله
فقال وعليك ورحمة الله ثم اتاه آخر فقال السلام عليك يا نبي
الله ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقيل له يا رسول الله لم لم تقل
لهذا كما قلت للذين قبله فقال انه تشافها اشتفافا والمراد
انه استفرغ جميع التحية فلم يدع منها شيئا يزاد به على لفظه ويرد
عليه جوابا عن قوله والاولان بقيا من تحيتهما بقية رددت عليهما
ما عدت به اليهما واصل ذلك ماخوذ من التشاف وهو تتبع بقية الماء في الاناء
او الحوض حتى يستنفد جميع ما فيه وتلك البقية تسمى الشفافة
قال الشاعر • اخو قفرات دببت في عظامه شفافات اعجاز الكرى
فهو خاضع • يريد بقايا الكرى وصبابته ودليل ذلك قوله اعجاز
الكرى اي اواخره وعقابيله • ومن امثال العرب ليس الري عن التشاف

يقولون ليس يروى العطشان بتتبع بقية الماء حتى يستفرغ جميع
ما في الاناء ومن ذلك قوله عليه السلم سيد الايام يوم الجمعة
وهذا القول مجاز والمراد ان ليوم الجمعة شرفا ونباهة يبين بهما من
ساير الايام فيكون متقدما لها وعاليا عليها لما يختص به من
صلاة الجماعة التي ينتشر ذكرها ويعظم اجرها كما يتقدم السيد
على من دونه بعلو القدر ونباهة الذكر ومن ذلك قوله عليه السلم
تزوجوا الشواب فانهن اغر اخلاقا • وفي هذا الكلام مجاز لان وصف
الخلق بانه اغر انما يراد به بياضه والبياض هاهنا عبارة عن الحسن كما
ان السواد في قولهم فلان اسود الخلق عبارة عن القبح فكانه عليه السلم
قال فانهن احسن خلقا كما ان الاغر من الخيل احسن خلقا ومن
ذلك قوله عليه السلم وقد سمع ناسا من اصحابه يتذاكرون القضاء
والقدر انكم قد اخذتم في شعبين بعيدي الغور • وهذا القول
مجاز لانه عليه السلم شبه القضاء والقدر وحقيقة علمهما ومعرفة
كنههما بالشعبين اللذين غورهما بعيد واقتحامهما شديد وطلب
غايتهما مجهود • يقول عليه السلم ان علمهما لا يدرك كالماء الغاير الذي
لا يقدر عليه ولا يهتدى اليه ومن ذلك قوله عليه السلم في حديث طويل
ثم يكون ملك عض يستحل الفرج والحرير • وفي هذا الكلام مجاز

احديها قوله عليه السلام ملك عض يستحل الفرج والعض في الاصل هو
الرجل الداهية المنكر ٭ وربما سمي ايضا بذلك الرجل السيئ الخلق المتكبر
قال حسان بن ثابت وصلت به ركني وخالط شيمتي ولم اك عضا
في الندامى ملوما ٭ فكانه عليه السلام شبه الملك الذي اوماء اليه في السطوة
والعتو والطماح والنزوة بذي الدهاء والنكر او بذي الشموخ والكبر
والمجاز الاخر قوله عليه السلام يستحل الفرج والحرير ٭ وانما اراد ان اهله
يستحلون ذلك فجعلت اضافته الى الملك لما كان الاستحلال واقعا
في الملك ونظاير ذلك كثيرة ٭ وقد جاء في رواية اخرى لهذا الخبر
ثم يكون ملك عاض ٭ وهذه استعارة وذلك كقول القايل ٭ قد
عضني الدهر اذا اثرت فيه نوايبه واشتدت عليه مصايبه فوصف
هذا الملك بالعضاض لتاثيره في الناس بوقايع العسف وقوارع الظلم
وقد جاء في اشعارهم من ذكر عض الزمان وعض الايام ما هو اشهر
من ان تتكلف التنبيه عليه والايماء اليه ومن ذلك قوله عليه
الصوم جنة ما لم يخرقها ٭ وهذه استعارة وذلك انه عليه السلم
شبه الصوم بالجنة التي يلبسها الانسان في الحرب فتقيه مضارب
الصفاح ولهاذم الرماح فكذلك الصوم الذي يجن صاحبه من لوادع
العذاب وقوارع العقاب اذا اخلص له النية واصلح فيه السريرة فجعل

عليه السلام من اعتصم في صومه من الذلك وتوقى جرايره القول والعمل كمن
صان تلك الجنة وحفظها وجعل من اتبع نفسه هواها واوردها
رداها كمن خرق تلك الجنة وهتكها فصارت بحيث لا تجن من جارحة
ولا تعصم من جايحة وذلك من احسن التمثيلات واوقع التشبيهات و
من ذلك قوله عليه السلام ان المسلم اذا توضى ثم صلى الخمس تحاتت
خطاياه كما يتحات الورق ٭ وهذه استعارة والمراد ان الله تعالى
يكفر عنه خطاياه بسرعة فتسقط عنه اصارها وتحط اوزارها كما
تتساقط الاوراق عن اغصانها اذا هزتها الرياح او زعزعتها
الرياح ٭ ولا بد ان يكون في الكلام مضمر مراد جعلت الصلاة مجزاة عنه
وعلما عليه وهو اجتناب الكباير والقيام بساير الفرايض فاكتفى عليه
السلام بذكر الصلوة من ذكر جميع ذلك لان الصلوة افضل شعاير
الاسلام واظهر معالم الايمان وليس لساير الاوامر والعبادات و
الفرايض الواجبات من التاكيد ما لها وذلك لان من الفرايض ما
اوجبه تعالى على الاغنياء دون الفقراء ومنها ما ستوب عنه غيره
ومنها ما ينوب عن كله بعضه ٭ وجميع العبادات تختص اما بالفعل
او بالذكر والصلوة قد جمعت افعالا واذكارا من القيام والقعود
والركوع والسجود والقراءة والتسبيح والثناء على الله سبحانه والصلوة

على الرسول وعلى آله والاستغفار للمؤمنين • ولانهما واجبة في اليوم والليلة
خمس مرات على كل عاقل بالغ قادر عليهما لا يؤديهما عنه غيره ولا يسقطهما عنه
بعذر ولا يتولاهما الولية وباقي العبادات يتعلق بزمان مخصوص ووقت معلوم
كالصوم الذي يفعل في السنة دفعة والزكاة التي تجب في الحول مرة والحج
الذي يتعين في العمر دفعة واحدة ولهذا كانت عامة وصية النبي عليه السلام
لما حضره الموت بالصلوة وفي حديث انه عليه السلام ما زال يقول الصلوة الصلوة
وما ملكت ايمانكم حتى جعل يغرغر بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه
وفي الاكثر ان الانسان اذا ادى الصلوة على شرايطها وفعلها في اوقاتها
وقام بجميع واجباتها وهي التي تتكرر في الليل والنهار تفعل على الدوام و
الاستمرار كان اجدر بتادية الفروض في ساير العبادات والقيام بساير
الطاعات التي هي اخف محملا واسهل متحملا فاراد عليه السلام ان من قام بهذين
الواجبات التي عددناهما واجتنب الكباير التي توعد بالعقاب عليها سقط
عنه عقاب معاصيه الصغاير كما يتساقط الورق الناثر ويقال انحت الورق
وتحاتت اذا انسلت من اغصانه وانخرم عن افنانه • ومن ذلك قوله
عليه السلام لرجل اقبل اليه ممن يتهم في دينه ارى عليه سفعة من الشيطان
وهذا القول مجاز والسفعة السواد وقيل هو السواد المشرب حمرة
فكانه عليه السلام راى بوجهه اثرا يدل على تغلل الضمير وفساد اليقين فنسب

ذلك الى الشيطان لانه مسول المعاصي ومطرق المغاوي وفي الاكثر
ان يقال لمن خبثت عقيدته وساءت سريرته وخبر فلان مسود يراد
لعظيم كفره وفساد سره وقد يجوز ان تكون السفعة ههنا بفتح السين
ماخوذة من قول القايل سفعت راس فلان اذا ضربته بالعصا فاثرت
فيه فكانه عليه السلام قال ارى عليه اثر مس الشيطان وقد يكون السفع
ايضا بمعنى الاخذ والقبض ومنه قوله تعالى لنسفعن بالناصية اي لناخذن
بها ولنقبضن عليها فان حمل على ذلك قوله عليه السلام ارى عليه سفعة من
الشيطان وجميع الوجوه المذكورة في هذا الكلام قريب بعضها من بعض
ومن ذلك قوله عليه السلام خير الناس منزلة رجل اخذ بعنان
فرسه يطلب الموت مظانه • وهذا القول مجاز وذلك انه عليه السلام
جعل الرجل المجاهد في سبيل الله الذي يتسنم قراع الاعداء ومواطن اللقاء
كطالب الموت في معادنه والمنقب عنه في مكامنه وان كان غير طالب له
على الحقيقة وانما يطلب نصرة الدين ووقم الحادين ولكن ذلك لما كان
في الاكثر مفضيا الى الموت القاضي والاجل الداني كان كانه ابتغى مظنة
حتفه ونقب عن هلاك نفسه والمظان الاماكن التي اذا طلب الرجل وجد
فيها يقال موضع كذا مظنة من فلان اي معلم منه ومكان يوجد فيه •
قال الشاعر • ان يك عامر قد قال جهلا • فان مظنة الجهل الشباب •

كانه قال ان الشباب موضع للجهل فيه تسرح سارحته • وفيه تنشد
ضالته • واراد عليه السلام بطلب الموت في مظانه • فلما خلع المجاز
وصل الفعل الى المظان فنصبها • وذلك اقوى في الفصاحة واضرب في
مذاهب البلاغة ومن ذلك قوله عليه السلم اعوذ بك من شر
الجوع فانه بئس الضجيع • وهذا القول مجاز وانما جعل عليه السلام الجوع
بمنزلة الضجيع لان الانسان اذا بات طاويا كان كانه مضاجع للجوع
في مهاده ومبايته على فراشه لانه يخلو في الليل به وينفرد بمعاناته ومكابدته
ومن ذلك قوله عليه السلم تعس عبد الدينار والدرهم تعس عبد
الحلة والخميصة ان اعطي رضي وان منع سخط تعس فلا انتعش وان شيك
فلا انتقش • وفي هذا الكلام مجاز وذلك انه عليه السلام جعل الرجل
القوي الطمع الشديد الجشع الذي يرضى باعطاء ما سال ويسخط بمنع
ما طلب بمنزلة العبد للدينار والدرهم والثوب والعرض لانه باعطاء
هذه الاشياء يسترق ويملك ويمتهن ويستذل فجعله عليه السلام
عبدا لها على المجاز وهو في الحقيقة عبد لباذلها ومن معروف كلامهم
فلان عبد الطمع وخادم الامل اذا كان ذليلا لمن وجه امله
اليه وضارعا لمن علق طمعه به • وقوله عليه السلم واذا شيك فلا انتقش
من صلة الدعا عليه يقول واذا دخلت في قدمه شوكة فلا قدر على انتقاش

ينتقش

ينتقشه حتى يدوم مكثها في اخمصه فيكون ذلك اطول لالمه ومن
ذلك قوله عليه السلام لا حرج الا على رجل اقترض عرض اخيه بظلم
وهذه استعارة • والمراد بالاقتراض هاهنا القدح في العرض والحرفيه
والنيل منه فهو افتعال من القرض الذي هو القطع ومنه قول ذي الرمة
الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس • يقول
يقطعن اوساط هذا الموضع المذكور بطي شقته وتجاوز مسافته
وقولهم اقرض فلان فلانا مالا راجع الى هذا المعنى • والمراد انه قطع
له من ماله قطعة فسلمها اليه • وقوله عليه السلام في اول الخبر لا حرج الا على
رجل اقترض عرض اخيه بظلم لا يدل على ان من فعل غير ذلك من الافعال
التي يستحق عليها الذم ويعظم بها الاثم لا حرج عليه في الحقيقة ولكنه
عليه السلام كانه قال لا حرج في فعل ما لا اثم فيه الا على رجل اقرض عرض اخيه
وهذا التقدير في الكلام كانه معلوم بفحواه ومفهوم بمعناه وان كان ظاهر
اللفظ غير دال عليه ومن ذلك قوله عليه السلم ان السقط ليجر امه
الى الجنة بسرره • وهذا القول مجاز والمراد ان المراة اذا اسقطت الولد
عن حادث اصابها واتفق ان يكون ذلك الاسقاط سبب منيتها كان
لها بذلك اجر تستحق به دخول الجنة اذا كانت سليمة من الكبائر الموبقة و
المعاصي المرهقة فلما كان ذلك السقط سببا لوصول امه الى دار النعيم

البقاء المقيم حسن ان يقول عليه السلم انه يحرما الى الجنة بدرن وهو الجلد
الرقيق المتصل منها به يقال قطع سرّه وسرره والسرة اسم لما يبقى بعد
القطع منه **ومن ذلك قوله عليه السلم** لا يمنعنكم من سحوركم
الفجر حتى يستطير. وفي هذا القول استعارة والمراد حتى ينتشر ضوء
الفجر فيكون كتحليق الطاير او كالشرر المتطاير والفجر عندهم فجران
مستطيل ومستطير فاما المستطيل فهو الاول ولا يحرم على الصايم
الطعام والشراب. واما المستطير فهو الثاني فيحرم الشراب والطعام
ويسمى الاول ذنب السرحان للدقة خيطه وعوض سمته. قال
الكميت بن زيد. ولما علا سطة المصبائين من ليلة الذنب الاشعل
واطلع منه اللياح الشميط خدودا كما سلت الافضل فجعله اشعل
لكثرة البياض فيه والمصبائين تثنية مصباء وهو المكان الذي يضباء
الانسان براي لحزمه ويطلع فيه واللياح الابيض. ويقال لكبر اللام و
فتحها والشميط الكثير البياض يقال ذنب شميط اذا كان كذلك وهو
بمعنى الاشعل والمراد بها هنا الصبح وجعل له خدودا بادرة على طريق الاستعارة
كما يقال طرة الصبح وحاجب الشمس. ويسمى الفجر الثاني المستطير لانتشاره
ووضوحه. قال الشاعر. لهان على سراة بني لوي حريق بالبويرة مستطير
اراد حريقا قد انتشر شراره وعظم اواره. وفي حديث اخر انه عليه السلم

قال

قال ليس الفجر المستطيل الابيض ولكنه المعترض الاحمر **ومن ذلك
قوله عليه السلم** في صفة اهل الموقف يوم القيمة يبلغ العرق منهم هناك ما
يلجمهم. وفي هذا القول مجاز وله وجهان. احدهما ان يكون المراد ان
العرق يزيد بهم يومئذ حتى يضعفوا عن الكلام فلا يحيروا جوابا ولا
يبتدئوا مقالا الا كما يقول القايل حاججت فلانا فالجمته بالحجة اذا
اسكته بها عن مراجعته وقطع لسانه عن منازعته فشبه عليه السلام اضعاف
العرق لهم وبلوغه الى ان يملك عليهم نطقهم باللجم التي تملأ افواه الخيل
فتمنعها من تحريك السنتها تمطقا بالمشرب وتلمظا بالمطعم.
والوجه الاخر ان يكون المراد ان العرق يكثر منهم حتى يخوضوا فيه فيبلغ الى
ان يدخل افواههم فيكون بمكان اللجم لهم. ومن روى هذه الكلمة بالتبديل
فقال يلجمهم. فالمراد بذلك ان العرق يبلغ الملجم من كل واحد منهم
وهو ما يلي الراس من الرقبة. وقيل له الملجم لانه مكان اللجام من
راس الفرس كما قيل المقلد والمسور والمخلخل والموزر لموضع القلادة
والسوار والميزر والخلخال **ومن ذلك قوله عليه السلام** لما قسم
غنايم حنين فاعطى المولفة قلوبهم ولم يعط الانصار في كلام طويل
يا معشر الانصار اوجدتم في قلوبكم من لعاعة من الدنيا تالفت بها قوما
ليسلموا ووكلتكم الى ايمانكم. وهذه استعارة واللعاعة البقل

او لما يبدو او سو ناعم رقيق • وقيل هي بقلة ناعمة تعرف بعينها ذكر
ذلك ابو عبيد في الغريب المصنف ومن قول العرب خرجنا نتلعّى اي
نتتبع هذه البقلة في منابتها ونجنيها من مقاطعها • قال الشاعر •
رعى غير مذعور بهن وراقه لعاع تهاداه الدكادك واعد يريد
بواعد هاهنا ان هذا النبات كثير يعد راعيه الشبع منه والاكتفاء
به • فشبه عليه السلم حلاوة المال المبذول وتعلق القلوب به وتتبع النفوس
له بهذه البقلة الناعمة التي تستطاب مجانيها وتتتبع اجانبها او
يجري ذلك مجرى قوله عليه السلام في الخبر الآخر لحكيم بن حزام ان هذا المال
حلوة خضرة • وقد ذكرناه فيما تقدم من كتابنا هذا ومن
ذلك قوله عليه السلم تحفة المؤمن الموت • وهذه استعارة •
واصل التحف طرف الفواكه التي يتهاداها الناس بينهم فكانه عليه السلم
جعل الموت الوارد على المؤمن كالتحفة المهداة اليه لانه يسر بتعجيله
كما يسر الكافر بتنفيس حياته لان المؤمن يخرج من عقال الى مجال والكافر
يخرج من مجال الى عقال ومن ذلك قوله عليه السلام ان الله
يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب • وهذا القول مجاز والمراد ان الله سبحانه
يقبل توبة العبد من جميع المعاصي ما دام في نفس الرجاء وفسحة البقاء
فاذا بلغ حال انقطاع التكليف ووقوع الامر المخوف لم تنفعه التوبة ولم

تقبل الانابة وكانه قد حجب عن طريق الاستغفار واخذ على حال الاضطرار
وقد يجوز ان يكون المراد بالحجاب هاهنا ضد المراد بالوجه الاول وهو
ان يكون وقوعه بمعنى انكشافه وسقوطه كما يقول القايل وقع الستر
المضروب وسقط القرام الممدود اي زال وانهتك وانكشف وانفرج
والمراد بانكشاف الحجاب ان يظهر للمرء اشراط الآخرة التي لا تضام التكليف
فيراها بادية بعد ان كانت خافية وظاهرة بعد ان كانت باطنة فيكون
الحجاب هناك على ضربين حجاب مهتوك عما كان خافيا من اعلام الآخرة
وحجاب مضروب دون ما كان ممكنا من احوال التوبة ومن ذلك قوله عليه
المعروف والمنكر خليقتان ينصبان للناس فيقول المنكر لاهله اليكم
وما يستطيعون له الا لزوما • وهذا القول مجاز والمراد ان الله
سبحانه جعل للفعل المعروف علامات وعلى الفعل المنكر امارات و
وعد على فعل المعروف حلول دار النعيم واوعد على فعل المنكر خلود دار
الجحيم فكان بين الامرين الحجاز البين والفرقان النير فكان المعروف يدعوا
الى فعله لما وعد عليه من الثواب وكان المنكر ينهى عن فعله لما اوعد عليه
من العقاب فلذلك قال عليه السلام فيقول المنكر لاهله اليكم على طريق
الاتساع والمجاز • وقوله عليه السلام من بعد وما يستطيعون له الا
لزوما المراد به انهم مع قوارع النذر وصوادع العبر وزواجر التحذير

وبوالغ الوعيد يبادرون الى فعله ويتسارعون الى ورده وليس
المراد انهم لا يستطيعون له الا لزوما على الحقيقة وانما قيل ذلك
على طريق المبالغة في صفتهم بالنزوع اليه والاصرار عليه كما يقول
القايل ما استطيع النظر الى فلان او لا استطيع الاجتماع مع فلان
اذا اراد المبالغة في وصف نفسه بشدة الابغاض لذلك الانسان
والاستثقال لرؤيته والنفور من مقاعدته وان كان على الحقيقة
مستطيعا لذلك بصحة ادواته والتمكن من تصريف ارادته ولو لم يكن
هولاء المذكورون في الخبر قادرين على الانفصال من فعل المنكر
لما كانوا على مواقعته مذمومين وبجريرته مطالبين وذلك اوضح
من ان نستقصي الكلام فيه ونستكثر من الحجاج عليه **ومن ذلك**
قوله عليه السلام امرت بقرية تاكل القرى تنفي الخبث كما ينفي
الكير خبث الحديد • يريد عليه السلام الهجرة الى المدينة فقوله امرت
بقرية تاكل القرى مجاز والمراد ان اهلها يقهرون اهل القرى فيملكون
بلادهم ويغنمون اموالهم فكانهم لهذه الاحوال ياكلونهم ويخرج هذا
القول على طريقة للعرب معروفة لانهم يقولون اكل فلان جاره
اذا عدا عليه فانتهك حرمته واصطفى حريبته • وعلى ذلك قول علقمة بن
عقيل بن علقمة لابيه في ابيات • اكلت بنيك اكل الضب حتى وجدت

مرارة الكلاء الوبيل **ومن ذلك قوله عليه السلام** في غزوة الحديبية ويح
قريش لقد اكلتهم الحرب يريد انها قد افنت رجالهم وانتهكت اموالهم فكانها
من هذا الوجه كانها اكلة لهم • قال ذلك عليه السلام في حديث طويل
والمراد بقوله عليه السلام تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد ان اهلها
يتمحصون فينتفي عنها الاشرار ويبقى فيها الاخيار ويفارقها الاطلاط
والاوشاب ولا يصبر عليها الا الصميم واللباب فتكون بمنزلة الكير
الذي ينفي الاخباث والادران ويخلص المصاص والنضار وهذا ايضا
مجاز ثان • وقد ورد هذا الخبر بلفظ اخر ذكره عمر بن عبد العزيز قال
سمعنا عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله انه قال المدينة تنفي خبث
الرجال كما ينفي الكير خبث الحديد والمعنى في اللفظين واحد **ومن**
ذلك قوله عليه السلام الرحم لها حجنة كحجنة المغزل • وهذه
استعارة والحجنة هي الحديدة المعقفة في راس المغزل ومنه المحجن وهي
العصا المعوجة الراس فاراد عليه السلام ان الرحم لها علايق تعلق
بها وشوابك تجتذب بوصلها فكانها تستعطف المعرض عنها
وترد الشارد لها كما يجتذب الانسان الشيء بالمحجن الى جهته او
يثني به الذاهب عن وجهته **ومن ذلك قوله عليه السلام**
من قتل تحت راية عمية يغضب لعصبة ويقاتل لعصبة فقتلته

جاهلية • وفي رواية اخرى يغضب عصبيته ويقاتل عصبيته • فقوله
عليه السلام تحت راية عمية مجاز لانه جعل الراية عمية والمراد الحرب التي
رفعت تلك الراية فيها وانما حسن وصفها بالعمى وهو في الحقيقة للحرب
لان الراية علم لها ودليل عليها والحرب العمية هي المشتبهة التي لا
يهتدى فيها الى القصد ولا يستبين فيها وجه الرشد فهي كالعميا
التايهة والعشوا الخابطة ومن ذلك قولهم نحن في عمياء اذا كانوا
في امر مختلط او على راي مشتبه • وربما روي لفظ الخبر على الاضافة
وذلك قوله تحت راية عمية كانه قال تحت راية حرب عمية والعميان
شفاربان **ومن ذلك قوله عليه السلم** من اراد اهل المدينة
بكيدهم اماعه كما يماع الملح في الماء • وهذه استعارة والمراد انه
يمحق كيده ويضمحل امره فيكون كالهباء المتلاشي والبناء المتداعي
فلا يثبت له عماد ولا يمد عمر شاده فعبر عليه السلام عن هذه الحال بالاماعة
لان الاماعة الا الجسم المتخلخل الذي لم تستحصف جبلته ولا استحجرت
طينته وتوصف ايضا الاجسام الرقيقة بمثل ذلك فيقال ماع الماء
اذا جرى على وجه الارض • وكذلك الدم واماع السمن اذا ذاب وكذلك
الرب • ويفرق بينهما بان يقال للجسم الذي لا يتماسك اذا خلي عنه
ماع كالماء والدم ويقال للجسم الذي اذا اطلق عنه تماسك بعض

التماسك

التماسك اماع كالسمن والرب • قال الشاعر • كانه دو لبد دلهمس
بساعديه جسد مورس • من الدماء مايع ويبس • والجسد هاهنا اسم
من اسماء الدم **ومن ذلك قوله عليه السلم** لسلمان الفارسي
رحمة الله عليه سلمان ابن الاسلام سلمان جلدة بين عيني • وفي هذا
الكلام مجازان • احدهما قوله عليه السلام سلمان ابن الاسلام • ولهذا
القول وجهان • احدهما ان يكون المراد به ان سلمان يعرف بالاسلام كما
يعرف الناس باباءهم وينتمون الى اجدادهم لانه كان عبدا غير معروف
الاب ولا مشهور النسب • وانما بالاسلام سما واليه انتمى • والوجه الاخر ان
يكون المراد ان الاسلام دعم ظهره وشد ازره فقام له مقام الحاضن
الكافل والاب العايل • والمجاز الاخر قوله عليه السلم سلمان جلدة بين عيني
وجلدة بين العينين ههنا كناية عن الانف • فكانه عليه السلم جعله
في العزة والقرب منه كالانف الكريم على صاحبه والعزيز على مفارقه
وهذا القول اصح معنى • من قول الشاعر • وجلدة بين العين والانف
سالم • لانه لا جلدة بين العين والانف مذكورة تقصد قصدها
ويشار نحوها كما قلنا في جلدة بين العينين انما الانف الكريم
موقعه والمشهور موضعه **ومن ذلك قوله عليه السلم** معترك
المنايا بين الستين والسبعين • وهذا القول مجاز والمعترك موضع

الحرب وتسمى معتركًا لالتفاف الرجال واعتراك الابطال • وقد قال
عليه السلام في خبر اخر • اعمار امتي بين الستين والسبعين • وقال صلى الله
عليه وعلى اله لا خير لمؤمن في عمر يتجاوز عمري • فكانه عليه السلم شبه سنا
العشر لكثرة الذاهبين فيه وقلة المتجاوزين له بمعترك المنايا لكثرة
فيه الارواح وتصطلم الاجال فلا يفلت من ذلك المقام الا من اشتد
حابلها وتخاطاه نابلها **ومن ذلك قوله عليه السلم** لا تسبوا
الابل فانها رقوء الدم • وهذا القول مجاز لان الابل على الحقيقة
ليست برقوء الدم • وانما المراد انها اذا اعطيت في الديات كانت
سببا لانقطاع الدماء المطلولة والثارات المطلوبة فشبه عليه السلم
تلك الحال بالعرق العاند والدم السائل الذي اذا ترك لج واستشرى
واذا عولج انقطع ورقاء • وعلى هذا المعنى قول الكميت بن زيد • و
لكني رقوء دم وراق لادواء الضغاين والذحول • ويروى هذا
الخبر على لفظ اخر • وهو قوله عليه السلم فانها رقوء الدم **ومن
ذلك قوله عليه السلم** ان ذا الوجهين لخليق الا يكون عند الله
وجيها • وهذا القول مجاز لانه عليه السلام لم يرد تثنية الوجه
الذي هو العضو المخصوص على الحقيقة لان استحالة ذلك في الانسان
معلوم ضرورة • وانما اراد ذم المنافق الذي ظاهره يخالف باطنه

وحاضره يضاد غايبه فكانه يلقى اخاه في مشهده بصفحة المودة ويتناوله
في مغيبه بلسان الذم والعضيهة فشبهه عليه السلم بما بين الحالتين لاحدهما
بالوجهين المختلفين لتباين ما بينهما **ومن ذلك قوله عليه السلم**
الايمان يمان والحكمة يمانية • وهذا قد رويناه اوردها ابو عبيد في
كتابه من هذا الخبر • وقد ذكر عنه فيه زيادة كثيرة وهي قوله عليه السلم
بعد الكلام المتقدم • رحا الاسلام دايرة في قحطان حمير رؤوس
العرب ونابها والازد كاهلها وجمجمتها ومذحج هامتها • و
غلصمتها في حديث طويل • وفي هذا الحديث عدة مجازات • احدها
قوله عليه السلم الايمان يمان والحكمة يمانية • والمراد اهل الايمان واهل
الحكمة يمانيون • وامثال ذلك في الكلام معروف كثير • ويدخل في
هذا الوصف اهل مكة واهل المدينة فاما مكة فهي جهة من جهات اليمن
ومفضى الى ذلك الشق والسمت واما المدينة فمعظم اهلها الانصار و
هم من اهل اليمن بالاصل وان كانوا من اهل الحجاز بالدار • وقد قيل
انه عليه السلام قال هذا الكلام بتبوك وهي من ارض الشام وكانت
مكة والمدينة حينئذ بينه وبين اليمن فاشار الى جهات اليمن وهو يريد
مكة والمدينة • والمجاز الاخر قوله عليه السلم رحا الاسلام دايرة في
قحطان والمراد ان امر الاسلام يدور عليها كما تدور الرحا على قطبها

وقد مضى في صدر الكتاب من الكلام على رحاء الاسلام ما فيه كفاية
والمجاز الآخر قوله عليه السلام خير رؤوس العرب وبهاؤها والاسد
كاهلها وجمجمتها ومذحج هامتها وغلصمتها • والمراد ان خير
في التقدم كالرؤوس الاعاظم والاسد في الاشتداد والاجتماع كالكواهل
والجماجم ومذحج في السمو والذنو كالهامات والغلاصم ومن
ذلك قوله عليه السلام ينادي مناد يوم القيامة
لتلحق كل امة بما كانت تعبد فلا يبقى احد كان يعبد صنما
الا ذهب حتى يقع في النار ويبقى غبرات اهل النار • فقوله عليه
السلام غبرات اهل النار استعارة والمراد عقابيلهم وبقاياهم
وذلك ماخوذ من غبر اللبن وغبره بالتشديد والتخفيف وهو
بقيته في الخلف والضرع وغبر الليل آخره ماخوذ من ذلك
قال الطرماح بن حكيم في الغبر مشددا • فيا صبح كمش غبر الليل
مصعدا • بيم ونبه ذا العفاء الموشح • يريد الديك • وقال
آخر في الغبر مخففا متفلق انساؤها عن قانئ كالقرط صاو
غبره لا يرضع • قال الاخفش هو بالتخفيف لا غير • وانشدنا
البيت شاهدا على قوله ومن ذلك قوله عليه السلام الرؤيا على
رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت فلا تحدث بها الا حبيبا

او لبيبا • روى هذا الخبر عن النبي عليه السلام ابو رزين العقيلي وهو
لقيط بن عامر بن المنتفق • وفي هذا الكلام مجاز والمراد بالطائر
ها هنا الامر الذي يتطير منه ومنه قوله تعالى وكل انسان الزمناه
طائره في عنقه يريد ما يتطير منه ويخاف وقوعه به من جزاء اعماله
السيئة واوزاره المثقلة • وذلك ماخوذ من زجر الطير على مذاهب
العرب وكانوا يتيمنون بايامنها ويتشاءمون باشائمها • وعلى ذلك
قول الشاعر • ولقد غدوت وكنت لا اغدو على واق وحاتم •
فاذا الاشائم كالايامن والايامن كالاشائم • والواق بكسر
القاف الصرد كانهم سموه بحكاية صوته • قال الشاعر • و
لست بهياب اذا شد رحله يقول عداني اليوم واق وحاتم • والحاتم
الغراب فكانه عليه السلام جعل رؤيا الانسان التي يتروع لها و
يخاف ضررها بمنزلة الشيء الذي يتطير به وقد يجوز ان يكون و
يجوز ان لا يكون فاذا عبرها فعبرت له على ما يكره وقع من توقعها
وخلص الشر بحوزها • ويشبه ذلك ما حكي عن بعض المتقدمين
انه قال علم النجوم فال فكانه يشير الى ان يتفال بالسعود تعرضا
لها ويتطير بالنحوس تباعدا منها وجميع ذلك مما يجوز ان يقع ويجوز
الا يقع • ولما جعل عليه السلام الرؤيا بمنزلة الطائر المتطير به جعل

تعبيرها على الامر المكروه بمنزلة وقوع الطاير موافقة من انحاء
الكلام حتى تقع مواقعها وتطبق مفاصلها • وقوله عليه السلام من بعد
فلا تحدثن بها الا حبيبا او لبيبا يريد به النهي عن قصها الا على محب
ناصح او لبيب داح لان المحب للانسان يتعمد حمل اموره على اجملها
ويتوخى ستر ما يجتنب مما يحسن منها وبخلاف ذلك يكون المبغض الماحل
والكاشح الموارب • واما اللبيب وهو العاقل فهو يعبرها على الوجه
الصحيح الذي لا يوطئ فيه عشوة ولا يطلب مضرة وبخلاف ذلك
يكون الاخرق الجاهل والغبي الغافل ومن ذلك قوله عليه السلام
ان الشيطان ذيب الانسان كذيب الغنم ياخذ القاصية والشاذة
وفي رواية اخرى فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة و
هذه من احسن الاستعارات وذلك انه جعل الشيطان للانسان بمنزلة
الذيب للشاء ياخذ البعيدة المنفردة ويختلس الشاذة الشاردة
ويكون لجماعتها اهيب ولافرادها اقرب وكذلك الشيطان يقوى
طمعه في الفذ الفريد والشارد الوحيد فيستهويه بهواجسه ويجعله
غرضا رجيما لوساوسه ويكون في جماعة الناس اضعف طمعا وانهم
اقل تولعا • وفي هذا الكلام حث للناس على لزوم الجماعة في
طاعة السلطان العادل والامام الفاضل • ويجوز ايضا ان يكون

فيه

فيه حث لهم على لزوم الدين القويم والطريق المستقيم وترك الانفراد
بالمذاهب وسلوك الولايج والعوادل ومن ذلك قوله عليه السلام
لينقضن الاسلام عروة عروة كما ينقض الحبل قوة قوة • هذه رواية
فيروز الديلمي • وفي رواية ابي امامة الباهلي لتنقضن عرى الاسلام
عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فاولهن نقضا
الحكم واخرهن الصلوة • وهذه استعارة والمراد ليتركن العمل بشرايع
الاسلام التي احكم عقدها ووكد العمل بها حتى تكاد تنمحي مواسمها
وتعفو معالمها فيكون الاسلام كالحبل المنتقض من اطرافه • و
المنتكث بعد استحصافه والقوى الطاقات التي يفتل منها الحبل • و
الواحدة قوة • وجعل عليه السلام شرايع الاسلام كالعرى له من حيث
كانت ربقا للرقاب وكان المتعلق بها امنا من العذاب • ونظير
هذا الخبر الخبر الاخر الذي رواه البراء بن عازب عنه عليه السلام انه قال
اي عرى الاسلام اوثق فعدد الحاضرون شيئا شيئا من شرايع الدين
فقال عليه السلام اوثق عرى الاسلام ان تحب في الله وتبغض في الله
ومن ذلك قوله عليه السلام ما من ادمي الا وقلبه بين
اصبعين من اصابع الله • وهذا النوع من جملة الاخبار التي توهم التجسيم
وتقتضي التشبيه قد ذكرنا في اول كتابنا هذا انا نعقل الكلام عليها

لان جماعة من علماء الشريعة واللغة قد سبقونا الى استقصاء القول
فيها وانما نذكر منها ما له دخول في باب الاستعارة بجمة من الجملات الا
انا نتكلم على هذا الخبر هاهنا الضرب من الاستظهار. فنقول ان كان
نقله صحيحا فله وجه في كلام العرب يسوغ حمله عليه ورده اليه مما
يوافق صفات الله سبحانه الذي لا يشبه الخلق التي خلقها والبرايا
التي براها وصورها وهو ان الاصبع في كلام العرب اسم للاثر الحسن الذي
تظهر سمته وتشهر علامته يقال لفلان في ماله اصبع حسنة اي قيام
محمود واثر جميل وعلى ذلك قول الراعي يصف راعيا للابل. ضعيف
العصا بادي العروق ترى له عليها اذا ما اجدب الناس اصبعا.
اي ترى له عليها اثرا حسنا. وقد قيل ايضا ان المراد بذلك ان اشارة
الناس اليها بالاصابع لحسنها وشارتها. وقوله ضعيف العصا يريد
انه لا يكثر ضربها ولا يعنف بها وذلك اجدر بان تسمح ابدانها وتغزر
البانها. ومثل هذا قول الشاعر الاخر وقد تقدم ذكره عليها شرب
وادع لين العصا يساجلها جمامة وتساجله. وانشد الخليل بن
بن احمد في كتاب العين لبعض العرب. اغر كضوء البدر في كل منكب
من الناس نعمى يحتذيها واصبع. يحتذيها هاهنا يعطيها كانه
يقتطعها من الجذى كما تقول يعطيها والمنكب عندهم اسم لكل ثنية

عرقة

عشرة عرافة وكنيتي عرافة الرجل الذي ذلك منكبا وهو من بلد هذه
العدة من العرفاء. وقال شاعر اخر في معنى الاصبع ايضا من يجعل الله عليه
اصبعا. للخير والشر يصادف مصرعا. اي من يجعل الله عليه اثرا يستدل
به على انه من اهل الخير او من اهل الشر يصادف الجزاء على كلا الفعلين من
ثواب او عقاب ونعيم او عذاب. وذلك الاثر الذي يجعله الله عليه هو
استحقاق الحمد من الناس ان كان محسنا او استحقاق الذم منهم ان كان
مسيئا. فاذا تمهدت التي قررناها كان معنى لفظ الخبر ما من ادمي الا
وقلبه من الله سبحانه بين نعمتين حسنتين احداهما من بره عليه من
معرفة خالقه واقراره. والاخرى الغبطة بما انعم به عليه من تحسين
خلقه وتوسيع رزقه. وذلك يوجب عليه الخروج اليه تعالى من حق الشكر
على منه واحسان الجوار لنعمه. وقد عبر بعضهم عن هذا المعنى بعبارة
اخرى. قال المراد بذلك تقلب القلوب بين حسن اثار الله عليها. و
هذا القول مجمل والقول الذي ذكرناه من قبل مفصل. فاما ما
تذهب اليه المشبهة من الاصبع هاهنا على حقيقتها وان لله سبحانه
اصابع ويدا وساقا وقدما الى غير ذلك من الجهالات التي تدفعها
العقول باوائلها وتقضي بفسادها قبل اعمال النظر فيها وكيف يصح
هذا القول لهم ويقوم في عقولهم مع اعتقادهم ان الله سبحانه مستو

على العرش كاستواء القاعد في مقعده والمتمهد على مهاده وان بين روس
المخلوقين من بني ادم سبع سموات وما بين كل سماء وسماء مسيرة
خمس مائة عام وسمك كل سماء مثل ذلك فكيف يسوغ ان تكون اصابعه
تعالى عن ذلك علوا كبيرا واصلة الى قلوب خلقه مع هذا البعد العظيم والمدى
الطويل ولو كان ذلك على حقيقته لوجب ان تكون لكل من الاصابع ما
لا نهاية له حتى يخص قلب كل عبد من عبيده باصبعين من اصابع يده
هذا لعمر الله القول المتفاسد والظن المتكاذب • وبمثل هذا الجواب
يجيب من سال عن قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا
خمسة الا هو سادسهم الاية فيقول اراد سبحانه انه معهم بالعلم والاحاطة
لا بالدنو والمقاربة لان الامر لو كان على ذلك لكان المعنى مستحيلا و
ذلك انه تعالى لا يجوز ان يكون مع كل ثلثة ولا مع كل خمسة في حال
واحدة تعالى الله عن تنقل الامكنة وتقلب الازمنة علوا كبيرا • و
مما يبين كذب قولهم وفساد تاويلهم ما رواه ابو معوية الضرير
وعيسى عن الاعمش عن ابرهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال
اتى النبي عليه السلام رجل من اهل الكتاب فقال يا ابا القسم ابلغك
ان الله يحمل السموات على اصبع والارض على اصبع والبحر على اصبع والثرى
على اصبع والخلائق على اصبع فضحك صلى الله عليه وعلى اله من قوله

وانزل الله سبحانه عقيب ذلك وما قدروا الله حق قدره الاية • وقد
روي ايضا في حديث عبد الله بن عباس ان من زعم ان لله خنصرا او
بنصرا فقد اشرك بالله سبحانه • ومجال كتابنا هذا اضيق من ان يتسع
في اقطار الكلام على هذا الخبر اكثر من هذا المبلغ وقد استقصينا ذلك
في كتاب حقايق التاويل **ومن ذلك قوله عليه السلام** يهرم
ابن ادم ويشب منه اثنتان الحرص على الحياة والحرص على المال • وفي
رواية اخرى الحرص والامل • وهذه استعارة كانه عليه السلام جعل زيادة
هاتين الخلتين في الانسان مع نقصان عمره وتداني اجله بمنزلة الشباب
المقتبل والعمر المستقبل فكلما ازدادت حوامل جسمه ضعفا وانتقاضا
زادت جواذب امله قوة واستحصافا فيكون اضعف ما كان بدنا و
شخصا اقوى ما يكون املا وحرصا • وروى هذا الخبر ابو هريرة على
خلاف هذه الرواية قال قال عليه السلام قلب الكبير شاب على حب
اثنتين حب الحياة وحب المال **ومن ذلك قوله عليه السلام**
من سره ان يقرا القران غضا كما انزل فليقراه على قراءة ابن ام
عبد • وهذه استعارة والغض في كلامهم صفة للثمر والنبت الذي
لم يطل مكثه بعد مجتناه فيوثر فيه الزمان ويدخله التغيير والفساد
ويقولون غض وغضيض بمعنى واحد والغضيض ايضا عندهم اسم من

الطلع . فاراد عليه السلام ان من ياخذ القران عن ابن ام عبد وهو
عبد الله بن مسعود رحمة الله عليه او يسلك في القراءة نهجه ونطلع نجبه
فقد اخذه سليما من الفساد والتغيير وبريا من التحريف والتبديل
فهو كالنبات الغض لم يبطل عهده بجانبه ولا دب الفساد فيه . وقد
روى هذا الخبر على وجه اخر وهو قوله عليه السلام من سره ان يقرا
القران رطبا كما انزل والمعنى في الروايتين واحد . وروى ابو
هريرة من احب ان يقرا القران غريضا كما انزل . والغريض الطري
وهو ايضا في معنى الروايتين الاولين **ومن ذلك قوله عليه السلام**
لاصحابه لتامرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر او ليلحينكم الله كما
لحيت عصاي هذه لعود في يده . وفي هذا الكلام موضع استعارة . و
هو قوله عليه السلام او ليلحينكم الله والمراد لينتقصنكم الله في النفوس
والاموال وليصيبنكم بالمصايب العظام فتكونون كالاغصان التي
جردت من اوراقها وعريت من لحيتها ولياطها فصارت قضبانا
مجردة وعيدانا مفردة وهم يقولون لمن خلف الزمان ماله وسلبه
اولاده واعضاده قد لحاه الدهر لحي العصا الان ما كان يضم اليه من
ولده وحفدته ويسبغ عليه من جلابيب نعمته بمنزلة اللحاء للقضيب و
الورق للغصن الرطب فاذا اجرح عن ذلك اجمع كان كالعود العاري و

القضيب

القضيب العاري **ومن ذلك قوله عليه السلام** ان من اربا الربا
استطالة المرء في عرض اخيه المسلم . وهذه استعارة لانه عليه السلام
شبه تناول الانسان من عرض غيره بالذم والوقيعة والطعن والعضيهة
اكثر مما تناوله منه ذلك الذي قدح في عرضه واغرق في ذمه بالربا
في الاموال وهو ان يعطي الانسان القليل ليجر الكثير فانه يستثمر
المال بذلك الفعل اي يطلب نماءه وزيادته واصل الربا عندهم ماخوذ
من الزيادة يقولون ربا الشيء في الماء اذا زاد وانتفخ ومنه الرباوة والربوة
وهي ما علا من الارض وارتفع ومن ذلك قوله تعالى وترى الارض هامدة
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت . اي رطب ثراها وربل وكثر
نبتها واتصل **ومن ذلك قوله عليه السلام** في صفة الخوارج والخبر
طويل يقرؤون القران يحسبون انه لهم وهو عليهم لا يجاوز حناجرهم . و
هذا القول مجاز والمراد انهم لا يعملون باحكام القران وفرايضه ولا
ياتمرون لاوامره ولا ينزجرون بزواجره فكانهم ليس لهم منه الا الصوت
الخارج من حناجرهم يقول عليه السلام لا يعرف القران عندهم الا بهذه
ولا يتعدون العمل باحكامه وواجباته وقد روي ايضا لا يجاوز
تراقيهم والمعنى واحد **ومن ذلك قوله عليه السلام** للخاطبين من اهله
سالاه في حديث طويل والله لا اعطيكما وادع اهل الصفة تطوى

بطونهم لا اجد ما انفق عليهم • وفي هذا القول مجاز واهل الصفة
هم فقراء المهاجرين فكانه عليه السلام شبه بطونهم من الخمص والهضم لقلة
الزاد والمطعم بالاوعية الفارغة التي تطوى لفراغها وتنضم لخلو
اجوافها • وقد يجوز ايضا ان يكون انما شبهها بالبرود المثنية
والخمايص المطوية لانضمام بعضها على بعض من خلو الاحشاء وبعد
العهد بالغذاء • وقد يجوز ايضا ان يكون تطوى بطونهم هاهنا
تفعل من الطوى وهو الجوع • فكانه عليه السلام قال تجوع بطونهم
وهذا الوجه يخرج الكلام من حيز الاستعارة ويدخله في باب
الحقيقة **ومن ذلك قوله عليه السلام** الايمان قيد الفتك
وهذه استعارة والمراد بذلك ان الانسان المومن يمتنع لاجل ايمانه
ان يسفك الدم الحرام طاعة لامر الحمية وركوبا للسنن الجاهلية فكان
ايمانه قيد فتكه وتماسك ضبط بها الكه ومثل ذلك قوله عليه السلام
لخوات بن جبير الانصاري وكان خليعا قبل اسلامه ما فعل شراد
بعيرك يا خوات فقال قيده الاسلام يا رسول الله الا ترى شبهه عليه
السلام في ريعان خلاعته وعنفوان نزاقته بالبعير الشارد الذي قد
فارق مراحه وتبع ارتياحه وكيف اجاب هذا الانسان عن كلام النبي
عليه السلم بما هو من جنسه وماض على نهجه فقال قيده الاسلام لانه عليه السلم

لما جعله بمنزلة البعير الشارد جعل هو شارده عن ذلك الشراد وعكسه
عن تلك الحال بمنزلة القيد والعقال وهذا القول من النبي عليه السلم
ايضا داخل في باب المجاز **ومن ذلك قوله عليه السلم** الصبر
عند الصدمة الاولى • وفي رواية اخرى الاجر عند الصدمة الاولى • و
هذا القول مجاز والمراد بالصدمة هاهنا اول ما يطرق الانسان من
النوايب ويدهمه من المصايب فشبه ذلك عليه السلام في شدة وقعه وعظم روعته
بصدمة الجسم الشديد او صكة الحجر الثقيل في انه يوهن ويحطم ويرض و
يولم فاذا صبر الانسان لتلك الوقعة وتماسك تحت تلك الروعة وسلم
للاقضية النازلة والاقدار الغالبة ولم يقعد في جواذب الجزع ويركض في
مضمار القلق اعطي الاجر برمته ووفى اليه بازمته لان ما يطرق الانسان
وهو ذاهل ويفجاه وهو غافل اعظم نكاية لقلبه وايجاعا للنفس مما
يطرقه وقد اخذ له اهبته واعد له عدته **ومن ذلك قوله عليه السلم**
والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه في حديث طويل
وهذه استعارة والمراد باسلام قلبه سلامته من الاحنات وباسلام
لسانه تسلمه من الارفات فلا يعتقد قلبه شرا ولا يقول لسانه هجرا • و
الدليل على ارادته عليه السلام هذا المعنى قوله في تمام الكلام ولا يومن
حتى يامن جاره بوايقه • وقوله عليه السلام في حديث اخر المسلم من سلم

الناس من لسانه ويده • فكانه عليه السلام جعل تمام اسلام العبد ان يكف
قلبه عن اعتقاد المقبحات ويده عن فعل المحظورات ولسانه عن قول
المقذعات ومن ذلك قوله عليه السلم ان الله سبحانه لم يحرم حرمة
الا وقد علم انه سيطلعها منكم مطلع وهذا القول مجاز • وذلك
انه عليه السلام شبه ما حرم الله تعالى من محارمه وهي عبادة عن تقحمه
بالحمى الذي يحمى رعيه ويمنع رعيه وشبه عليه السلام المتعرض لحرمة من تلك
الحرمات بمن هجم في الحمى مقدما واطلع فيه متقحما • وقد مضى الكلام
على نظير هذا الخبر فيما تقدم من كتابنا هذا ومن ذلك قوله
عليه السلام في كلام طويل ذكر فيه بني اسرائيل نهاهم علماؤهم عن
المعاصي فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب
الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم • فقوله
عليه السلام فضرب الله قلوب بعضهم ببعض استعارة والمراد بالضرب
هاهنا خلط القلوب بعضها ببعض كانه تعالى خلطها بان شهد
على جميعها بالضلال ولم يميز بين قلوب العلماء والجهال اذ كان
الضلال شاملا لهم والعوائد ضاربة باجماعها عليهم • ومن ذلك
قول القائل ضربت بعض بني فلان ببعض اذا القيت بينهم حربا يختلطون
فيها او عداوة يتناوشون عليها • ونظير ذلك الخبر المروي عنه عليه السلم

وهو قوله ابهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض اي ان تجعلوا حرامه
حلالا وحلاله حراما فكانكم قد خلطتموه فجعلتم اعلاه اسفله ومفهومه
مبهمه ومن ذلك قوله عليه السلم الايدي ثلث فيد الله العليا
ويد المعطي الوسطى ويد السائل السفلى • وقد مضى هذا الخبر فيما تقدم
الا ان فيه هاهنا زيادة لاجلها اعدنا الكلام عليه • وهي قوله عليه
السلام فيد الله العليا • وهذا القول مجاز ويد الله سبحانه هاهنا
نعمته • وهي اعلى النعم لانها اصل لها وام لجميعها لان كل من اعطى عطاء
او حبا حباء فانما اعطى مما خوله الله سبحانه ولولا ذلك لكانت
كفه جامدة وريح اريحيته راكدة • ولاجل ذلك يقول في الحياة
انها اول النعم ويريد بذلك انها اول في الرتبة لافتقار كل نعمة
اليها وصحة وجودها منفردة بنفسها غير مفتقرة الى غيرها فصارت
اولا في الرتبة وان جاز ان يوجد معها غيرها من النعم • وفيما علقته
عن قاضي القضاة ابي الحسن عبد الجبار بن احمد فيما قراته عليه من
كتابه المعروف بشرح الاصول الخمسة ان النعمة هي المنفعة اذا قصد
بها فاعلها وجه الاحسان • فان قيل فما المنفعة قيل اللذات والمسار
وما ادى اليها اذا لم يعقب ضررا اعظم منها • فان قيل فما اللذات
قيل ما يعلم كل احد من نفسه في ادراك ما يشتهيه من مأكل ومشربه

ومناظر وملابس الى غير ذلك من الامور التى يدعوا العلم بها الى التوصل
اليها فاما السرور فهو اعتقاد ذلك او الظن له وليس يعنى سوى ما ذكرناه
وما يودى الى اللذات فى كونه نعمة كاللذات ولذلك نعد من مكن
غيره من الوصول الى الملاذ بالدنانير والدراهم منعما وان كان اعيان
الدراهم والدنانير لا لذة فيهما • ولهذا الوجه نعد التمكين من هذه الامور
نعمة حتى نقول ان الله سبحانه منعم بالتكليف الذى هو وصلة الى النعيم
المقيم والثواب العظيم • ولاجله ايضا قلنا فى الصحيح السليم انه نعمة كما نقول
فى الحياة والشهوة وان كانا يترتبان • وقد عد فى ذلك ايضا دفع
المضار والغموم وما يودى اليهما • ولذلك نقول ان الله سبحانه لو
عفى عن العصاة كان منعما عليهم ولو سهل لهم السبيل الى الفرار من النار
كان محسنا اليهم • وليس يحتمل كتابنا هذا اكثر من القدر المذكور
فى هذا المعنى • فكانه عليه السلام جعل يد الله العليا للعلة التى ذكرناها
وجعل يد المعطى الوسطى لانها تليها وجعل يد السايل السفلى
لانها تليهما فى فضلها وقوة سبيلها • وقد تقدمت الاشارة الى
جملة هذا المعنى فيما تقدم من الكلام ومن ذلك قوله عليه السلام
ليلة الجمعة غراء ويومها ازهر • وهاتان استعارتان والمراد ان ليلة الجمعة متميزة
من ساير الليالى بتعظيم قدرها وتشريف العمل فيها فقد صارت لاجل ذلك

كالفرس الغراء التى تبين من البهم والشهباء التى تتميز عن الدهم • و
كذلك المراد بكون يومها ازهر والازهر الشديد البياض كانه لتميزه من
الايام بعظم القدر وشرف الذكر قد زاد عليها اتضاحا وكثرها غررا
واوضاحا ومن ذلك قوله عليه السلام فى كلام طويل الا ان عمل الجنة
حزن بربوة الا ان عمل النار سهل بسهوة وما من جرعة احب الى الله
سبحانه من جرعة غيظ يكظمها عبد • وفى هذا الكلام مجازان احدهما
قوله عليه السلام الا ان عمل الجنة حزن بربوة الا ان عمل النار سهل بسهوة
فجعل عليه السلام عمل الجنة كالحزن من الارض وهو ما غلظ منها لانه
يصعب تجشمه فكذلك عمل الجنة يشق تكلفه • وزاد عليه السلام الكلام
ايضاحا بقوله حزن بربوة فلم يرض بان جعله حزنا حتى جعله بربوة
وهى الاكمة العالية ليكون تجشمه اشق وتكلفه اصعب • ولم يرض عليه
السلام بان جعل عمل النار سهلا وهو ضد الحزن حتى جعله بسهوة ليكون
اخف على فاعله واهون على عامله • والمجاز الاخر قوله عليه السلام
وما من جرعة احب الى الله سبحانه من جرعة غيظ يكظمها عبد • فكانه
عليه السلام جعل كظم الغيظ بمنزلة الجرعة المرة التى يجرعها الانسان
فيجدها قهامرا او يجدها حلوا ولهذا المعنى شبهوا ما يجده الانسان
من حرارة حزن وحرارة هم بالشجى المعترض فى الحلق وشبهوا ما يلحقه من

منظر باباه ولمحيط لا يهوله بالقذى العارض في الطرف لان الاول يحبس
مجاري انفاسه والثاني يمنع مجال الحاظه ومن ذلك قوله عليه السلام
شفاء العي السؤال • وهذا القول مجاز والمراد ان الشيء اذا عي الانسان
به ولم يثلج صدره بمعرفته كان في السؤال عنه بيان التباسه وسراح احتباسه
فاقام عليه السلام العي بمعرفة الامر مقام الداء المطاول والكرب المماطل و
اقام السؤال عنه اذا ادى الى العلم به مقام الشفاء المزيح والفرج المريح
ومن ذلك قوله عليه السلام في كلمات قالهن لعبد الله بن العباس
احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك • وفي رواية اخرى •
تجده امامك • وهذا مجاز لان الله سبحانه امامنا وخلفنا وعن ايماننا
وعن شمائلنا من طريق الحفظ لنا والاحاطة بنا فليس يختص ذلك منا
بجهة دون جهة وحالة دون حالة الا ان المراد تجاهك وامامك
هاهنا انك تجد حفظه ومعونته حيث توجهت واي طريق سلكت
وذلك كقول الشاعر في التخويف بالله تعالى وهو نظير للحال التي كنا
عليها والله يصبح من امام المدلج اي لا يفوته هارب ولا يضل عنه
شارد ومن ذلك قوله عليه السلام العين حق تستنزل
الحالق • وهذا مجاز والمراد ان الاصابة بالعين من قوة تأثيرها
وتحقق افاعيلها كانها تستهبط العالي من ارتفاعه وتستقلع

الثابت

الثابت بعد استقراره والحالق المكان المرتفع من الجبل وعينه فجعل
عليه السلام العين كانها تحط ذروة الجبل من شدة بطشها وحدة اخذها
وقد تناصرت الاخبار بان الاصابة بالعين حق • والذي يقوله اصحابنا
ان الله سبحانه يفعل المصالح بعباده على حسب ما يعلم من الصلاح لهم في
تلك الافعال التي يفعلها والاقدار التي يقدرها واذا تقررت هذه
القاعدة فغير ممتنع ان يكون تغيير نعمة زيد مصلحة لعمرو • واذا
كان تعالى يعلم من حال عمرو انه لو لم يسلب زيدا نعمته ويخفض
منزلته اقبل على الدنيا بوجهه ونأى عن الآخرة بعطفه واقدم على
المغاوي وارتكس في المهاوي واذا سلب سبحانه نعمة زيد للعلة التي
ذكرناها عوضه عنها واعطاه بدلا منها عاجلا واجلا واذا كان
ذلك كما قلنا • وقد روي عنه صلى الله عليه وآله ما يدل على ان الشيء اذا
عظم في صدور العباد وضع الله قدره وصغر امره لم ينكر تغيير حال بعض
الاشياء عند نظر بعض الناظرين اليه واستحسانه له وعظمه في صدره
وفخامته في عينه • كما روي انه عليه السلام قال لما سبقت ناقته العضباء
وكانت اذا سوبق بها لم تسبق • ما رفع العباد من شيء الا وضع الله
منه • فيمكن ان يتأول قوله عليه السلام العين حق على هذا الوجه • ويجوز
ان يكون ما امر به المستحسن للشيء عند رؤيته له من اعاذته بالله والصلاة

على رسول الله قائمًا في المصلحة مقام تغيير حالة الشيء المستحسن فلا يتغير عند ذلك لان الراي قد اظهر الرجوع الى الله سبحانه والاخبات له واعاذ ذلك المرء منه فكانه غير راكن الى الدنيا ولا مغتر بها ولا واثق بما يرى عليه احوال اهلها • ولعمرو بن بحر الجاحظ في الاصابة بالعين مذهب انفرد به وذلك انه يقول انه لا ينكر ان تنفصل من العين الصائبة الى الشيء المستحسن اجزاء لطيفة فتؤثر فيه وتجني عليه ويكون هذا المعنى خاصا ببعض الاعين كالخواص في الاشياء وعلى هذا القول اعتراضات طويلة وفيه مطاعن كثيرة لا يقتضي هذا الكتاب استيفاء ذكرها واستقصاء شرحها **ومن ذلك قوله عليه السلام** الاسلام ذلول لا يركب الا ذلولا • وهذه استعارة والمراد ان الاسلام سهل القياد لمن اقتاده وطيء الظهر لمن امتطاه لا يتوقص براكبه • ولا يتقاعس على جاذبه فهو كالبعير الذلول الذي يسمح لمن امه ويطوع لزمامه • وقوله عليه السلام لا يركب الا ذلولا اي لا يصحبه من الناس الا من لانت للدين عرائكه ووثبت عليه ماخذه وطاعت نفسه باحتمال اعبائه والصبر على لاوائه فاشبه من هذا الوجه ايضا الفرس الذلول الذي يمكن راكبه ويطاوع فارسه • وانما جعل عليه السلام الاسلام في الثاني بمنزلة الراكب تعدادا وصفه في الاول بصفة المركوب لان

الاسلام كان المالك على الانسان امره والمتابع منه نفسه فهو يقوده بزمامه ويصرفه على احكامه فكان من هذا الوجه كانه راكب لظهره لما كان مالكا لامره **ومن ذلك قوله عليه السلام** من تقرب الى الله شبرا تقرب اليه ذراعا ومن تقرب الى الله ذراعا تقرب اليه باعا ومن اقبل الى الله ماشيا اقبل الله اليه مهرولا وهذا القول مجاز والمراد ان من فعل الشيء القليل من البر عوضه الله الشيء الكثير من الاجر فجعل عليه السلام التقرب من استحقاق الثواب كانه تقرب من فاعل الثواب على طريق المجاز والاتساع وعلى هذا المعنى يحمل كلما جاء في القران والكلام من ذكر القرب الى الله سبحانه لانه تعالى جده لا يوصف بالقرب من طريق الدنو والمسافة ولكن من حيث كان قريب الثواب من مستحقه وداني الاحسان من راجيه ومؤمله فكانت صفة القرب متعلقة باحسانه وثوابه لا بنفسه وذاته فاما قوله عليه السلام ومن اقبل الى الله ماشيا اقبل الله اليه مهرولا فالمراد به ان من تقرب اليه سبحانه بطاعته وان فعلها مبطئا متصرعا فانه تعالى يجعل جزاءه عليها مغذا مسرعا فالمشي هاهنا كناية عن الطاعة المبطئة والهرولة كناية عن المثوبة المسرعة • فذكر ذلك عليه السلام على طريق ضرب المثل لفضل ما يفعله الرب تعالى على ما يفعله العبد وان كان لا يجب في كل طاعة ان يكون جزاؤها عاجلا وثوابها مبادرا

ومن ذلك قوله عليه السلم ما للشيطان من سلاح ابلغ في الصالحين من النساء. وهذا القول مجاز وذلك انه عليه السلام اقام النساء لتحكمهن على النفوس وتاثيرهن في القلوب مقام السلاح للشيطان الذي يقارع به قلوب الصالحين ويقرع به ضماير المتماسكين فيملك به ازمتهم ويفتلهم به الى الطاعة عن طاعة ربهم ونظير ذلك قوله عليه السلام النساء حبايل الشيطان وقد مضى كلامنا عليه فيما تقدم من هذا الكتاب **ومن ذلك قوله عليه السلم** وقد سئل عن ضالة الابل فقال للسايل ما لك ولها معها حذاؤها وسقاؤها ترد الماء وترعى الشجر حتى يجيء ربها فياخذها. وهاتان استعارتان كانه عليه السلام جعل خف الضالة بمنزلة الحذاء وشفرها بمنزلة السقاء فليس يضر بها التردد في الفيافي والتنقل في المتايف والشاقي لانها صابرة على قطع السفر وتكلف المشقة لاستحصاف مناسمها واستغلاظ قوايمها ولانها بطول عنقها تتمكن من ورود المياه القالصة والتناول من اوراق الشجر الشاخصة وهي في هذه الاحوال بخلاف الضالة من الشاء لان تلك تضعف عن ادمان السير والضرب في اقطار الارض لضعف قوايمها وقلة تمكنها من اكثر المياه والمراعي بنفسها ومع ذلك فهي فريسة للذئب ان احس حسها واستروح ريحها ولاجل ذلك قال عليه السلم للسايل عنها

خذها

خذها فانما هي لك او لاخيك او للذيب **ومن ذلك قوله عليه السلام** في كلام طويل فاذا طلع حاجب الشمس فلا تصلوا حتى تبرز واذا غاب حاجب الشمس فلا تصلوا حتى تغيب. وهذه استعارة والمراد بحاجب الشمس اول ما يبدو من قرصها فكانه عليه السلام شبه الشمس عند صعودها من حد الارض بالطالع من وراء سترة او غيب بعضه فاول ما يبدو منه وجهه واول ما يبدو من تخاطيط وجهه حاجبه ثم تتغشى وجهه ثم ساير جسده شيئا شيئا وجزءا جزءا فكانه عليه السلام نهى عن الصلوة عند ظهور بعض الشمس للعيون حتى يظهر جميعها وعند مغيب بعضها حتى يغيب جميعها وقال القطامي في حاجب الشمس ومراده جانبها تراءت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب. اي ظهر منها جانب وغاب منها جانب وقد يجوز ان يكون لحاجب الشمس ههنا معنى آخر وهو ان يراد به ما يبدو من شعاعها قبل ان يظهر جرمها اي كذلك ما يغيب من شعاعها قبل ان يغيب قرصها فاقام ذلك عليه السلم لها مقام الحاجب لانه يدل عليها ويظهر بين يديها. فكانه عليه السلم نهى عن الصلوة قبل ان يظهر قرص الشمس بعد الشعاع الغايب امامه والصلوة المراد بها ههنا صلوة التطوع دون صلوة الفرض الا ترى ان اول ما يظهر قرص الشمس ليس بوقت لشيء من الصلوات المفروضات. وفي اول هذا الخبر ما يحقق

القول الذي قلناه وهو قوله عليه السلام لا تتحروا بصلاتكم طلوع الشمس و
لا غروبها فانها تطلع بين قرني شيطان. وقد اختلف الفقهاء في ذلك
فقال ابو حنيفة لا يجوز ان يتطوع بعد صلوة الصبح حتى تطلع الشمس ولا
بعد صلوة العصر حتى تغرب الشمس. وقال الشافعي يجوز ان يصلي في
هذين الوقتين النفل الذي له سبب مثل تحية المسجد ولا يصلي النفل
المبتداء الذي لا سبب له ومن ذلك قوله عليه السلم المؤمن ياكل
في معا واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء. وهذا القول مجاز والمراد
ان المؤمن يقنع من مطعمه بالبلغة التي تمسك الرمق وتقيم الاود دون
المآكل التي يقصد بها وجه اللذة ويقضى بها حق الشهوة فكانه
ياكل في معا واحد لفرط الاقتصار وكراهة الاستكثار واما الكافر
فانه لتبجحه في المآكل وتنقله في المطاعم وتوخيه ضد ما يتوخاه
المؤمن من اجتزاء حطام الدنيا التي يطلب عاجلها ولا يامل آجلها
هو عند نفسه للذته وكادح في طاعة شهوته كانه ياكل في سبعة امعاء
لانه اكله للذة لا للبلغة وللنهمة لا للسكة ومن ذلك قوله عليه السلم
جيئوا بكبش اقرن يطاء في سواد وينظر في سواد في حديث طويل فاتي
به فضحى به وذبحه بيده. وهذه استعارة والمراد بقوله عليه السلام
يطا في سواد ان اظلافه سود فكانه يطاء منها في سواد اي ليس منها

وبين الارض منها الا ما هو اسود وهذه من محاسن الاستعارات و
المراد بقوله عليه السلام وينظر في سواد ان حدقته سوداء ومطارح نظره
منها فكانما ينظر في سواد وهذا المعنى اراد كثير بقوله. ومن خلاله
تدمع في بياض ان دمعها يقطر على خدها وهو ابيض فيصير الدمع واقعا
في بياض. والمراد بقوله وينظر في سواد المعنى الذي قدمنا ذكره
من وصف الحدقة بشدة الاسوداد. واذا كان النظر منها فكان النظر
في سواد ومن ذلك قوله عليه السلم وقد ذكر له امراة استحيضت
ليست هذه بالحيضة ولكنها ركضة من الرحم. وهذه استعارة والمراد
بقوله عليه السلام ركضة من الرحم ان الرحم نفحت بهذا الدم من غير
حيضة ولكن من حادث علة فاشبهت رمحة الفرس اذا رمح بحافره
او ركضة البعير اذا ركض بمنسمه وهم يسمون الطعنة اذا عندت عروقها
وفار دمها رماحة ورموحا ويقولون رمحت بالدم اذا كان فرغها
رغيبا وجرحها رحيبا. وذلك موجود في اشعارهم ومتعارف في
لسانهم ومن ذلك قوله عليه السلام ان الله ليربي لاحدكم
التمرة واللقمة كما يربي احدكم فلوه وفصيله حتى يكون مثل احد
وهذه استعارة والمراد ان الله سبحانه يجمع القليل الى القليل من
صدقاتكم والنزر الى النزر من قربكم وطاعاتكم حتى يعظم يسيرها و

يكبر صغيرها فيكون عظيم الجزاء بحسبه وجزيل الثواب على قدره فجعل عليه السلم ذلك كتربية الفلو والفصيل وتربيب الطفل الصغير لانه تنقيل من حال الضعف والصغر الى حال الاشتداد والكبر ومن ذلك قوله عليه السلم من عاد مريضا لم يزل يخوض الرحمة حتى يجلس فاذا جلس اغتمس فيها وهذه استعارة والمراد العبارة عن كثرة ما يحصل لعايد المريض من الاجر الوافر والثواب الغامر فشبهه عليه السلم لهذه الحال بخايض الغمر في مشيه والمغتمس فيه عند جلسه و من ذلك قوله عليه السلم في كلام طويل لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم اذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء فقوله عليه السلم فحمة العشاء استعارة والمراد ظلمة العشاء الا انه عليه السلم شبه الظلمة في هذا الوقت بالفحمة وهي الهنة السودا التي احرقت النار اجزاها و احالتها عن هيئتها والجمع فحم كسعفة وسعف فكانه عليه السلم اقام الليل مقام الفحمة والنهار مقام النار المتوقدة فاذا انطفا جاحمها وخمدت ضرمها اعقب منها الفحم وخلفها الفحم والفواشي في هذا الخبر اسم لما ينتشر من الحيوانات الحي كالابل والغنم والحمير والبقر وما يجري هذا المجرى وسميت فاشية لانتشارها وظهورها ومن قولهم فشا الحديث اذا ظهر وانتشر ومن كلام العرب ضموا فواشيكم وردوا مواشيكم

ومن ذلك قوله عليه السلم اعطوا الطرق حقها قيل وما حقها يا رسول الله قال غض البصر وكف الاذى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي حديث اخر لا تقعدوا على الصعدات الا من اعطاها حقها والصعدات الطرق وهذه استعارة كانه عليه السلم جعل للطرق على القاعدين عليها حقا يجب عليهم الخروج اليها منه والاعفاء لها به وهو مجموع الخلال المذكورة في اول الحديث فمن خرج من ذلك الحق الواجب وقام بذلك الفرض اللازم جاز له القعود على الطرق ومن لم يقم بذلك الحق ويود ذلك الفرض كان جلوسه عليها محظورا وكان بحالها الامن مذموما ومن ذلك قوله عليه السلم المجالس ثلثة سالم وغانم وشاجب وهذا القول مجاز والمراد ان اهل هذه المجالس الثلثة سالمون وغانمون وشاجبون والشاجب الهالك والشجب الهلاك فجعل عليه السلام هذه الصفات للمجالس وهي على التحقيق لاصحاب المجالس ولكنها لما كانت مشتملة على اهلها حسن اجراء صفاتهم عليها ومعنى هذا الخبر ان المجلس الذي لا يذكر فيه الجميل ولا القبيح ولا المنكر ولا المعروف فاهله سالمون والمجلس الذي يذكر فيه الحسن من الاقوال ويتحاض من فيه على جميل الافعال فاهله غانمون والمجلس الذي لا يسمع فيه الا القبيح ولا يفعل فيه الا المحظور فاهله هالكون ومن ذلك قوله عليه السلام ان ابرهيم ابني مات في الثدي

وان له ظئرين يكملان رضاعه في الجنة فقوله عليه السلام مات في الثدي
مجاز والمراد ان الموت اصابه وهو يرضع فكانه قال مات وهو في الرضاع
وذلك كقول القايل ابن فلان في الصياغة او ولد فلان في البخارى اذا
اراد انه قد دفع الى من يعلمه هذه الصناعة فهو مقصور على ذلك وماخوذ
به ولم يفرغ بعد من تعلمه ومثل ذلك ايضا قولهم ابن فلان بعد في ابجد
او في الف با تا ثا اي هو بعد في تعلم هذه الحروف المخصوصة ولم يستكمل
علمها فينتقل عنها الى غيرها ولا بد من حمل الكلام على تقدير مضاف
محذوف وهو رضاع الثدي فيكون المعنى صحيحا فكانه عليه السلم قال
مات وهو في رضاع الثدي ولذلك نظاير كثيرة وامثال مشهورة وبابه
ما جاء في التنزيل من قوله تعالى واسال القرية والمراد اهل القرية و
ما معنى ذلك **ومن ذلك قوله عليه السلام** اذا وقعت الحدود
وصرفت الطرق فلا شفعة. وهذا القول مجاز والمراد وحررت الطرق
فخرجت عن حال الاشراك وطريقة الاختلاط فشبه عليه السلم ذلك بصرف
الانسان عن وجهه وعكسه عن جهة وهذا الخبر مما يستشهد به من قال
ان الشفعة انما تجب للشريك المخالط دون الجار المجاور وهو مذهب اهل
البيت عليهم السلم وقول مالك والشافعي من فقهاء الحجاز. وقال اهل
العراق انما تجب للشريك المخالط ثم للجار المجاور **ومن ذلك قوله عليه**

وياتي على الناس زمان يثقفون القران كما يثقف القدح في حديث
طويل اخرج مخرج الذم لاهل ذلك الزمان. وهذه استعارة والمراد انهم
يعنون باصلاح الفاظ القران حتى تقوم على المنهاج وتثقفوه بعد الاعوجاج
فتكون كالسهم المثقف الذي يمرع في الانباض ويقرطس في الاغراض ولا
يتدبرون ما وراء تلك الالفاظ من حكم واجب وامر لازم وفرض متعين و
حق مبين **ومن ذلك قوله عليه السلم** في كلام اطلق الشرب في
الاوعية فاشربوا ما شئتم الا من اوكى سقاءه على اثم. بعد ان كان
حظره ونهيتكم عن الشرب في الاوعية. وهذا القول مجاز والمراد اطلاق
الشرب في الاوعية التي وقع النهي عنها كالدبا والحنتم والنقير والمزفت
اذا كان ما فيها من الاشربة المطلقة غير الممنوعة والمباحة غير المحظورة
وموضع المجاز قوله عليه السلم الا من اوكى سقاءه على اثم يقول الا من ربط
سقاءه على مشروب محرم فان ذلك خارج من باب الاطلاق والاباحة و
داخل في باب الحظر والكراهة واراد عليه السلام الا من اوكى سقاءه على مشروب
يودي الى اثم فاقام الاثم مقامه لانه عاقبة امره ووبال فعله **ومن
ذلك قوله عليه السلم** حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
وهذا القول مجاز والمراد ان جميع الافعال التي توصل الى الجنة يتجشم فيها
على الكره والمشقة لان طريقها وعر ومذاقها مر فلما كانت الطرق المفضية

الى الجنة كلها كما ذكرنا شاقة المسالك صعبة على السالك فحسن ان يقال
ان الجنة حفت بالمكاره على طريق المجاز وسعة الكلام ولما كانت الافعال
المفضية الى دخول النار في الاغلب الاكثر كثيرة الملاذ ملايمة للطباع
لا توتى من طريق مشقة ولا يفزع اليها باب كلفة حسن ان يقال
ان النار حفت بالشهوات على طريق الاتساع والمجاز **ومن ذلك**
قوله عليه السلام وقد سئل عن رجل كانت تحته امراة فطلقها ثلاثا
فتزوجت بعده رجلا فطلقها قبل ان يدخل بها هل تحل لزوجها الاول
فقال عليه السلام لا حتى يكون الاخر قد ذاق من عسيلتها وذاقت من عسيلته
وهذه استعارة كانه عليه السلام كنى عن حلاوة الجماع بحلاوة العسل فكانه
جعل مخبر المراة ومخبر الرجل كالعسلة المستودعة في ظرفيهما فلا يصح الحكم
عليهما الا بعد الذواق منهما وجاء عليه السلام باسم العسلة مصغرا لسر لطيف
في هذا المعنى وهو انه اراد فعل الجماع دفعة واحدة وهو ما تحل المراة به
للزوج الاول فجعل ذلك بمنزلة الذواق القليل من العسلة عن غير استكثار
منها ولا معاودة لاكلها فاوقع التصغير على الاسم وهو في الحقيقة
للفعل وذلك بالعكس من التصغير في البيت المشهور وهو من ابيات الكتاب
وانشدناه الشيخان ابو الفتح عثمن بن جني وابو الحسن علي بن عيسى الربعي
وذلك قول الشاعر • يا ما اميلح غزلانا شدن لنا من هاوليائكن الضال

والسمر • قالا اوقع الشاعر التصغير على الفعل في الظاهر وذلك غير جائز و
انما اراد به على الحقيقة تصغير الاسم المصدر الذي هو الملاحة فهذا الشاعر
كما ترى صغر الفعل واراد الاسم وهو عليه السلام في الخبر صغر الاسم واراد
الفعل **ومن ذلك قوله عليه السلم** لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره ثم
ياتي الجمعة فينصت حتى يقضي الامام صلوته الا كان ذلك كفارة لما
بينه وبين الجمعة المقبلة ما اجتنب المقتلة • فقوله عليه السلام ما اجتنب
المقتلة مجاز والمراد ما لم يواقع الخطيئة الكبيرة التي تكون سببا لهلاكه
وطريقا الى بواره فشبهها عليه السلام بالمقتل من مقاتل الانسان الذي
اذا اتى منه فقد اتى عليه وانما انث عليه السلم المقتل لانه جعله في هذا
الموضع عبارة عن الخطيئة وهي مؤنثة فانثه حملا على المعنى ولذلك في
كلامهم نظاير كثيرة **ومن ذلك قوله عليه السلم** انه ليغان على
قلبي حتى استغفر الله مائة مرة • وهذا القول مجاز والمراد ان الغم
يتغشى قلبه عليه السلام حتى يستكشف غمته ويستفرج كربته بالاستغفار
فشبه ما تغشى قلبه من ذلك بغواشي الغيم التي تستر الشمس وتجلل الافق
والغين والغيم اسمان للسحاب وسواء قال يغان على قلبي او قال يغام على
قلبي **ومن ذلك قوله عليه السلم** القلوب اوعية بعضها اوعى
من بعض • وهذه استعارة والمراد تشبيه القلوب بالاوعية وهي الظروف

والعياب التي تحرز فيها الامتعة وغيرها من الاشياء المحفوظة وهي
كالانية لايداع الاشياء المايعة الا ان الاوعية تختص بالجامدات
كما ان الانية تختص بالمايعات فالقلب من حيث حفظ ووعى كالوعاء
من حيث جمع واوعى ٠ وربما نسب هذا الكلام الى امير المومنين عليه السلم
على خلاف في لفظه وقد ذكرناه في جملة كلامه لكميل بن زياد النخعي
في كتاب نهج البلاغة **ومن ذلك قوله عليه السلم** ما يخرج رجل شيئا
من الصدقة حتى يفك عنه لحي سبعين شيطانا ٠ وهذا القول مجاز
والمراد تعظيم الامر في مجاهدة الانسان نفسه عند اخراج الصدقة لشدة
تشح النفس بها وكثرة الصوارف عنها ووساوس الشيطان بما يقتضي
الامتناع منها فاذا غلب الانسان باخراجها نوازع جنانه ونوازع
شيطانه كان كانه قد افلتها من ايدي الجاذبين وفك عنها لحي الشياطين
وانما ذكر عليه السلم هذا العدد المخصوص من الشياطين وهو السبعون
على طريقة للعرب مشهورة في ذكر ذلك اذا ارادت التكثير وقد ورد
التنزيل بسلوك هذا النهج والوقوف عند هذا العدد قال سبحانه
استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله
لهم ٠ وقال تعالى ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه
ومن ذلك قوله عليه السلام يد الله مع القاضي حين يقضي

ويد

ويد الله مع القاسم حين يقسم ٠ وهذا القول مجاز والمراد ان علم الله سبحانه
ومعرفته لا يغيبان عن الحاكم اذا حكم وعن القاسم اذا قسم فيعلم سبحانه عدل
القاضي اذا تحرى العدل وظلمه اذا اعتمد الظلم ولا يخفى عليه حيف القاسم
وميله او انصافه وعدله وذلك كما يقول القايل يد فلان مع فلان اذا
كان مشاركا له في ولاية يليها او مشارفا له في امور بعضها ٠ وفي هذا
القول تخويف شديد للحاكم والقاسم من مفارقتهما مقام الحق ومعات
الصدق وحث لهما على سلوك النهج الابلج وتجنب الطريق الاعوج ٠ ونظير
هذا الخبر قوله عليه السلم ان الله عند لسان كل قايل والمراد انه تعالى محيط
علما بمقاصد كل امرء ومصادر لسانه كما يعلم ذلك منه من سمع حواره و
شهد خطابه ٠ ومثل ذلك ايضا قوله عليه السلم واراد الله سبحانه اقرب
اليكم من رؤوس ركابكم **ومن ذلك قوله عليه السلم** لعبد الله بن
زيد بن عبد ربه الانصاري وقد ادى الاذان في نومه القه على بلال
فانه اندى منك صوتا ٠ وهذا القول مجاز والمراد انه امد صوتا منك
تشبيها بالشيء الندي الذي يمتد وينبسط وسوى الضد من اليابس
الذي يجتمع وينقبض وعلى ذلك قول الشاعر ٠ فقلت ادعوا وادعوا
ان اندى لصوت ان ينادي داعيان **ومن ذلك قوله عليه السلم**
من قال حين يصبح لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله

الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير عشر
مرات كتب الله له بكل واحدة قالها عشر حسنات وحط عنه بها عشر
سيئات ورفع بها عشر درجات وكن له مسلحة من اول نهاره الى
اخره ولم تعمل يومئذ عملا يقهرهن • وفي هذا الكلام استعارتان
احداهما قوله عليه السلام وكن له مسلحة من اول نهاره الى اخره والمراد
بالمسلحة هاهنا مجتمع السلاح الكثير يقال هاهنا مسلحة للسلطان ويراد
به الموضع الذي جماعة من اعوانه قد كثرت اسلحتهم واشتدت شوكتهم
كما يقال مأسدة للارض الكثيرة الاسد ومكماة للارض الكثيرة
الكماة ومفعاة ومحواة للارض الكثيرة الافاعي والحيات ونظائر
ذلك كثيرة فجعل عليه السلام هذه الكلمات لقائلهن بمنزلة السلاح
الكثير الذي يدفع عنه المخاوف ويرد الايدي البواطش والاستعارة
الاخرى قوله عليه السلام ولم تعمل يومئذ عملا يقهرهن والمراد ولم
يعمل من الاعمال السيئة في يومه ما يغلب اثر اجر هذه الكلمات اذا قالها
على الوجه المحدود فيها وينبغي ان يكون المراد بذلك الذنوب الصغار
دون الذنوب الكبائر لان عقاب الكبيرة يعظم فيكون كالقاهر لتلك
الحسنات التي ذكرها والدرجات التي اشار اليها ولما اقام عليه السلام
تلك الكلمات مقام السلاح لقائلها جعل ما في مقابلتها من اثم موقع

وذنب موبق بمنزلة القاهر لها والثالم فيها ملامح من صفحات
الالفاظ ومزاوجة من فوائد الكلام وهذا موضع المجاز الثاني
الذي افضنا في ذكره وكشفنا عن سره **ومن ذلك قوله عليه السلام**
لما امر برجم اليهودي الذي زنا بعد ان وافق اليهود على ان حد الزاني
المحصن عندهم الرجم دون الجلد وكانوا انكروا ذلك ثم اقروا به فقال
عليه السلام اللهم اني اول من احيا امرك اذا اماتوه • وهذه استعارة
والمراد اني اول من اظهر امرك اذ ستروه واذاعه اذ كتموه فاقام عليه
السلام الاظهار مقام الاحياء والاخفاء مقام الاماتة لان الحي ظاهر
منتشر والميت خاف مستتر • وقد مضى الكلام على نظير هذا الخبر فيما تقدم
من هذا الكلام **ومن ذلك قوله عليه السلام** فيما رواه شداد
بن الهاد • قال سجد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله سجدة اطال
فيها فقال الناس عند انقضاء الصلوة يا رسول الله انك سجدت بين
ظهراني صلوتك سجدة اطلتها حتى ظننا انه قد حدث امر او انه اتاك
وحي فقال عليه السلام كل ذلك لم يكن ولكن ابني هذا ارتحلني فكرهت ان
اعجله حتى يقضي حاجته وكان الحسن او الحسين عليهما السلام قد جاء والنبي
عليه السلام في سجدته فامتطى ظهره وهذا الحديث مشهور وموجبه
لمن يجوز انتظار الامام بركوعه اذا سمع خفق النعال حتى يدخل الوارد و

معه في الصلوة وهو قول الشافعي وقد كرهه اهل العراق ولا خلاف
في ان الامام يجوز له ان ينتظر حضور الجماعة اذا لم يخش فوت الوقت
قبل ان يدخل في الصلوة فاستطال عليه السلام ابنه حتى يقضي منه حاجته
يدل على ان من فعل هذا الفعل واشباهه لا يخرج به من الصلوة وقوله
عليه السلام ولكن ابني هذا ارتحلني استعارة والمراد انه جعل ظهره كالراحلة
او المطية التي تحمله ويقال من ذلك رحلت الناقة وارتحلتها اذا امتطيتها
لتسير بها وعلى ذلك قال الشاعر • ولكن رحلناها نفوسا كريمة تحمل
ما لا يستطاع فتحمل • الا ترى ان الشاعر لما جعل هذه النفوس بمنزلة
المطايا المذللة والظهور المحملة استحسن ان يقول رحلناها مقابلة
بين اجزاء اللفظ وملاحمة بين العجز والصدر وليس هناك على الحقيقة
ظهور تحمل الرحال وتحمل الاثقال وانما اراد صفة تلك النفوس
بالصبر على عض البلاء وعرك الادواء ونوازل الفادحة وحوازب العبر
ومن ذلك قوله عليه السلام في كلام كلم به بعض اصحابه لن تبرحوا
مستكنين ما كنت بين اظهركم فاذا انا اهلكت اقبلت اليكم الدنيا
واقبلتم اليها واضطمتكم الدنيا اضطمام الوالدة ولدها • وهذه
استعارة والمراد ان الدنيا بعده عليه السلام تكثر فوايدها وتتصل عندها
فتبر نفعها لاهلها بحفاء الوالدة بولدها اذ كانت ترضعه درها

وتمهد حجرها وتسبل عليه جهدها وذلك كقولهم قد ضم فلان فلانا
الى كنفه يريدون انه قد قام بامره واغناه عن غيره **ومن ذلك**
قوله عليه السلام لا تعادوا الايام فتعاديكم • وهذا القول مجاز لان
الايام على الحقيقة لا يصح ان تعادى ولا تعادي وانما المراد لا
تخصوا بعض الايام بالكراهة لموضع التطير به فربما اتفق عليكم فيه
من طوارق الغير وبوائق العبر ما يقوى في ظنونكم انه يختص ذلك
اليوم دون غيره من الايام وليس كما ظننتم لان الايام تمضي في
ذلك على عاداتها وتجري الى غاياتها فتكونون كانكم قد عاديتم ذلك
اليوم باستشعاركم وصول الضرر اليكم منه ويكون ذلك اليوم كانه
قد عاداكم باتفاق المضرة عليكم فيه وخرج القول مخرج المجاز • و
الاتساع ومدارج الكلام **ومن ذلك قوله عليه السلام** وقد
سمع اعرابيا يقول في مسجده صلى الله عليه وعلى آله بعقب صلاة صلاها
اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا احدا • فقال عليه السلام لقد تحجرت
واسعا • وهذه استعارة واصل التحجر ان يحيط الانسان خطة ويضرب
عليها سياجا ليحوزها به ويعلم انها في قبضته ومنه الحجرة وهي البيت
المضروب وجعلت بعد ذلك اسما للبناء مخصوص وجمعها حجر ومن
ذلك قولهم حجر الحاكم على فلان اذا منعه من التصرف في ماله فكانه ضرب

عليه خطارا يحجبه فيه ويقصر خطوه دونه • فاراد عليه السلام
بقوله للاعرابي لقد تحجرت واسعا تشبيهه بمن ضرب سياجه على قاع
واسع فحازه ومنع غيره من المشاركة فيه الا انه دعا وتمنى ان يرحم النبي
عليه السلام ويرحمه مخصوصا وحظر رحمته سبحانه على الناس عموما
فكان ذلك تحجيرا على الرحمة وتسيطرا على النعمة وخلافا لقوله تعالى •
ورحمتي وسعت كل شيء • وفي رواية اخرى انه عليه السلم قال لما سمع
قول الاعرابي هذا لقد احتظرت واسعا • والمعنى في اللفظين واحد
لان الاول ماخوذ من الحجرة • والثاني ماخوذ من الحظيرة • وقد يجوز
ان يكون المراد لقد ضيقت امرا واسعا في الجملة وقد يجوز ان يكون لقد
وسع على نفسه فضيق على غيره ومن ذلك قوله عليه السلام
من ابطا به عمله لم يسرع به نسبه • وهذه استعارة والمراد ان من تاخر
به عمله عن غايات الفضل ومواقف الفخر لم يتقدم اليهما بشرف
نسبه وكرم حسبه فجعل عليه السلام الابطاء والاسراع مكان التاخر
والتقدم لان البطيء متاخر والمسرع متقدم واضافهما الى العمل و
النسب وهما في الحقيقة لصاحبهما لا لهما ولكن العمل والنسب لما كانا
سببا الابطاء والاسراع حسن ان يضاف ذلك اليهما على طريق المجاز
والاتساع ومن ذلك قوله عليه السلم رحم الله حميرا افواههم سلام

وايديهم

وايديهم طعام اهل امن وايمان • وهذا القول مجاز والمراد المبالغة في صفتهم
بافشاء السلام واطعام الطعام فلما اكثروا لفظ السلام من افواههم وبذل
الطعام من ايديهم جاز على طريق المبالغة ان يقول افواههم سلام وايديهم
طعام كما يقول القائل ما فلان الا اكل ونوم وما فلان الا صلوة
وصوم اذا اكثر الاكل والنوم من الاول والصلوة والصوم من الاخر وعلى
هذا قول الخنساء في صفة الظبية الفاقدة ولدها • ترتع ما كنت حتى اذا
ذكرت فانما هي اقبال وادبار • يريد صفتها بكثرة الاقبال والادبار
والتململ والاضطراب • ومن هذا الباب ايضا قولهم فلان عدل فوصفوه
بالمصدر الذي فعله عدل يعدل عدلا لكثرة وقوعه منه ونظاير ونظاير
ذلك كثيرة ومن ذلك قوله عليه السلام ويعني الموت اكثروا
ذكر هادم اللذات • وهذه استعارة والمراد ان اللذات بالموت تتلاشى
وتبطل وتمحق وتضمحل كما يضمحل البناء بهدمه ويبطل بتغيير رسمه
والهدم في الاصل هو الابطال للشيء فاذا قالوا هدم فلان البناء فانما
يريدون انه ازاله وابطله • ومن ذلك الحديث المروي عنه عليه السلم للانصار
ليلة العقبة بعد مراجعة كلام طويل • بل الدم الدم والهدم الهدم • واصح
ما قيل في تفسير ذلك انه عليه السلام انكم ان طلبتم بدم طلبته وان اهدر دمكم
هدرته واقام الهدم ههنا مقام الطل يقول ان طللتم طللته بمعنى ان

ابطلتموه ابطلته. وقال يعقوب بن السكيت في كتاب الالفاظ يقال
دماؤهم بينهم هدم اي هدر ويقال هدم بتحريك الدال ايضا ومن
ذلك قوله عليه السلم في ذم اقوام من المنافقين خشب بالليل صخب
بالنهار في كلام طويل وهذه استعارة والمراد انهم ينامون الليل كله من
غير قيام لصلوة ولا استيقاظ لمناجاة فهم كالخشب الملقاة. وفي التنزيل
كانهم خشب مسندة. يريد تعالى انهم لا خير فيهم ولا نفع عندهم كالخشب الواهية
التي تدعم لئلا تتهافت وتمسك لئلا تتساقط ومن ذلك قوله
عليه السلام ان المؤمن اذا اذنب كانت الذنب نكتة سوداء في قلبه فان
تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فان زاد زادت حتى تغمر قلبه. فقوله
عليه السلم صقل قلبه استعارة والمراد ازالة تلك النكتة السوداء عن قلبه
ولكنها لما كانت بمنزلة الدرن في الثوب او الطبع على السيف حسن ان يقال
صقل قلبه منها كما يصقل السيف من طبعه او يغسل الثوب من درنه
ومن ذلك قوله عليه السلم في كلام طويل ولا يشرب احدكم
الحدود وهو حين يشربها مؤمن. وهذا القول مجاز والمراد بالحدود
بها هنا الخمر وانما عبر عليه السلم بهذا الاسم عنها لان اقامة الحدود تستحق
بشربها وليس ها هنا معصية ربما اجتمعت في الاقدام عليها حدود
كثيرة غيرها لان السكران في الاكثر يقدم على استحلال الفروج واستهلاك

النفوس وسب الاعراض وقذف المحصنات فيجتمع عليه حد السكر وحد القتل
وحد الزنا وحد القذف ولذلك قال امير المؤمنين عليه السلام وقد سأله عمر بن
الخطاب عن حد السكران فقال اقم عليه حد المفتري لان الشارب اذا سكر
لغا واذا لغا افترى ومن ذلك قوله عليه السلام في اطفال
المسلمين هم دعاميص الجنة. وهذه استعارة والدعموص دويبة صغيرة تكون في
مياه العيون ويقال انها الضفدع فكانه عليه السلام شبههم للعبهم في انهار
الجنة ومياهها بالدعاميص التي تعوم في قرارات الغدران وجمامها
ومن ذلك قوله عليه السلم اذا ضيعت الامانة فانتظروا الساعة
قيل وما اضاعتها يا رسول الله قال اذا توسد الامر الى غير اهله. وفي رواية
اخرى اذا وسد الامر الى غير اهله. وهذه استعارة والمراد اذا استند الامر
الى غير اهله فاقام السناد هاهنا مقام الوساد لان المتوسد للشيء مستند
اليه ومعتمد عليه. وانما جعل عليه السلام الامر مستندا اليهم لانهم القائمون
باحكامه والمقيمون لاعلامه فهم له كالمسالك والسناد والدعائم والعماد. وقد
يكون المراد بقوله عليه السلام على الرواية الاخرى اذا وسد الامر الى غير اهله
على لفظ ما لم يسم فاعله ومن ذلك قوله عليه السلم خمس ليس لهن كفارة
الشرك بالله سبحانه وقتل نفس بغير حق او بهت مؤمن والفرار يوم الزحف
او يمين صابرة يقتطع بها مال بغير حق. وهذا مجاز والمراد او يمين مصبورة

اى مكرهة على الكذب من قولهم فلان مصبور على السيف اى محبوس على
القتل مع اكراه عليه واضطرار اليه • ومن ذلك الخبر المروى انه عليه السلم
نهى عن صبر البهايم وصبرها حبسها وترك تغذيتها الى ان تموت مكرهة
على تلك الحال المكروهة • ومن ذلك قولهم قتل فلان صبرا • فكانه عليه السلم
جعل تلك اليمين الكاذبة لبعدها عن الصدق ومخالفتها جهة الحق بمنزلة
المكرهة على ركوب تلك المحجة الضلعاء والوقوف عند تلك السوءة السوآء
فهى كالمصبورة على السيف والمحمولة على الحتف • ومما يقوى ما قلناه رواية
عمران بن حصين الخزاعى لهذا الخبر قال قال صلى الله عليه وعلى آله من حلف
يمين كاذبة مصبورة فليتبوا مقعده من النار فقد صرح عليه السلم فى هذه
الرواية بان اليمين الصابرة فى الرواية الاولى بمعنى المصبورة **ومن
ذلك قوله عليه السلم** اذا دخل البصر فلا اذن • وهذه استعارة
والمراد ان من استاذن على بيت فولج فيه بصره قبل ان يلج فيه بدنه فقد بطل
اذنه لان الاذن انما يكون من قبل ان يقع البصر على ما يشتمل عليه البيت
فاما اذا كان ذلك فكان المستاذن قد وصل قبل ان يوذن له فى
الوصول ودخل قبل ان يومر بالدخول • ويقوى ما قلناه من ذلك الخبر
الاخر وهو قوله عليه السلم من اطلع من صير باب فقد دمر ومعنى دمر دخل و
الدامر الداخل والصير هاهنا الشق او الفرجة تكون فى الباب من ذكر ذلك

ابو عبيد فى غريب الحديث • وموضع المجاز من هذا الكلام تصيير عليه السلم
البصر بمنزلة الداخل على القوم وانما اراد رؤيته لهم ونفوذه الى ما وراء
بابهم **ومن ذلك قوله عليه السلام** الجرس مزمار الشيطان • وهذه
استعارة وذلك انه لما كان كل صوت مكروه ينسب الى الشيطان كضروب
الغناء وعويل النساء وكان صوت الجرس من الاصوات المكروهة بدليل
قوله عليه السلام فى الخبر الاخر لا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس حسن ان
يضاف صوته الى الشيطان على طريق المجاز والاتساع **ومن ذلك
قوله عليه السلام** ان المومن لينضى شيطانه كما ينضى احدكم بعيره
فى السفر • وهذه استعارة والمراد ان المومن يصعب قياده على الشيطان فلا
يصغى الى وساوسه ولا يحفل بمواجهته اعتصاما منه بدينه واستلاء
عليه فى جنة يقينه فشيطانه ابدا مكدود معنى لطول منازعته القياد
ومغالبته الزمام فشبهه عليه السلام لاتعابه الشيطان فى الاجتهاد عن
اضلاله والامتناع من اتباعه بالمنضى بعيره فى السفر اذا طال شقته واستمر ع
قوته وحسر عريكته **ومن ذلك قوله عليه السلام** فى كلام طويل لا
تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض الى ان يخرج الرجل بزكاة ماله فلا
يجد احدا يقبلها منه • فقوله عليه السلام حتى يكثر المال ويفيض استعارة
كانه شبهه بالماء الطامى الذى يفيض من قرارته ويسيح من كثرته ونظرا هنا

المجز ما روي من قوله عليه السلام في خبر اخر ورب متخوض في مال الله و
رسوله فيما اشتهت نفسه له النار يوم القيامة • كانه عليه السلام جعل
كثرة المال عند هذا الانسان بمنزلة الغمرة الطامية والبحر الطافح وجعل
انفاقه منه وتقلبه فيه بمنزلة التخوض في الجمام الغزار واللجج الغمار **ومن**
ذلك قوله عليه السلام ان للمساجد اوتادا الملائكة جلساؤهم
اذا غابوا افتقدوهم وان مرضوا عادوهم وان كانوا في حاجة اعانوهم • و
هذه استعارة كانه عليه السلام شبه المقيمين في المساجد والملازمين
لها والمنقطعين اليها بالاوتاد المضروبة فيها وذلك من التمثيلات
العجيبة الواقعة موقعها والمقرطسة غرضها • ويقال فلان وتد المسجد
وحمامة المسجد اذا طالت ملازمته له وانقطاعه اليه وتشبيهه بالوتد
في الملازمة ابلغ من تشبيهه بالحمامة لان الحمامة تنتقل وتزول والوتد
يقيم ولا يريم **ومن ذلك قوله عليه السلام** في حديث طويل رجل
تصدق بصدقة اخفاها لا تعلم شماله ما تنفق يمينه • وهذا مجاز
والمراد المبالغة في صفته بكتمان نفقته واخفاء صدقته فاذا كانت
شماله لا تعلم بما تنفقه يمينه وهي شريجتها وقسيمتها وجارتها
ولصيقتها فاجدر الا يعلم بذلك غيرها من سحط دارا وبعد جوارا
ومن ذلك قوله عليه السلام وقد ذكر لوطا عليه السلام وقوله لقومه

لو ان

لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد • قال عليه السلام فما بعث الله بعده
نبيا الا في ذروة قومه • هذه استعارة والمراد فما بعث الله بعده نبيا الا
في اعلى شرف قومه لئلا يغمض حسبه ويزدرى منصبه فيكون ذلك
منفرا عنه وموحشا منه فشبه عليه السلام ذلك بذروة البعير وهي سنامه
او ذروة الجبل وهي راسه ويقولون فلان في الغوارب من قومه كما
يقولون في الذرى من قومه فالغارب هاهنا كالذروة هناك ويقولون
ايضا هو في عليا قصر قومه وفي ذوائب قومه اذا ارادوا هذا المعنى وذلك
في اشعارهم وكلامهم اكثر من ان يستقصى وفي شعر يروى لامير المؤمنين علي
عليه السلام كانوا الذوائب من فهر واكرمها حيث الانوف وحيث الفرع و
العدد **ومن ذلك قوله عليه السلام** لكل شيء سنام وسنام القران
سورة البقرة ومنها اية هي سيدة اي القران لا تقرا في بيت فيه شيطان
الا خرج منه وهي اية الكرسي • وفي رواية اخرى البقرة سنام القران وذروته
ويا سين قلب القران • وفي هذا الكلام استعارات ثلث اولاهن قوله عليه
السلام وسنام القران سورة البقرة والمراد انها اعلا القران واشرف كما
ان اعلا ما في البعير سنامه وذروته والكلام في هذا المعنى كالكلام على
الخبر المذكور امام هذا الخبر لان المراد بهما واحد • والاستعارة الثانية
قوله عليه السلام ومنها اية هي سيدة اي القران والمراد انها تقدم القران و

تفضل كما ان السيد يتقدم على عشيرته ويفضل اهل طبقته • والاستعارة
الثالثة قوله عليه السلام ويٰس قلب القرآن والمراد انها خالص الصدر ولبابه كما
ان قلب الشيء صميمه ومصاصه ويقولون فلان قلب بني فلان اذا كان في
صميمهم وفي مصاص ادبهم • ومن ذلك قوله عليه السلام في كلام
طويل ايها الناس ما يحملكم على ان تتتابعوا في الكذب كما يتتابع الفراش
في النار • وهذا القول مجاز والمراد تسارعون الى قول الكذب تهافتا
فيه ومنازعة اليه فتكونون كالفراش المتساقط في النار لانه يلوذ بها
وينازع اليها والتتابع التواقع في الشيء المكروه فلما كان الكذب كالمهوى
والمزلة من حيث ادى الى الخزاية والمذلة حسن لذلك ان يجعل المتتابع اليه
كالواقع فيها والمرتكس في قعرها • وقد يجوز ايضا ان يكون المراد ان
الكذب لما كان مفضيا الى دخول النار جعل المتتابع اليه كالمتهافت في
النار • ويؤكد هذا الوجه تشبيه المتتابع فيه بالمتتابع في النار و
لذلك نظائر قد تقدم الكلام عليها في هذا الكتاب ومن ذلك
قوله عليه السلام وقد ذكر عنده رجال من اصحابه يجتهدون
في العبادة اجتهادا شديدا فقال عليه السلام تلك ضراوة الاسلام
ولكل شيء ضراوة وشرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى الكتاب
والسنة فالى ما هو ومن كانت فترته الى معاصي الله فذلك الهالك

فقوله عليه السلام تلك ضراوة الاسلام وشرته استعارة والمراد بذلك
شدة الورع وافراطه وغلوه واشتطاطه تشبيها له بالضراوة على الشيء
الماكول والمشروب وهي شدة الاعتياد له وفرط المنازعة اليه وذلك
ماخوذ من قولهم سبع ضار اذا درب باكل اللحم فكثر طلبه له وتوثبه
عليه ويقولون عرق ضار اذا فار دمه فلم يقف وتواتر فلم ينقطع وقال
الاخطل يصف دن الخمر عند بزله لما اتوها بمصباح ومبزلهم سارت
اليهم سؤور الابجل الضاري • والابجل واحد الاباجل وهي العروق
ومعنى سارت اي فارت ونضحت ماخوذ من سورة الشيء وهي حركته
وطموحه • ومما في هذا المعنى الخبر المروي عن بعض الصحابة اتقوا هذه المجازر
فان لها ضراوة كضراوة الخمر فاراد ان ضرر الادمان على اكل اللحم كضرر الادمان
على شرب الخمر الا ان المستكثر من اللحم يؤثر ضرره في بدنه والشارب للخمر يؤثر
ضررها في دينه ومن ذلك قوله عليه السلام لعن الله الذين
يشققون الكلام تشقيق الشعر • وهذا القول مجاز والمراد الذين يعرقون
في الكلام فيدققون فيه ويتعمقون في معانيه • وشبه عليه السلام فعلهم ذلك
بتشقيق الشعر لان طاقات الشعر مستدقة في نفوسها واذا تعاطى الانسان
تشقيقها انتهت من الدقة الى غاية لا زيادة وراها • وهذا اللعن في الخبر
انما يتناول من بلغ في تدقيق الكلام الى ذلك الحد ليشبه الباطل بالحق

وبجوز الغى بالرشد كما قلنا فى تاويل قوله عليه السلام الا اخبركم بابغضكم
الى وابعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون ومن ذلك
قوله عليه السلام ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل
وهذا القول مجاز والمراد انتشار الاسلام فى الشرق والغرب واشتماله
على البر والبحر فجعله عليه السلام من هذا الوجه بمنزلة الداخل دخول الليل
فى الاظلال والاطباق وتجليل البلاد والافاق ومن ذلك ما روى
فى حديث عن بعض الصحابة وهو قوله وكان ذلك حين دجا الاسلام
اى البس كل شئ ودخل على كل حى تشبيها بالليل فى تغطية البلاد وشموله
النجاد والوهاد ومما يقوى هذا المعنى ما روى عنه عليه السلم انه قال لفاطمة
عليها السلام وقد رات قميصه مخروقا وبطنه خميصا فبكت عند ذلك
فقال لها صلى الله عليه وعلى آله اما يرضيك يا فاطمة الا يبقى على
ظهر الارض بيت مدر ولا وبر الا دخله عزا وذل بابيك ومن
ذلك قوله عليه السلم لمعاذ بن جبل الا اخبرك براس الامر
وعموده وذروة سنامه قال بلى يا رسول الله قال راس الامر الاسلام
وعموده الصلوة وذروة سنامه الجهاد • وهذه الالفاظ كلها
مستعارة كانه عليه السلام جعل الاسلام راس دين الله المتقدم ودينه
المعظم وجعل الصلوة عموده الذى به قوامه وعليه قيامه وجعل

الجهاد ذروة سنامه لانه بعد الراس اعلى شارة وارفع مراتبة وبه
يشاد بناوه ويقام لواوه ويقمع اعداوه ومن ذلك قوله عليه السلم
حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه • وفى هذا القول
مجاز والمراد حجوا قبل ان يمنع سلوك البر القاطعون لسبيله والعاثون
فى طريقه والحايلون بين الناس وبين دخوله فلما جعل عليه السلام البر ممنوعا
بمن اشرنا ذكره حسن على طريق المجاز ان يجعله كالمانع لجانبه والمخوف
لسالكه • لان المحجوب كرها كالمحتجب والممنوع قسرا كالممتنع ومن
ذلك قوله عليه السلم الحمى كير من جهنم • وهذا القول مجاز والمراد
المبالغة فى وصف حرارة الحمى واتقادها وشدة اوارها واضطرامها
فشبهها عليه السلام بكير يستمد من نار جهنم وهى اعظم النيران وقودا
وابعدها خمودا • وقال المفسرون فى قوله تعالى وهو يريد نار الدنيا
نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين قالوا تذكرة يتذكر بها الناس
نار الاخرة فيكون ذلك ازجر لهم عن المعاصى واصرف عن الضلال والغى
لان نار الدنيا اذ كانت على ما هى عليه من قوة الاحراق وشدة الارماض
والاقلاق وهى مع ذلك دون نار الاخرة فى الطبقة وجزء من اجزائها
فى الايلام والنكاية فما ظننا بتلك النار اذا باشرت الاجسام وخالطت
اللحوم والعظام نعوذ بالله منها ونسله التوفيق لما باعد عنها • وقيل فى

المقوين قولان• احدهما ان يكونوا المرملين من الزاد والفاقدين للطعام
يقال اقوى فلان من زاده اذا لم يبق عنده شيء منه وذلك ماخوذ من
الارض القواء التي لا شيء فيها فكانه صار كهذه الارض في الخلو من البلغ
التي يتبلغ بها والمسك التي يرمقها والقول الاخر ان يكون المقوون هاهنا
السايرين في القواء وهي الارض التي قدمنا ذكرها والنار للمسافر ارفق
منها للحاضر ومن ذلك قوله عليه السلم في دعاء دعا به لميت الا
ان فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك فقه فتنة القبر وعذاب
النار• فقوله عليه السلام وحبل جوارك استعارة والمراد انه لاجئ الى ظلك
ومضطر الى فضلك فاخرج قوله في ذمتك وحبل جوارك على عادة كلام
العرب لانهم يقولون قد عقد فلان لفلان حبلا واخذ فلان من فلان
حبلا اذا اعطاه ذماما او عقد له جوارا وقد سموا العهود حبالا على
هذا المعنى وفي التنزيل الا بحبل من الله وحبل من الناس اي بعهد من
الله وعهد من الناس والاصل في ذلك انهم شبهوا ما يعقد من الذمام
بما يعقد من الحبال لانها تقرب بين البعيدين وتجمع بين المفترقين
وتصل الابيات بالابيات وتربط الاطناب بالاطناب ومن
ذلك قوله عليه السلام لاصحابه وقد ذكر وقوع الفتن ثم تعودون
فيها اساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض وهذا القول مجاز واراد

عليه السلام انكم تكونون في هذه الفتن كالحيات التي تنصب على ناهشيها
وتسرع الى ملامسيها غير متذممة من محرم ولا متورعة عن مظلم ومن
ذلك قوله عليه السلام كلكم يدخل الجنة الا من شرد على الله
شراد البعير• فقوله عليه السلام الا من شرد على الله مجاز والمراد الا من
ندّ عن امر الله سبحانه وبعد عن رضاه وطاعته وذهب في غير جهة
مشيته وارادته فكان كالبعير الشارد الذي ندّ عن صاحبه وبعد عن
معاطنه ومن ذلك قوله عليه السلام لاسماء بنت ابي بكر
انفحي وانضحي ولا توعي فيوعي الله عليك• فقوله عليه السلام انفحي وانضحي
استعارة والمراد انفقي مالك في سبيل الله وابذليه في طاعة الله وصبي
بمواضعه باسراع وبدار كما تنفح الريح بهبوبها وتنضح السحائب بشؤبوبها
والمراد بقوله عليه السلام هاهنا ولا توعي فيوعي الله عليك اي لا تمسكي
فيمسك الله عليك لان من اوعى الشيء وحفظه فقد امسكه ومنعه
ومن ذلك قوله عليه السلم ان قريشا اهل صدق وامانة فمن
بغاهم العواثر كبه الله لوجهه• وهذا القول مجاز والمراد فمن بغاهم المعثرات
وهي الامور تعثرهم وتضع شرفهم فقال عليه السلم العواثر لانها وان اعثرتهم
فكانها عاثرة بهم او واقعة عليهم ومن قولهم عثر الدهر بآل فلان اذا انتقص
اعدادهم وغير احوالهم وبلغ المبالغ منهم وساءت اثارهم فيه ومن

ذلك قوله عليه السلام المسلمان اذا حمل كل واحد منهما على
صاحبه السلاح فهما على جرف جهنم فاذا قتل احدهما صاحبه دخلاها
جميعا • وهذا القول مجاز والمراد بذلك المسلمان اللذان يتقاتلان في
غير طاعة الله سبحانه فهما بنفس القتال وتظاهرهما بحمل السلاح عاصيان
لله سبحانه مستحقان لعقابه مقدمان على شفا قر فاذا قتل احدهما
صاحبه دخلا جميعا النار الا ان المقتول يستحقها بتعرضه للقتال
المحظور عليه والقاتل يستحقها بمثل ذلك وينفرد بعقاب القتل الذي
وقع منه فيكون اشدهما نكالا واعظمهما وبالا • وموضع المجاز قوله
عليه السلام فهما على جرف جهنم والمراد انهما على طريق استحقاق نار جهنم
باقدامهما على الفعل المحظور والامر المكروه فشبه عليه السلام كونهما
قريبين من استحقاق دخول النار بمن اشرف على جرفها وقام على
حرفها في شدة القرب منها والاشفاء على الوقوع فيها • ومثل ذلك
قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وقد لخصنا
الكلام على ذلك في كتاب مجازات القران ومن ذلك قوله عليه السلام
وقد راى بعيرا في بعض حيطان المدينة يحن اليه كالشاكي فقال عليه السلام
لصاحبه ان بعيرك ليشكوك ويزعم انك اكلت شبابه حتى اذا كبر تريد ان
تنحره • وهذا القول مجاز والمراد بقوله عليه السلام اكلت شبابه استعملته في

حال شبابه وقوته واجمعت نحره في حال ضعفه وكبرته فجعل استعماله
طول ايام شبابه كالاكل لشبابه لانه استنفاد له وذهاب به ومن
ذلك قوله عليه السلام في حديث طويل نهى فيه عن الذبح بالسن و
الظفر • اما السن فعظم واما الظفر فمدى الحبشة • وهذه استعارة
والمدى السكاكين فكانه عليه السلام قال والاظفار سكاكين الحبشة لانهم
يذبحون بحدها ويقيمونها مقام المدى في التذكية بها • والظفر هاهنا
اسم للجنس كالدينار والدرهم في قولهم اهلك الناس الدينار والدرهم
اى الدنانير والدراهم ولذلك صح ان يقول مدى الحبشة والمدى جمع لان
الواحدة مدية ومن ذلك قوله عليه السلام كفى بالسلامة داء •
وهذا القول مجاز لان السلامة على الحقيقة ليست بداء في نفسها وانما
المراد انها تفضي الى الادواء القاتلة والاعراض المهلكة لان طولها
يودي الى موت الشهوات وانقطاع اللذات وحواني الهرم وعوادي
السقم فحسن من هذا الوجه ان تسمى داء اذ كانت موقعة فيه ومودية
اليه وقد اكثرت الشعراء نظم هذا المعنى في اشعارهم الا ان كلمة النبي
عليه السلام ابهر من جميع ما قالوه مطلعا وابعد منزعا واوجز في تمام
واكثر مع قلة كلام فمما جاء في هذا المعنى قول حميد بن ثور • ارى
بصرى قد رابني بعد صحة • وحسبك داء ان تصح وتسلما • وقول

لبيد بن ربيعة ودعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة
داء وقول النمر بن تولب • يود الفتى طول السلامة والغنى • فكيف
يرى طول السلامة يفعل • واني لاستحسن كثيرا الابيات التي من جملتها
هذا البيت وهي قوله • تغير مني كل شيء وزانني • مع الدهر ابلائي
التي ابتدل • فضول اراها في اديمي بعد ما يكون كفاف الجسم او هو
اجمل • كان محطا في يدي حارثية • صناع علت مني به الجلد من عل
يرد الفتى بعد اعتدال وصحة • ينوء اذا رام القيام ويحمل • تدارك
ما قبل الشباب وبعده • حوادث ايام تمر واغفل • يود الفتى طول
السلامة والغنى • فكيف يرى طول السلامة يفعل **ومن ذلك**
قوله عليه السلام وقد ذكر صلوة العصر ولا صلوة بعدها حتى يرى
الشاهد • وهذه استعارة والمراد بالشاهد هاهنا النجم والعرب
يسمون الكوكب شاهد الليل كانه يشهد بادبار النهار واقبال
الظلام وكل شيء يدل على شيء فهو يجري مجرى الشاهد به والمخبر عنه
اذ ليس كل دال بانسان ولا كل دليل من جهة اللسان **ومن ذلك**
قوله عليه السلام واي داء ادوى من البخل وهذا القول مجاز لان
البخل على الحقيقة ليس بداء ولكنه لما كان عادة مكروهة وخليقة
مذمومة اجرى مجرى الداء الذي يغير الصحة ويفسد الجملة الا انه داء

يمكن الانتقال عن صحبته وحمل النفس على مفارقته لانه لو لم يكن كذلك
لما حسن الذم عليه والتعيير به كما لا يحسن الذم على ساير الامراض التي تغير
الاحوال وتفسد الاجسام • والبخل على الحقيقة هو منع الواجب فكل من
منع الواجب يوصف بالبخل ومن منع التفضل لا يوصف بذلك الا
على سبيل المجاز وكل ما في القران من ذكر البخل فانما يراد به منع الواجب
كما ان كل ما فيه من الامر بالانفاق فانما يراد به اخراج المال في الواجب
فاما تسمية العرب من لا يقري النازل ولا يعطي السائل بالبخيل فلانهم
اعتقدوا وجوب ذلك عليه فوصفوه بالبخل لامتناعه منه واتساعهم
تبع اعتقاداتهم **ومن ذلك قوله عليه السلام** وقد سأله رجل
من جهينة متى يصلي العشاء الآخرة فقال اذا ملأ الليل بطن كل واد
وهذا مجاز لان الليل على الحقيقة لا يمتلئ به بطون الاودية كما تمتلئ
بطون الاوعية وانما المراد اذا شمل ظل الليل البلاد وطبق النجاد و
الوهاد فصار كانه سداد لكل شعب وصمام لكل نقب **ومن ذلك**
قوله عليه السلام وقد طلعت بين اصابعه بثرة فوضع يده عليها
وقال اللهم مطفئ الكبير ومكبر الصغير اطفئها عني برحمتك
وهذه استعارة كانه عليه السلام اقام ذلك الداء مقام النار التي
قد اخذت في الاضطرام وهمت بالاحتدام واقام الشفاء المطلوب

من الله سبحانه مقام الالطاف لها ونضح الماء عليها في ان ذلك ينشاها ويقويها
ويسرع خمودها وهذا من التشبيهات الصادقة والتمثيلات الواقعة • و
روي انه عليه السلام كان يقلق القلق الشديد لما يظهر في جسمه من الماء
اليسير فقيل له في ذلك فقال ان الله اذا اراد ان يعظم صغيرا اعظمه
ومن ذلك قوله عليه السلام من قعد في مصلاه حين يصلي الصبح حتى
يسبح الضحاء في حديث طويل • وهذه استعارة كانه عليه السلام جعل
الضحاء وهو شباب النهار وزيادته بمنزلة الماء السايح من الغدير
الطافح في التمثيل من وجهين • احدهما ان بياض الضحاء كبياض الماء
والاخر ان انتشار النهار بضيائه كانسياح الغدير بمائه • ومثل تسميتهم
اول النهار ثم بالضحاء تسميتهم الشمس عند اول طلوعها بالغزالة
وليس ذلك باسم لها في جميع الاحوال كما يظنه بعض الجهال • وانما
هو اسم لها في هذا الوقت المخصوص ومن الشاهد على ذلك قول ذي
الرمة • واشرفت الغزالة راس حزوى • لانظرهم وما اغنى قبالا
كانه قال واشرفت ذلك الموضع اول طلوع الشمس وابين من هذا قول
الاخر وانشدناه شيخنا ابو الفتح النحوي رحمه الله • قالت له ورواتب
الافق تسوق بالقوم غزالات الضحى • كانها قالت تسوق بهم اوايل
النهار وعند ابتداء الشمس في الانتشار • والضحى اول شروقها وابتداء اضحيها

والضحاء وقت اشراقها وارتفاعها **ومن ذلك قوله عليه السلام**
وقد مر على قوم وقوف على ظهور دوابهم ورواحلهم يتنازعون الاحاديث
فقال عليه السلام لا تتخذوها كراسي لاحاديثكم في الطرق والاسواق
فرب مركوب خير من راكبه • وهذه استعارة كانه عليه السلام شبه الدواب
والرواحل في حال الوقوف على ظهورها بالكراسي التي يجلس عليها
لانها تثبت في مواضعها ولا تزول الا بنزولها فنهى عليه السلام ان يجعل
الحيوان المتصرف بمنزلة الجماد الثابت والشي النابت **ومن ذلك**
قوله عليه السلام ان الاسلام بدا جذعا ثم ثنيا ثم رباعيا ثم سديسا
ثم بازلا وما بعد البزول الا النقصان • وهذا الكلام كله مستعار
والمراد تمثيل الاسلام في تنقل احواله وتغاير اوصافه بولد الناقة
الذي يتنقل في اسنانه فيكون اول امره جذعا ثم ثنيا ثم رباعيا ثم
سديسا ثم بازلا وهي سن التمام وما بعد التمام الا النقصان ومدار
المعنى على ان الاسلام بدا في غاية الصغر ثم انتهى الى غاية الكبر على تدرج
ما بين البازل والجذع وانه عليه السلام يخشى عليه نقيصة التمام • و
عكسة الكمال كما يخشى على اليفن بعد الخناته والبازل بعد انتهائه **و**
من ذلك قوله عليه السلام انما هذا المال من الصدقة اوساخ ايدي
ايدي الناس وفي رواية اخرى غسالات ايدي الناس • وذكر ابن سعد

في كتاب الطبقات انه عليه السلام قال للعباس بن عبد المطلب رحمه الله وقد
سأله ان يستعمله على الصدقة ما كنت لاستعملك على غسالة ذنوب الناس
وهذا القول مجاز والمراد تشبيه ما يخرجه الناس من صدقاتهم بالاوساخ
التي يميطونها عن ايديهم والتشبيه بذلك من وجهين احدهما ان تكون اموال
الصدقات لما كان اخراجها مطهرا لما وراءها من سائر الاموال جرت مجرى
المياه التي تغسل بها الادران وتزال بها الانجاس في انتقال تلك
الادران اليها وحصول تلك الادناس والانجاس فيها . والوجه الآخر
ان يكون المراد ان اموال الصدقات في الاكثر لا تكون الا اشفاق الاموال
دون اخيارها ومقارباتها دون كرائمها ولذلك امر عليه السلام في الصدقة
بالاخذ من حواشي الاموال دون حزراتها وهي خيارها . وانما نسب عليه السلام
تلك الاوساخ الى الايدي لان الاموال المعطاة في الاكثر انما تكون
بها ومن عليها وقد مضى الكلام على مثل هذا المعنى فيما تقدم **ومن ذلك**
قوله عليه السلام في تهديد اقوام ذمهم ورجل نازع الله
رداءه فان رداءه الكبرياء والعظمة . وهذا القول مجاز والمراد بذلك ازاره صح
ان الكبرياء والعظمة رداء الله تعالى وازاره اللذان يكسوهما خليقته ويلبسهما
بريته ولا يقدر غيره على ان ينزع منهما ما البسه او يلبس منهما ما نزعه
والمراد بذلك العظمة والكبرياء على حقيقتهما دون ما يعتقده الجهال انه عظمة

وكبرياء

وكبرياء وليس بهما وذلك ما نشاهده من تعظم الجبارين وتكبر المتملكين
فان ذلك ليس بتعظيم من الله سبحانه لهم ولا بافاضة من ملابس كبريائه
عليهم وانما العظمة والكبرياء في الحقيقة سمتا الكرامة التي يلبسهما الله سبحانه
على رسله وانبيائه والقائمين بالقسط من عباده فيعظمون بهما في العيون و
يجلون في الصدور والقلوب وان كانت هيآتهم ذميمة وظواهرهم ورثة بهم
خاضعة وبطونهم جائعة فاذا ثبت ما قلنا بان ان سمة الكبرياء والعظمة
رداء الله وازاره ليس لانه يكتسيهما ولكن لانه يكسوهما وذلك كما يقول
القائل وقد راى على بعض الناس ثوبا افاضه عليه عظيم من العظماء او كريم
من الكرماء هذا ثوب فلان ولم يرد انه ملبسه ولكن اراد انه ملبسه
فاضافه اليه من حيث كساه لا من حيث اكتساه . ويجري هذا مجرى
قولنا بيت الله وليس بساكنه وعرش الله وليس براكبه ونظير ذلك قولهم
لعمر والله ما فعلت كذا ولعمر والله لقد فعلت كذا والعمر هو العمر يقال
عمر وعمر بمعنى واحد . قال الشاعر . بان الشباب واخلف العمر . و
تغير الاخوان والدهر . اراد العمر على احد التفسيرين والتفسير الآخر
ان يريد به واحد عمور الاسنان واخلافه تغيره من الكبر الا ان العمر
في قولهم لعمر الله يراد به الحياة وهذا المراد بقول القائل لعمري و
لعمر ابي ولعمر فلان كانه قال وحياتي وحياة ابي وحياة فلان

وجاء عن ابن عباس رحمه الله عليه انه قال من كرامات الله سبحانه
لنبينا عليه السلام انه اقسم في القرآن بحياته ولم يفعل ذلك بنبي
غيره قال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فكانه سبحانه قال
وحياتك انهم كذلك واذا صح ما قلناه صار القايل لعمر الله كانما
حلف بحياة يحي الله بها الاحياء يحيا بها لانه سبحانه يتعالى عن
ان يحيا بحياة او يتكلم باداة او يفعل بالالات **ومن ذلك**
قوله عليه السلام قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ
بعدي الا هالك. وهذا القول مجاز والمراد بالبيضاء هاهنا محجة
الدين ومدرجة الطريق المستقيم ووصفها بالبياض عبارة عن وضوح
منهجها وبيان سننها وكل ابيض في كلامهم واضح يقولون وجه واضح
اذا كان ابيض المحيا وجبين واضح وجيد واضح على هذا المعنى وقوله
عليه السلام ليلها كنهارها مفعول لما فسرناه من المراد بالبياض كانه
عليه السلام اشار الى ان الليل لا يغطي وضوح هذه المحجة لبواديه و
لا يستر اعلامها بظلامه ولا محجة هناك على الحقيقة وانما المراد
صفة الدين بوضوح المعالم وبيان المواسم وانارة المداخل وظهور
الحجج والدلايل **ومن ذلك قوله عليه السلام** ما ملا ادمي وعاء
شرا من بطن في حديث طويل. وهذا القول مجاز وانما جعل عليه

البطن

البطن بمنزلة الوعاء لانه قرار للطعام والشراب وما يستحيلان اليه
من الفروث والاخباث فكان المأكل والمشرب ايعاء فيه وكان
الغذو والبرز تفريغ له ونظير هذا الخبر الخبر المروي عنه عليه السلام
وهو قوله القلوب اوعية وبعضها اوعى من بعض. وقد تقدم الكلام
عليه لانه عليه السلام انما جعل القلوب كالاوعية لانها مواضع
ايداع السراير وعقود الضماير وحفظ الادلة والعلوم ومستقر
الاراء والعزوم الا ان القلوب اوعية للاعراض من الارادات و
الاعتقادات والبطون اوعية للاجسام من الماكولات والمشروبات
ومن ذلك قوله عليه السلام الحجر يمين الله فمن شاء صافحه
بها. وهذا القول مجاز والمراد ان الحجر جهة من جهات القرب الى الله
سبحانه فمن استلمه وباشره قرب من طاعته تعالى فكان كاللاصق
بها والمباشر لها فاقام عليه السلام اليمين هاهنا مقام الطاعة التي
يتقرب بها الى الله سبحانه على طريق المجاز والاتساع لان من عادة
العرب اذا اراد احدها التقرب من صاحبه وفضل الانسة بمخالطته
ان يصافحه بكفه ويعلق يده بيده وقد علمنا في القديم تعالى ان الذي
يستحيل على ذاته فيجب ان يكون ذلك دنوا من طاعته ومرضاته و
لما جاء عليه السلام بذكر اليمين اتبعه بذكر الصفاح ليوفي الفصاحة

حقها وبلغ بالبلاغة غايتها • ونظير هذا الخبر الحديث الآخر ان الصدقة
تقع في يد الله سبحانه قبل يد السايل اي يتعجل بها سبحانه استحقاق
مثوبته وموافقة طاعته وانها لا تهلك ضلالاً ولا تذهب ضياعاً
بل تكون كالشيء المحفوظ باليد والمذخور للغد • وهذا حين انتهائنا
الى الفراغ من كتاب المجازات الآثار النبوية على ما تخلل عملنا له من
قواطع الاشغال وبواهظ الاثقال وعوادي الايام والليال • وقد
خرجنا في صدر هذا الكتاب من عهدة التكفل باستيعاب جميع ما ورد
عن النبي صلى الله عليه وعلى آله من الآثار الملفوظة والاخبار المنقولة
بما شرطناه من كلامنا الى ما وقع الينا وقرب من متناولنا دون ما
بعد عنا وشذ عن ايدينا ولا نبعد ان يكون القدر الذي تكلمنا عليه
قليلاً من كثير وقصيراً من طويل الا ان عذرنا في الاقتصار عليه واضح
وجبينا فيما اديناه ناصح ونحن نحمد الله سبحانه على ما من به من
التوفيق لاقتناص شوارده وتسهيل موارده واثارة فوايده وعوايده
حمداً يكون للنعم قواماً ولنتاجها تماماً ولصعبها عقالاً ولزمامها زماماً
فان النعم تبنى على قواعد الشكر لها وترفع على دعايم المعرفة بقدرها
وما توفيقنا الا بالله عليه نتوكل واليه ننيب • بغفر اقل من كل قليل
واذل من كل ذليل عبد عبيد آل محمد صلى الله عليه وعلى آله الانجبين محمد

الداعي بالتقي ابن ابي الحسن عفي عنهما غيهما • حامدين لله ومصلين على نبيه
واهل بيت نبيه عليه وعليهم الصلوة والسلام • والحمد لله اولاً وآخراً وظاهراً
وباطناً • اسكنه الله مصنفه في حظاير فراديس قدسه • في سنة سبع وتسعين والف

استكتب هذا الكتاب الشريف المذكور لمن اهله الله للاستماع بدرس
الحكمة وفصل الخطاب وكتب هذه الاحرف من تملكه
الشرف العمر الى الله في كل موطن محمد
الداعي علم الهدى ابن محمد الحسن عفا الله
عنه اجمعين وجعله من المتقربين اليه
رلعي حامداً
مصلياً
ك

۳۵۹